

الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم

ابن تيمية رحمته

حقيقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى

لأول مرة يحقق على ست نسخ خطية

دار الفضيلة

2

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أما بعد:

فهذا كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته وهو أحد كتب التراث الثمينة التي تحمي تعزراً من ثغور العقيدة في مفهوم ولاية الله، وتبطل ما يدعيه أدعياء الولاية والسحرة، وأشباههم من الأحوال الشيطانية، والمخارق الكاذبة، وإبطال ما يدعيه أهل الروحية الحديثة أو تحضير الأرواح التي تختفي تحت ستار العلم والتقدم العلمي الذي يُضفي عليها طابع التقدير والاحترام، فهذا الكتاب من خير ما يكشف حال هؤلاء ويميز بين أحوالهم وأحوال أولياء الله المؤمنين الصادقين، وهو نادر في موضوعه، إن لم يكن الوحيد.

والكتاب قد طبع عدة مرات، إلا أنه لم يلق العناية التامة، فلم تصحح ألفاظه، ولم توثق نصوصه على الوجه اللائق الذي تدعو إليه حاجة قراءة الكتاب، كما سيرى القارئ في التعليق على الكتاب.

وهذا الكتاب في اسمه قد يشبهه بكتاب آخر للمؤلف نفسه رحمته اسمه «الفرق بين الحق والباطل أو الفرقان بين الحق والباطل». ما يوجب -خطأ- أن يظن أنها كتاب واحد، والواقع أنها كتابان مختلفان في موضوعهما، فالفرقان بين الحق والباطل، يبحث في أسماء الله وصفاته، وهذا كما هو واضح من عنوانه يبحث في الولاية، والفرق بين أولياء الله وأعداء الله، فهذا الكتاب داخل ضمن كتب السلوك والتصوف، والكتاب الآخر داخل في كتب التوحيد.

وبعد:

فإني أحمد الله (تعالى) على توفيقه، وأشكره على ما يسره لي من إتمام تحقيق هذا الكتاب. وقد بذلت جهدي في خدمته تصحيحاً وتوثيقاً وإظهاراً له، حسب طاقتي، فما أدركت من توفيق وسداد فإني أحمد الله عليه، وما كان من خطأ أو تقصر فإنه بعد اجتهاد، فان فاتني فيه الصواب فلا يفوتني فيه الأجر (إن شاء الله تعالى) والتقصير من طبيعة البشر، ولكن المسلم مرآة المسلم. «ورحم الله من أهدى إلينا عيوننا».

د. عبد الرحمن بن عبد الكريم يحيى

ص. ب ٢١٥٣٨

الرياض ١١٤٨٥

وينقسم العمل في الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول

ويتشمل على:

- قيمة الكتاب العلمية.
- عرض إجمالي لموضوع الكتاب وقضاياها.
- ترجمة المؤلف.
- وصف النسخ المخطوطة للكتاب.
- منهج التحقيق.

قيمة الكتاب العلمية

أولاً: إنه من مؤلفات ابن تيمية الذي عرف عنه الإلمام بما يقول والاعتماد على الدليل والحجة الواضحة، وما عرف عنه يوماً من الأيام مؤلف ضعيف أو ألفه لأجل غاية سيئة، أو هدف مجهول، فكان بعيداً عن مثل هذه الأمور، ولذا كان له موقعاً في قلوب المسلمين، وكتبه الثقة والقبول.

ثانياً: هذا الكتاب فريد من نوعه - فيما أعلم - ولا غرابة في ذلك إذ أنه يميز الإنسان الصالح من الإنسان الفاسد رغم أن مظهرهما واحد، وكل منهما يدعي الصلاح، فهذا أمر لا يستطيعه أكثر الناس، ولو بلغ في العلم درجة، إذ لا بد مع العلم أن يكون الله قذف في قلبه من نوره، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية من هؤلاء، فما عرف عنه إلا التمسك بالكتاب والسنة، والصلاح والتقوى، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(١).

ثالثاً: معرفة ولي الله ومعرفة ولي الشيطان وتمييزهما وسيلة مطلوبة لتحقيق طاعة الله ورسوله، فتوالي أولياء الله، وتعاوي اعدائه أولياء الشيطان، وهذا الكتاب من خير ما يعين على ذلك. رابعاً: معرفة الأمر الخارق إذا كان كرامة، ومعرفته إذا كان حالة شيطانية، فما كان كرامة يحمده الله عليها، وتكون سبباً لزيادة المؤمنين إيماناً، إذ أن كرامات خيار أولياء الله داخله ضمن معجزات الرسول ﷺ كما بينه المؤلف في هذا الكتاب، وما كان منها حالة شيطانية يحذر الإنسان منها، ويبطلها أو يضعفها بما ورد من القرآن، كآية الكرسي، والدعاء والذكر.

خامساً: الضرورة إلى تفسير ما يحدث في كثير من المجتمعات من أمور غريبة يختلف الناس في تفسيرها، مما يوجب التباس الحق بالباطل والخطأ بالصواب والحقيقة بالخيال، ففي هذا الكتاب التفسير والتبصير، ما يجعل الواقف عليه على بيّنة من أمره أمام هذه الأحوال.

سادساً: ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب حاجة العصر إليه، فعصرنا هذا شبيه بعصر المؤلف إن لم يكن أسوأ حالاً بسبب استخدام الوسائل الحديثة، واندفاع كثير من الناس خلف المادة بأي وسيلة كانت فنشأت المؤسسات الروحية، وزعمت تحضير أرواح الموتى ومخاطبتهم، وادعوا الاطلاع على

(١) رواه الترمذي، وتخريجه كاملاً ص ١٣٢.

الغيب، ومعرفة أحوال الموتى وأنهم يعيشون في سعادة وهناء سواء منهم المسلم واليهودي والنصراني والبوذي، وغيرهم، ليقبلوا أهمية العقيدة فينسلخ الناس منها، وهذه دعوة مشهورة متمركزة في أمريكا، تقوم على أيدي وأموال اليهود لخدمة أهدافهم السياسية وتطلعهم لإضعاف الشعوب والسيطرة عليهم.

وهذا الكتاب يعرفنا على ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الآيات والأحاديث التي تكشف حال هؤلاء، وحال غيرهم من السحرة والدجالين وتبين أنهم على باطل، وما يأتون به هو بمعاونة الشيطان أو بتخيلاته أو خدع وحيالات باستخدام وسائل طبيعية تخفى على بعض الناس. ولما كان عصر المؤلف قد انتشرت فيه البدع والأحوال الشيطانية، كان سبباً لاندفاع بعض الناس يسأل الشيخ أن يكتب لهم ما يفرقون به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فكتب لهم هذا الكتاب، كما أشار إلى ذلك في آخره.

عرض إجمالي لموضوع الكتاب وقضاياها

من عنوان الكتاب نتصور مضمونه الذي جاء مطابقاً لعنوانه، فقد بيّن فيه المؤلف الفروق التي يُعرّف بها أولياء الرحمن من أولياء الشيطان وتُعرّف أحوالهم، وأضاف المؤلف إلى ذلك كثيراً من المباحث والمسائل الجانبية المفيدة.

ويمكن تحديد مباحثه الأساسية بثلاثة أمور هي: الولاية، والخوارق، وأحوال الجن مع الإنس. نجملها بالآتي:

أولاً: الولاية:

وهي ولاية الله، وولاية الشيطان: فولاية الله تنال بالإيمان والتقوى ومتابعة الرسول ﷺ ويعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة.

وأفضل أولياء الله تعالى الأنبياء، وأفضل الأنبياء المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأولياء الله متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله.

وهم على طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون.

فالسابقون: هم الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات.

والمقتصدون: هم الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، وفعلوا لأنفسهم ما أباحه الله لهم.

وكذلك في الآخرة أولياء الله على درجات في منازلهم من الجنة.

وأولياء الله ليس لهم ميزة على غيرهم من الأمور المباحات، لا بلباس ولا بحلق شعر أو تقصيره، ولا غير ذلك بل يوجدون في الزرّاع والصنّاع والتجار، ويوجدون في أهل السيف والجهاد والقرآن، ونحو ذلك.

وليسوا معصومين، ومن أعتقد فيه ولاية الله فلا يقبل عنه كل ما صدر منه، بل يجب عرضه على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ وما خالفهما ترك، لأن الواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ﷺ.

وأما ولاية الشيطان، فإنها تحصل بطاعته من الفسق والكفر والشرك والخروج عما جاء به محمد ﷺ وعدم متابعتة ظاهراً أو باطناً، كمن يقر في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الثقليين الجن والإنس، ويعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، مثل: أن لا يقر في الباطن بأنه رسول الله، وإنما كان ملكاً مطاعاً، ساس الناس برأيه، أو يقولون: إنه رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق، وأن الله أولياء خاصة لم يرسل إليهم ولا يحتاجون إليه، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه من غير واسطة، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة، وهم موافقون له فيها، وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها، أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته.

ومن علامات ولي الشيطان: كونه مباشراً للنجاسات والخبائث التي يجبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزناير وأذان الكلاب، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يجبها الشيطان، أو يدعو غير الله، فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلبس الكلاب أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى المقابر ولا سيما مقابر الكفار، أو يكره سماع القرآن وينفر منه، ويقدم على سماع الأغاني والأشعار، أو يؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن. ولاية الشيطان درجات بحسب حال صاحبها من الفسق والكفر والشرك.

وهناك من أولياء الشيطان من يدعي ولاية الله، وهو أبعد ما يكون عنها، كابن عربي وأمثلة من الكفار والمنافقين، فهؤلاء لا يكونون أولياء الله، ويحرم اعتقاد الولاية فيهم، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته كالأطفال والمجانين، لأن شرط ولاية الله الإيمان والتقوى.

ثانياً: الخوارق:

وهي كل أمر مخالف لما اعتاده الناس من جريان الأحداث، وهي أنواع، منها: المعجزات، ومنها الكرامات، ومنها الأحوال الشيطانية وما في حكمها.

وقد يشتهه على كثير من الناس ما يحدث لأولياء الله وما يحدث لأولياء الشيطان، فتعرف كرامات أولياء الله: بأن سببها الإيمان والتقوى ومتابعة الرسول ﷺ، وكرامات خيار أولياء الله داخله في معجزات الرسول ﷺ من حيث الغاية منها، والتي هي الحجة في الدين أو الحاجة في المسلمين. والكرامات ليست دليلاً على كمال الولاية لله، بل تكون بحسب الحاجة إليها، فيحتاجها ضعيف الإيمان، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عنها، ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة.

والكرامة لا يتبجح بها، بل إن كثيراً من الصالحين يكره ذلك وإذا ما حصلت يسأل الله زوالها، خوفاً على نفسه من الفتنة أو نقص درجته.

وأما الأحوال الشيطانية: فتعرف بأن سببها الفسوق والعصيان ومخالفة الرسول ﷺ. وهي تنوع بحسب حال صاحبها من طاعته للشيطان، فمن كان أكثر طاعة للشيطان، كان أكثر أحوالاً وأنواعاً من غيره.

والأحوال الشيطانية تقوى عند الرقص وسماع الغناء ومزامير الشيطان، وتبطل أو تضعف عند ذكر الله وتوحيده، أو قراءة القرآن، لا سيما آية الكرسي. وما كان من هذه الخوارق في أماكن البدع فهو أقرب إلى الأحوال الشيطانية، كالذي يحصل عن المشاهد، ونحوها.

ومن هذه الأحوال الشيطانية ما يكون بواسطة حيل طبيعية، كمن يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارج ودهن الضفادع ونحوها.

ثالثاً: أحوال الجن مع الإنس:

وهي ثلاثة أحوال:

الأول: من يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده، وطاعة رسوله ﷺ فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ.

الثاني: من يستعمل الجن في أمور مباحة له، ويأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، فهذا إن قدر أنه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون في عموم أولياء الله.

الثالث: من يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله، وإما في الشرك، أو الكفر، أو الفسق، كمن يستعملهم في قتل معصوم، أو جلب من يطلب فيه الفاحشة، ونحو ذلك، فهذا حكمه بحسب حاله.

هذا مجمل المباحث الأساسية في الكتاب، وقد فصلها المؤلف موزعة في أربعة عشر فصلاً، وذكر ما يتعلق بها من مباحث جانبية.

وفيما يلي عرض مجمل لما تتضمنه هذه الفصول:

الفصل الأول:

وفيه بيان معنى الولاية والعداوة، ووجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كما فرّق الله ورسوله بينهما، وذكر ما يدل على ذلك من آي القرآن الكريم.

وبيان أن أفضل أولياء الله تعالى الأنبياء، وأفضل الأنبياء المرسلين منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ وشريعته أفضل الشرائع، وأمة أفضل الأمم، وأن شريعة محمد ﷺ ليست بحاجة إلى غيرها من الشرائع بخلاف الشرائع السابقة، كشرعية عيسى عليه السلام، فإنها محتاجة إلى شريعة التوراة.

وفيه أيضاً بيان بطلان ما يزعمه أديعاء الولاية في أهل الصفة، وكذب ما يروونه فيهم من الأحاديث، وكذلك كل حديث يروى في عدة لأولياء والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب، وأنه لم ينطق أحد من السلف بشيء من هذه الألفاظ، إلا بلفظ الأبدال، ويروى فيهم حديث منقطع ليس بثابت.

الفصل الثاني:

وفيه بيان اجتماع الإيمان والنفاق في الشخص الواحد، فيكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، ويكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه، وأن أولياء الله متفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة، وأن أعداء الله متفاضلون بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.

الفصل الثالث:

وفيه ذكر انقسام أولياء الله إلى طبقتين: سابقين مقربين، وأصحاب يمين مقتصدون، وعمل كل منهم.

وفيه بيان أن انقسام الأنبياء نظير انقسام الأولياء، فمنهم العبد والرسول، والنبي الملك، وأن العبد الرسول أفضل من النبي الملك، وقد خير الله محمد ﷺ بين ذلك فاختر أن يكون عبداً رسولاً.

الفصل الرابع:

وفيه بيان أصناف المصطفين من هذه الأمة، المذكورين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّاثٌ عَدُنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

وتحقيق القول بالمراد بالظالم لنفسه، والرد على المرجئة والمعتزلة في هذا المقام.

الفصل الخامس:

وفيه بيان أن أصل الإيثار هو الإيثار برسول الله، وجماع ذلك الإيثار بمحمد ﷺ لأن الإيثار به يتضمن الإيثار بجميع الرسل.

وأن أصل الكفر هو الكفر بالرسل، لأن الكفر بالرسل يستحق صاحبه العذاب، لأنه لا عذاب إلا بلوغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

الفصل السادس:

وفيه بيان أن الإيثار يكون مجملاً ويكون مفصلاً، وأن الإيثار المفصل هو العلم بما جاء به الرسول ﷺ والإيثار به إيماناً مفصلاً والعمل به، فمن كان كذلك كان أكمل ولاية لله، ممن لم يعلم ذلك.

وأن الجنة درجات متفاوتة، وأولياء الله في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

وأن الأنبياء كذلك متفاوتون، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الفصل السابع:

وفيه بيان أن الإيثار والتقوى شرط في ولاية الله، فلا يكون الكفار والمنافقون أولياء لله، ولا من لا يصح إيمانه وعبادته، كالأطفال والمجانين.

وفيه بيان أنواع الجنون، وأحكام المجانين من حيث الإيمان، والكفر، والولاية، والعداوة.

الفصل الثامن:

ذكر فيه أن أولياء الله ليس لهم ميزة في الظاهر عن غيرهم في الأمور المباحات، وأنهم يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ.

كما ذكر فيه ما يسمى به أهل الدين والعلم عند السلف والخلف، وأنهم كانوا يسمون عند السلف بالقراء، فيدخل فيهم العلماء والنسك، ثم حدث اسم الصوفية والفقراء. وبهذه المناسبة ذكر في هذا الفصل أصل معنى الصوفية، وما قيل في ذلك، ومعنى الفقر في الشرع، واستطرد المؤلف بذكر صفة المهاجرين، وفضل الجهاد في سبيل الله، وحكم الصمت في الإسلام، والامتناع عن الطيبات.

الفصل التاسع:

وفيه بين المؤلف أن العصمة ليست شرطاً في الولاية، بل إن ولي الله يغلط ويخطئ، ويجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتهبه عليه بعض أمور الدين. وبين أن بعض الناس يغلط فيمن يظنه ولياً لله فيوافقه في كل أحواله، وأن بعضهم إذا رآه قد فعل أو قال ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية، وأن خير الأمور أوسطها، وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً، وأنه يجب عرض كل ما يصدر عن الولي على الكتاب والسنة، وأن الواجب اتباع ما جاء به الرسول ﷺ دون ما سواه، فالمخالفة للعالم ليست مخالفة للشرع، واستدل المؤلف على ذلك بحال عمر، وهو المحدث الذي عرف بصواب الرأي وموافقة الوحي، ومع هذا فكان عمر يشاور الصحابة وينظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ولا يقول لهم أنا محدث ملهم مخاطب.

كما استشهد المؤلف ببعض أقوال قدماء الصوفية المعروفين بالاعتصام بالكتاب والسنة.

كما ذكر أن كثيراً من الناس يغلط فيظن في شخص أنه ولي لله وأن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، وبين منشأ هذا الظن الخاطئ وما يترتب عليه من أنواع الباطل.

كما أوضح مقومات الولاية الحق، وأن ليس منها الخوارق، وأن الخوارق تكون لأولياء ولأعداء الله، وأن الذي يميز بين الفريقين ويفصل بين النوعين من الخوارق عرض أحوال وأقوال من ترى فيه الولاية على الكتاب والسنة، وهذا التمييز والفرقان إنما يكون لمن قذف الله في قلبه من نوره، فكان من أهل العلم والإيمان.

الفصل العاشر:

في بيان أن الحقيقة الحق هي حقيقة دين رب العالمين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي الغاية المقصودة، وهي دين جميع الرسل، وأن لكل منهم شرعة ومنهاجًا للوصول إلى هذه الغاية المقصودة.

وأن هذه الحقيقة هي حقيقة دين الإسلام، فإن دين الإسلام هو أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لله ولغيره كان مشرکًا.

وإن دين الأولين والآخرين هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الفصل الحادي عشر:

وفيه ذكر اتفاق الأمة على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء.

وأن السعداء المنعم عليهم على أربع مراتب: النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وأن أفضل الأولياء بعد النبيين أبو بكر.

وفيه ذكر طائفة غالبة في ظنها أن خاتم الأولياء يكون أفضل الأولياء، قياسًا على خاتم الأنبياء، وبيان أن هذا قياس باطل، لأن فضل محمد ﷺ ثابت بالنص لا بكونه خاتم الأنبياء.

وفيه ذكر طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، كما يزعم ذلك ابن عربي وأمثاله من ملاحدة الصوفية، ويدعون أن لهم طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ ويفضلون الولاية على النبوة، ويزعمون أن النبوة لم تنقطع، وينكرون الملائكة.

وبيّن المؤلف أن عقيدة هؤلاء هي عقيدة ملاحدة الفلاسفة القائلين بقدوم العالم ونفي علم الرب بالجزئيات، ونظرية العقول العشرة، وبين أن أصل عقيدة ملاحدة الصوفية هي وحدة الوجود التي هي إنكار الله تعالى.

الفصل الثاني عشر:

وفيه ذكر اشتباه الحقائق الدينية والكونية على كثير من الناس، وأنه يجب الإيثار بأنه تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما يجب الإيثار بأنه أمر بطاعته وطاعة رسله، وأن أعظم الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك. وفيه أن العبد مأمور بالتوبة والاستغفار، وأن كل أحد محتاج إلى ذلك، وأن الاحتجاج بالقدر على الذنوب باطل، وهو سبيل المشركين.

وفيه ذكر حديث احتجاج آدم وموسى، ومذاهب الناس فيه.

وفيه بيان الواجب على العبد عند المصائب، وحكم الصبر والرضى عند ذلك.

وفيه بيان أن كثيرًا من الناس لا يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية، ولا بين أولياء الله وأعداء الله، ولا يفرق بين الشرع المنزل والشرع الذي هو حكم الحاكم، وأن الواجب هو الفرق بين ذلك كله، وأن شرع الله لا يسع أحد الخروج عنه، بخلاف حكم الحاكم، فإنه قد يكون ظلمًا، وقد يكون عدلاً.

الفصل الثالث عشر:

ذكر المؤلف في هذا الفصل أن الله بيّن الفرق بين الكوني الذي خلقه، وإن كان لا يحبه، والديني الذي شرعه، وذلك في كل من الإرادة، والأمر، والإذن، والقضاء، والبعث، والإرسال، والجعل، والتحريم، والكلمات، وذكر دلائل ذلك من آي القرآن الكريم.

كما ذكر المؤلف جماع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأنه موافقة الرسول ﷺ.

كما أوضح الغاية من معجزات الرسول ﷺ وكرامات خيار الأولياء، وذكر أمثلة من النوعين.

وأوضح الفروق بينها وبين الأحوال الشيطانية من حيث الدوافع والغايات، وصفات من تجري

على أيديهم.

كما ذكر موقف الناس من الخوارق، وأنهم ثلاثة أصناف: طرفان ووسط: فمنهم من يكذب بوجود الخوارق لغير الأنبياء، ومنهم من يظن أن كل من حصل له خارق كان ولياً، والصواب الاعتبار في الولاية بالإيمان والتقوى ومتابعة الرسول ﷺ.

وقد أفاض المؤلف بعد ذلك في الحديث عن الخوارق الحقيقة والأحوال الشيطانية وأجناسها، وموقف من تجري على أيديهم منها، وأمثلة من الواقع الذي عرفه الشيخ بنفسه.

كما بين أن الخوارق من جنس الابتلاء الذي ذكره الله في قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

فلا يكون حصول الخارق دليلاً على الكرامة، وإنما الكرامة لزوم الاستقامة.

الفصل الرابع عشر:

وفيه بيان عموم رسالة محمد ﷺ لجميع الثقيلين الجن والإنس، وأن الجن استمعوا القرآن، وآمنوا به، واجتمعوا بالرسول ﷺ وطلبوا منه الزاد لهم ولدوابهم فأعطاهم ذلك.

وفيه أجمل المؤلف أحوال الجن مع الإنس في ثلاثة أمور وبين حكم كل منها:

الأول: من يأمر الجن بها أمر الله به ورسوله ﷺ وهذا أفضل أولياء الله تعالى.

الثاني: من يستعملهم في أمور مباحة له، ويأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، فهذا إن قدر أنه من أولياء الله تعالى فغاياته أن يكون في عموم أولياء الله.

الثالث: من يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله إنما في الشرك أو الكفر أو الفسق، فهذا حكمه بحسب حاله.

ثم ذكر بعض الأحوال الشيطانية، وأن منها ما يكون بواسطة حيل طبيعية، كمن يدخل النار بحجر الطلق، وقشور النارج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية.

هذا عرض إجمالي لقضايا الكتاب، وقد بسطها المؤلف ذاكراً فروعها ومشيراً إلى بعض المسائل

الجانبية التي تلم أطراف الموضوع وتزيد من الفائدة.

والمؤلف في ذلك كله يبسط المسائل ويبين الحق من الباطل بالدليل الواضح والحجة القوية من الكتاب والسنة، وما أثر عن السلف، وبمقتضيات العقل والفطرة السليمة.

ويرد على أهل الشبه والطوائف المنحرفة، ويناقش أدلتهم، ويكشف باطلهم، بعيداً عن التعصب والأهواء والأساليب الضعيفة، وإنما الحق وإظهاره والدعوة إليه.

ترجمة المؤلف

شيخ الإسلام ابن تيمية، علم مشهور، ترجم له الكثير من العلماء والكتّاب، وأفرد بمؤلفات خاصة، بعضها شمل حياته، وبعضها اقتصر على ذكر جانب منها، وهذا مما يغني عن الإسهاب في ترجمته هنا، وإنما أوجزها بما يلي:

أولاً: نسبه ونشأته:

هو تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن الخضر - أبو العباس - ابن تيمية الحراي. وفي اسم تيمية قيل: أن جده محمد بن الخضر، حج درب تيباء فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً، فقال: يا تيمية، فلقب بذلك. وقيل: أن جده هذا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها.

وكانت ولادة ابن تيمية في يوم الاثنين عاشر - وقيل ثاني عشر - من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، بحران، بلدة شمال شرق تركيا، وبعضهم قال: إنها حران التي شرق دمشق، والأول أصح لقول ابن عبد الهادي في أن والد ابن تيمية سافر به وبإخوته من حران إلى الشام، فدل ذلك على أنها حران التي خارج الشام.

وكان قدوم ابن تيمية إلى دمشق في أثناء سنة ٦٦٧هـ، ونشأ بها وأنبته الله نبأً حسناً.

ثانياً: علمه:

نشأ حين نشأ حجور العلماء، فوالده من كبار الحنابلة، وكانت علامات النجابة ظاهرة عليه من صغره، وكان مولعاً بالمطالعة والمعرفة، ذا همة عالية، وكان يحضر المدارس والمحافل، ويناظر، ويأتي بما يتحير منه كبار العلماء، وأفتى وله تسعة عشرة سنة.

وقد سمع من جمع من العلماء يزيد من مائتي عالم، منهم: زين الدين أحمد بن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، والكمال ابن عبد، والمجد بن عساكر، والجمال يحيى بن الصيرفي، وأحمد بن أبي الخير،

والقاسم الأربلي، وفخر الدين بن الحارثي، والكمال بن عبد الرحيم، وأبي القاسم بن علان، وأحمد بن شيبان، وأصحاب الخشوعي، وغيرهم.

وسمع مسند الإمام أحمد، والكتب الستة الكبار، والأجزاء، ومعجم الطبراني الكبير. وحفظ القرآن، وأقبل على التفسير، والفقه، وعلوم اللغة، وبرز في ذلك، ولم يبرح في ازدياد حتى انتهت إليه الإمامة، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وله في ذلك مسائل معروفة^(١).

وكان مع سعة معارفه، غزير العلم في كل فن، وقد برز خصوصاً في علوم الكتاب والسنة، حفظاً وإدراكاً واستنباطاً للأدلة، ومعرفة الأحاديث ورواتها ودرجتها، عارفاً لأقوال العلماء واختلافهم، وبصره ثاقب للحق فيما قالوه ونقلوه.

وقد جمع الله له مع العلم العمل به، والشجاعة والزهد، والورع والمهابة، وشدة التمسك بالأثر، والصبر والحلم، واتصف بكل حسن من الأخلاق.

ثالثاً: جهاده ووفاته:

كان قد اجتمع في عصره القلاقل السياسية والاجتماعية، فكان التتار يغيرون على البلاد الإسلامية، ويسعون في الأرض فساداً، والناس في خوف ورهبة.

والبدع والضلال تنتشر في المجتمع، فجاهد ابن تيمية كل ذلك، فحمل السلاح، وشارك في قتال التتار، وكان من أشجع الناس وأقواهم قلباً وأثبتهم جأشاً، يركب الخيل، ويجول في العدو، ويكبر تكبيراً أنكى في العدو من السلاح، وكان له أثر كبير في قوة المسلمين، يشجعهم ويبشرهم ويعدهم بنصر الله.

ومن جهة أخرى جاهد أهل البدع على مختلف الأصناف، كأهل الإلحاد، والفلسفة، والجدل، والرافضة، والمتصوفة، وبدعهم المتفشية، وقد أظهر الله الحق على يديه.

(١) وقد جُمعت اختياراته، منها ما جمعه البجلي باسم (الاختيارات الفقهية) وابن القيم في كتاب سماه (اختيارات ابن تيمية).

ومع ذلك فقد برز له فئة من الفقهاء والمتصوفة فناصبوه العدا، ورموه بالتهم لاجتهاده وظهوره بآراء شذبا في رأي هؤلاء، وظاهرهم بعض من وافقهم من أهل الجاه والسلطان، فناظرهم الشيخ بالأدلة والبراهين، وأبطل شبههم، وكان له مواقف مشهورة مع هؤلاء وغيرهم كان للشيخ فيها الفضل في إظهار الحق وقمع الباطل.

وقد لاقى في ذلك المحن، فطرد من بلاده، وأدخل السجن عدة مرات، وهو مع ذلك صابر ومحتسب، وكان آخر سجنه بقلعة دمشق، بسبب فتواه في السفر لزيارة القبور، وضيق عليه، وتوفي بالسجن ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، وصلي عليه في جامع دمشق. وكان مشهد تشييعه أمراً عظيماً، فقد تراحم الناس على جنازته، وعلت الأصوات بالبكاء والدعاء والثناء، وقد حضر جنازته ما يزيد على مائة ألف رجل وخمسة عشر ألفاً من النساء، رحمة الله وأجزل له الثواب، وجعله مع النبيين والشهداء والصديقين والصالحين.

رابعاً: آثاره:

من إكرام الله لشيخ الإسلام ابن تيمية تتابع الخير عليه في حياته وبعد مماته، ففي أثناء حياته كان ينعم بحلاوة الإيمان التي لم تترك للمحن أثراً عليه، وبعد موته لم ينقطع عمله، فكان له تراثاً ثميناً من المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم لا يزال المسلمون يستفيدون منها، ويجدون فيها ما قد لا يجدونه في غيرها من غزارة العلم وعظيم الفائدة.

وقد بلغت مؤلفاته ثلاثمائة مجلد أو أكثر، منها ما صنف بمصر ومنها ما صنف بدمشق، ومنها ما صنّفه وهو في السجن، وكان يكتب من حفظه، وقد منّ الله عليه بسرعة الكتابة وبركة الوقت.

ولابن القيم رسالة خاصة في مؤلفات ابن تيمية، ذكر فيها ما يزيد عن ثلاثمائة مؤلف، وأبرز هذه

المؤلفات هي:

منهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: يقع في ست مجلدات، طبع منه مجلدان، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيقه كاملاً، وسوف يظهر مطبوعاً إن شاء الله تعالى.

وقد هياً الله لمؤلفاته أن جمع الكثير منها، من ذلك ما جمعه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، باسم: مجموع فتاوى ابن تيمية، ضمنه أكثر الرسائل والمسائل.

ومن آثاره -أيضاً- تلاميذه الذين كانوا امتداداً لأعماله في الدعوة إلى الله والتمسك بالكتاب والسنة، ومن أبرز هؤلاء وأشهرهم وأعظمهم رسوخاً في العلم الإمام ابن القيم، وقد عُرِفَ شيخ الإسلام ابن تيمية بكثرة تلاميذه والمستفيدين منه^(١).

(١) أخذت ترجمة المؤلف هذه من: (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية)، لابن عبد الهادي. والأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية)، للحافظ عمر بن علي البزار، و(البداية والنهاية)، لابن كثير: ١١٥/١٤. وانظر: (الأعلام) للزركلي ١/١٤٤.

وصف النسخ المخطوطة للكتاب

وجدت للكتاب ست نسخ مخطوطة:

الأولى: موجودة في مكتبة الرياض العامة السعودية، رقمها ٨٦/٤٧، وعدد أوراقها (٥٤) ورقة، مقاس ١٥×٢٢ سم، كتبها عبد الله بن عتيق سنة ١٠٦٦هـ، بخط معتاد، كتب بعض الكلمات بالحمرة، وبها أثر رطوبة وبلل، وقد قوبلت بنسخة أخرى كما هو مذكور في آخرها. وقد رمزت إليها بالحرف (أ).

الثانية: موجودة في مكتبة جامعة الملك سعود، رقمها (١٥٩٢)، وعدد أوراقها (٣٣) ورقة، مقاس ١٥×٢٢ سم، وخطها معتاد، كتبها محمد بن الحاجي علي، سنة ١١١٤هـ، وبعض كلماتها كتبت بالحمرة، وبها أثر رطوبة ويقع. وقد رمزت إليها بالحرف (ب).

الثالثة: موجودة في مكتبة الرياض العامة السعودية، رقمها ٨٦/٥٦٧، وعدد أوراقها (٣٩) ورقة، مقاس ١٣×٢٠ سم، كتبت سنة ١٢٢٧هـ بخط معتاد، ذكر في الصفحة الأولى والأخيرة أنها قوبلت وصححت. وقد رمزت إليها بالحرف (ج).

الرابعة: موجودة في مكتبة الرياض العامة السعودية، ورقمها ٨٦/٤٦٠، وعدد أوراقها (٧٩) ورقة، مقاس ١٨×٢٢ سم، كتبها عبد الله بن مبارك أبو عقيل سنة ١٢٩٠هـ، بخط معتاد، تكثر فيها الأخطاء. وقد رمزت إليها بالحرف (د).

الخامسة: موجودة في مكتبة الرياض العامة السعودية، ورقمها ٨٦/٣١٨، وعدد أوراقها (٤٦) ورقة، مقاس ٢٣×، كتبها عبد العزيز بن ناصر بن راشد بن تركي، في القرن الثالث عشر الهجري، وخطها معتاد، وفي بعض هامشها تصحيحات، وهي نسخة جيدة، وقد قوبلت كما هو مذكور في هامشها.

وقد رمزت إليها بالحرف (هـ).

السادسة: موجودة في المكتبة الأزهرية بالأزهر، ورقمها (٣٩٨٩)، وعدد أوراقها (٤٩) ورقة، كتبها أحمد بن عبد الله بن محمد بن خطاب، سنة ٩٠٩هـ، بخط معتاد، وفي بعض هوامشها تصحيحات.

وقد رمزت إليها بالحرف (و).

وهذه النسخة وإن كانت أقدم النسخ إلا أني جعلتها الأخيرة في الترتيب الهجائي، لأنها لم تصل إلا بعد الشروع في التحقيق.

كنتم تنهون الله فاستمعوا له يا اهل البصر انتم المرءة فقوم
 انهم جميعا انما نزلوا هذه الآية فيمنعهم وقد بينا ان
 اتبع الرسول فانما يحره الله اذرى يحب الله ولم يفتح الرسول
 فليس من اولياء الله ولا يكون من اولياء الله وان كان كثير من الناس يظنون
 انهم انفسهم او في غيرهم انهم من اولياء الله ولا يكونون اولياء الله الا لله
 والذين ان يدعون انهم اولياء الله فادعوا الله وانتم تعلمون ان الله يعلم
 بل انتم تكتمون خلقوا من غيرهم وقال الله وادعوا الى دين الله انتم تعلمون
 ان الله انما انهم انما هو الله ولا يشركوا الله شيئا من
 انهم اهل الله انفسهم من كل دين وادعوا الى دين الله ولا تشركوا الله شيئا
 على انفسهم كما ان الله قد انزل على نبيكم فكنتم على اعداء تاممتم
 منكم انفسكم وادعوا الى دين الله الذي كفرتم فليستوا
 الى قولهم بعد ذلك من المسجد بكم وما كانوا اولياء الله انما وليكم
 الله الموفقون فبين انهم انما وليكم الله الموفقون فليستوا
 اولياء الله الموفقون ونبئت في الله صبيحت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
 سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلمان من بني اسرائيل انما وليكم الله
 وليكم النبي فالفقه من انما وليكم الله الموفقون فليستوا
 لعولم انما وليكم الله الموفقون فليستوا من انما وليكم الله الموفقون
 انما وليكم الله الموفقون فليستوا من انما وليكم الله الموفقون فليستوا
 وعمر وهما من اولياء الله الموفقون الذين بايعوا النبي الموفقين
 وكانوا الغايات من انما وليكم الله الموفقون فليستوا من انما وليكم الله الموفقون

انهم
 انهم
 انهم

كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن
 وأولياء الشيطان تأليف
 الشيخ الامام العالم العامل العلامة
 تقي الدين الهبلي رحمه الله
 ابن عبد صالح بن حميد
 كرم الله وجهه
 رحمه الله
 سنة ١٢٨٦ هـ
 في شهر ربيع الثاني
 في مدينة جدة
 بمكة المكرمة
 في داره
 في داره
 في داره

كجهت في العالم وهو الذي يتبدل الوجه على كل
 وقت في ليلة يوم صاحبه في الملكة التي
 الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٦ هـ
 الخطيب قازمانا بعد كتابه وصاحبه الخطيب
 باربعه بعد كان كاتبه قازمان الخطيب
 حسي لمد لا العالم هو عليه فكلت والمد لمد

الصفحة الأولى من المخطوط الثاني

الذين حصل لهم بغير من هذه الخوارق إذا كذب بها ميركا يعرفه وقول انكم تتعلمون ذلك بطريق الخيلة لا تدخل انما خير العلق وقشر رانها لونه ودهن انفسنا وعين غير ذلك من الخيلة الطبيعية يتعجب هموكه واستار ويتوعدنا وادعية حرف شيئا من هذه الخيل فلما نباء هم اخير انكم صادقون في ذلك ولكن هذه احوال شيطانية اقروا بذلك وقاب منهم من تاب ما تبين له الحق وظهر لهم مسمت وجهه انهم من الشيطانية ورواها من الشياطين لا اراد انما يتصل كمال البعد انذمت في الشريعة وعند المداصرة لله ورسوله بركة يفتخر فيها بحبها مع تمام ورسوله من الدنيا رات الشريعة فعلوا حشدا ان هذا من حيارين الشيطانية لا اولياءه لان كرامات الرحمن لا اولياءه تمت الرسالة بدوام الله

على يد ابي عبد الصغيف الخياط الى رحمة ربه انفس
محمد بن الخياط على عفو الله له ولوالديه
ولمن دعي لهم باخيرا بين
محمد بن سيد مرتضى
و محمد بن...





الصفحة الأولى من المخطوط الخامس

الصفحة الأخيرة من المخطوط الخامس

سائر الثابتة فانها غير موجبة للظاهرة فلم يشترط العلم بصحتها زوالها بل هذا اليمين فيها
 انما يستجراؤها بخلاف الاولى واسم العلم انتهى باسم اليسوع ابن ولام صا صا بارعا لم يغيره
 الدم وروية قاله شيخنا نقله عن كذا: بزونه باسم الرحمن قال الشيخ في نسخة ابن حبيب
 الله الذي يظهر ظهرا في قوله ولو استعملنا ولم يدرنا في الانا لم يصح ومنه وفسد الما
 ارجوان يصح على يد من الانا الذي فيه الماسه ذكره في الما واولو بنو سلمة يولد الما
 ما صرنا حصل والماله هذه تسلوب الطهوية تسمى هذه الحاصل غير تسمى ما تسمى
 الخمس وهذه احد الروايتين والرواية الثانية انه ظهر لانه لم يفسد به انما تسمى
 وفسد الما الذي حصل في ذلك وهو مسمى فيما يظهر على القول بان الحاصل في الما
 كما افتار جمع مسمى الوضوء ونحوه حيث لم يحصل الما في جميع البده تسمى

منهج التحقيق

أولاً:

قابلت بين النسخ المخطوطة للكتاب، وقد رأيت من الفائدة أن أضع إلى جانب هذه النسخ المخطوطة؛ النسخة المطبوعة الأكثر تداولاً بين الناس، وهي طبعة المكتب الإسلامي، والتي بين أيدينا، هي الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ.

وهنا لم أعتد نسخة بعينها تكون أصلاً، وإنما قارنت النسخ بعضها ببعض، فما اتفقت عليه أثبته، وما اختلفت فيه أثبت ما أراه الأقرب إلى مراد المؤلف وأسلوبه، فما كان يتناسب مع السياق ويستقيم به اللفظ أو تتضح به العبارة أو يقوى به المعنى أثبته وأشرت إلى المخالف. وإن اختلفت الألفاظ واتفقت في المعنى أثبت الأكثر نسخاً وأشرت إلى المخالف.

ثانياً:

رقمت الآيات وخرجت الأحاديث والآثار، فما كان من الأحاديث ذكره المؤلف وذكر راويه ومرجعه، اكتفيت بتحديد موضعه من ذلك المرجع، وأضفت إليه ما وقفت عليه من المراجع. وإن لم يذكر شيئاً من ذلك خرّجته وذكرته راويه، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وما كان في غيرهما أوردت ما قيل في درجته ما أمكن ذلك.

وما كان من الأحاديث الموضوعية أشرت إلى بعض من ذكره زيادة في الفائدة.

وقد يشير المؤلف إلى الحديث أو الأثر فقط، فإن رأيت في إيراد لفظه زيادة فائدة أوردته، وإلا اكتفيت في تخريجه من مرجعه.

ثالثاً:

ما أورده المؤلف من الأقوال والآراء الفقهية أشرت إلى ذلك من بعض مراجعه من كتب الفقه، لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل التمثيل حتى يسهل الرجوع إليها لمن أراد معرفة التفصيل.

رابعاً:

ترجمت لكل علم في أول موضع ورد فيه، وقد يتكرر ذكره فأهمله خشية من كثرة التهميش والأرقام، ويعرف مكان ترجمته من الفهرس.

خامساً:

شرحت الألفاظ الغريبة، وعرفت بالكتب والطوائف والأماكن، وذلك عند أول ورودها في الكتاب، وما تكرر منها أشرت إلى موضعه الأول.

سادسًا:

كثيرًا ما يتطرق المؤلف لبعض المسائل الجانبية، فيذكر طرفًا منها، ثم يعدل عنها، ويشير إلى أنه قد بسطها في موضع آخر فأحاول بقدر الإمكان تحديد ذلك الموضع من كتبه.

سابعًا:

وضعت عناوين جانبية لفقرات الكتاب البارزة.

ثامنًا:

اتعبت في الرموز وعلامات الترقيم ما هو متعارف عليه عند الباحثين.

تاسعًا:

وضعت خاتمة في آخر الكتاب ضمنتها ما لاحظته أو استفدته من خلال العمل في الكتاب.

عاشرًا:

وضعت فهرس تشير إلى ما ورد في ثنايا الكتاب من الأحاديث والآثار والأعلام والكتب والأماكن والمصطلحات والأمم والفرق والمراجع والموضوعات.

والله حسبي، ونعم الوكيل.

القسم الثاني
تحقيق الكتاب

افتتاح المؤلف للكتاب بخطبة الحاجة [خطبة الكتاب]

(١) الحمد لله نستعينه^(٢) ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد^(٣) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد^(٤) أن محمداً عبده ورسوله^(٥) أرسله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وأذناً صماً، وقلوباً غلفاً، وفرق^(٦) به بين الحق

(١) في ج، د: قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة رحمته: «الحمد لله نعمده ونستعينه».

(٢) في أ، د، والمطبوعة: ونستهديه.

(٣) في أ، ب، ج، والمطبوعة: ونشهد. ولعل ما أثبت هو الصحيح لموافقته روايات الحديث.

(٤) في أ، ب، ج، والمطبوعة: ونشهد. ولعل ما أثبت هو الصحيح لموافقته روايات الحديث.

(٥) تعرف هذه بخطبة الحاجة، وقد رواها عن الرسول ﷺ جمع من الصحابة، من ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس، وما رواه أحمد، وابن ماجه عن ابن عباس وابن مسعود، وما رواه أبو داود والترمذي والنسائي والدرامي عن ابن مسعود.

انظر: صحيح مسلم ج ٢، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم ٨٦٨ ص ٥٩٣.

والمسند ج ١ ص ٣٠٢، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٣٢.

وسنن أبي داود، ج ٢، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، حديث رقم ٢١١٨، ٢١١٩ ص ٥٩١، ٥٩٢.

وسنن الترمذي، ج ٢، أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، حديث رقم ١١١١ ص ٢٨٥.

وسنن النسائي، ج ٦، كتاب النكاح، ما يستحب من الكلام عند النكاح، ص ٨٩.

وسنن ابن ماجه، ج ١، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، حديث رقم ١٨٩٢، ١٨٩٣، ص ٦٠٩.

وسنن الدرامي، ج ٢، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، ص ١٤٢. وقد خرجها الشيخ الألباني في كتاب سماه «خطبة الحاجة».

(٦) في د: وفرق.

والباطل والهدى والضلال، والرشاد والغى، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء^(١) الله.

فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن.
ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من (أعداء الله و)^(٢) أولياء الشيطان.

انقسام الناس إلى أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

وقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن الله أولياء من الناس وللشيطان أولياء.

^(٣) وفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٢٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦].^(٤)
وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلىُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) في ب: وأعدائه.

(٢) ما بين القوسين سقط من هـ.

(٣) في أ، هـ، المطبوعة: ففرق.

(٤) وهذه الآية لم ترد في أ، ب، د.

مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المائدة: ٥١-٥٦].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الكهف: ٤٤].

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٥٠﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال تعالى^(١): ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

(١) زاد في ب، د، هـ: وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴿﴾ [الأعراف: ٢٧-٢٨]. إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿﴾ [الأعراف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴿﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴿﴾ [المتحنة: ١]. إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [المتحنة: ٥].

الفصل الأول

وجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وإذا عرف^(١) أن الناس فيهم^(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان^(٣) فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما^(٤). فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

[أصح حديث يروى في الأولياء]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري^(٥) وغيره عن أبي هريرة^(٦) عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة (أو فقد أذنته بالحرب)^(٧) وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه

(١) في ب: وإذا عرفت.

(٢) في أ، ب، ج: منهم.

(٣) في ج، د: أولياء للرحمن وأولياء للشيطان.

(٤) قوله (بينهما) سقطت من ب.

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة - أبو عبد الله - البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ، وتنقل في طلب الحديث حتى صار الإمام في علم الحديث، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، وكتاب (التاريخ) وغيرهما من التصانيف. توفي سنة ٢٥٦هـ، في (خرتنك) قرية من قرى (سمرقند).
انظر: تهذيب التهذيب ٩/٤٧-٥٥، طبقات الحنابلة ١/٢٧١-٢٧٩.

(٦) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة. أسلم سنة (٧) من الهجرة، وهو أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، قدم المدينة مهاجراً وسكن الصفة، كان محبوباً لدى الناس، قال عنه ابن تيمية: صحب النبي ﷺ أقل من أربع سنين فأخبره كلها متأخرة. توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ.

انظر: الاستيعاب ٤/١٧٦٨-١٧٧٢، الإصابة ٧/٤٢٥-٤٤٥، الرد على المنطقيين ص ٤٤٦.

(٧) في ج: وفي رواية فقد أذنته بالحرب، وفي د: سقط ما بين القوسين.

الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطن بها، ورجله التي يمشي بها، (وفي رواية^(١)):
فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطن وببي يمشي، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما
ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد
له منه^(٢) فهذا أصح حديث يروى في الأولياء.

فبيّن النبي ﷺ: أن^(٣) من عادى ولياً^(٤) لله فقد بارز الله في المحاربة^(٥).

وفي حديث آخر: «وإني لأتأثر لأولياي كما يتأثر الليث الحرب»^(٦) أي أخذ ثأرهم ممن عاداهم كما
يأخذ الليث الحرب ثأره.

وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما
يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى^(٧)، وأعطوا لمن يجب أن يعطى، ومنعوا

(١) ما بين القوسين سقط من ب، د، هـ.

(٢) قوله: (فقد بارزني بالمحاربة) لم ترد في البخاري، وإنما هي من رواية الطبراني عن أبي أمامة، والبيهقي عن أبي
هريرة.

وكذلك قوله: (وفي رواية في يسمع وببي يبصر وببي يبطن وببي يمشي) لم ترد في البخاري، وقد ذكرها الحكيم
الترمذي في كتاب ختم الأولياء.

وقوله: (ولا بد له منه) من رواية الطبراني، وابن أبي الدنيا عن أنس. وقد تكلم عن هذا الحديث ابن رجب في
جامع العلوم والحكم، وقال إنه من غرائب الصحيح، وقد روي من عدة وجوه لا تخلوه كلها عن مقال. وقال عنه
الألباني ضعيف. وأما ابن حجر فقال: إن للحديث طرقاً يدل مجموعها على أن له أصلاً.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث ٦١٣٧ ص ٢٣٨٤. كتاب الأسماء
والصفات للبيهقي ص ٤٩٠، ٤٩١. كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص ٣٣٢. كتاب الأولياء لابن أبي
الدنيا ضمن مجموع ص ١٠٠. جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣١٣. فتح الباري ٢٤/١٣٧. سلسلة
الأحاديث الضعيفة للألباني ١/١٠٤.

(٣) في أ، ب، ج، والمطبوعة: أنه.

(٤) في ج: أولياء الله.

(٥) في أ، والمطبوعة: في المحاربة، وفي ب: في المحاربة وقد آذنه الله بالحرب.

(٦) أخرجه البغوي في «شرح السنة» عن أنس بن مالك، وإليه أشار ابن حجر في الفتح وقال في سنده ضعيف.

انظر: شرح السنة للبغوي ٥/٢١، ٢٢، ٢٣ رقم الحديث ١٢٤٩، الفتح ٢٤/١٣٧.

(٧) في أ، والمطبوعة: نهى.

من^(١) يجب أن يمنع، كما في الترمذي^(٢) وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله»^(٣). (وفي حديث آخر رواه أبو داود^(٤))^(٥) وقال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»^(٦).

أصل معنى الولاية والعداوة

والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب^(٧)، وأصل العداوة: البغض والبعث. وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات، أي متابعتها لها، والأول أصح، والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه، ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى

(١) في ب: لمن.

(٢) أي في سنن الترمذي، والترمذي هو: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أحد الأئمة الذين يفتدى بهم في علم الحديث، صنف كتاب «الجامع» المعروف بصحيح الترمذي، والعلل، وكان يضرب به المثل في الحفظ، ثقة مجمع عليه، وهو تلميذ البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٨، ميزان الاعتدال ٣/١١٧، تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣-٦٣٦.

(٣) من حديث أخرجه أحمد عن البراء بلفظ «أوسط الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله» وأخرجه أبو نعيم عن ابن مسعود من حديث طويل باختلاف يسير في بعض ألفاظه. انظر: المسند ٤/٢٨٦، والحلية ٤/١٧٧.

(٤) هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود السجستاني، أحد حفاظ الحديث، وعلمه وعلله، طوف البلاد، وسكن البصرة، وقدم بغداد وروى كتاب «السنن» فيها وهو أحد الكتب الستة، توفي في البصرة سنة ٧٥هـ رحمته.

انظر: وفيات الأعيان ٢/١٣٨-١٤٠، ت ٢٥٨، تهذيب التهذيب ٤/١٦٩-١٧٣، ت ٢٩٨.

(٥) ما بين القوسين سقط من أ، ج، د، هـ.

(٦) رواه أبو داود عن أبي أمامة، والترمذي عن أنس الجهني عن أبيه، ورواه أحمد عن معاذ. وقال الترمذي: حديث حسن.

انظر: سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم ٤٦٨١، ص ٨٠، سنن الترمذي ج ٤ أبواب صفة القيامة حديث رقم ٢٦٤٢ ص ٧٨، المسند ٣/٤٨٣، ٤٤٠.

(٧) في أ، ب، ج، د: والتقرب.

(٨) في ب، ج، د، هـ: فيقال.

رجل ذكر^(١) أي لأقرب رجل إلى الميت وأكدته^(٢) بلفظ الذكر ليعين أنه حكم يختص بالذكور لا^(٣) يشترك فيه الذكور والإناث كما قال ﷺ في الزكاة: «فابن لبون ذكر»^(٤). فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه^(٥) ويبغضه ويسخطه ويأمر به^(٦) وينهى عنه كان المعادي لوليه معادياً له. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنته: ١]. فمن عادى أولياء الله (فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه)^(٧) ولهذا^(٨) قال: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»^(٩).

الأنبياء أفضل أولياء الله

وأفضل أولياء الله (الأنبياء، وأفضل الأنبياء المرسلون)^(١٠) منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين)^(١١).

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.

انظر: صحيح البخاري ج ٦ كتاب الفرائض، باب ميراث الجد مع الأب والأخوة، حديث رقم ٦٣٥٦ ص ٢٤٧٨، صحيح مسلم ج ٣ كتاب الفرائض، باب الحقوا الفرائض بأهلها، حديث رقم ١٦١٥ ص ١٢٣٣.

(٢) في ب: وذكره.

(٣) في أ، ب، والمطبوعة: ولا يشترك.

(٤) من حديث طويل رواه أبو داود، وأحمد والنسائي، وابن ماجه والدارقطني عن أبي بكر.

انظر: سنن أبي داود ج ٢ كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم ١٥٦٧ ص ٢١٤، ٢١٥، المسند ١/١١، سنن النسائي ج ٥ كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل ص ١٨، سنن ابن ماجه ج ١ كتاب الزكاة باب إذا أخذ المصدق سنناً دون سن.. حديث رقم ١٨٠٠ ص ٥٧٥، سنن الدارقطني ج ٢ كتاب الزكاة، باب الإبل والغنم حديث رقم ٢ ص ١١٣، ١١٤.

(٥) في د: ويرضى.

(٦) في د: وما يأمر به.

(٧) في أ، د: فقد عاداه وحاربه.

(٨) في أ، ب، والمطبوعة: فلهذا.

(٩) سبق تخريجه ص ٤٤.

(١٠) في أ، ب، المطبوعة: هم أنبياءه وأفضل أنبيائه هو المرسلون.

(١١) في ب: عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].^(١)

فضل محمد ﷺ على جميع النبيين وفضل أمته على سائر الأمم

وأفضل أولي العزم: محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، بعثه الله بأفضل الكتب وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقت، وأول الأمم بعثًا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه -يعني يوم الجمعة- فهدانا الله له: الناس لنا تبع فيه غدا لليهود وبعد للنصارى»^(٢).

وقال ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»^(٣). وقال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»^(٤).

(١) وفي النسخ أ، ب، ج، المطبوعة: أكمل الآية إلى قوله تعالى: ﴿عَدَابًا أَلِيمًا﴾.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، حديث رقم ٨٣٦، ص ٢٩٩. صحيح مسلم ج ٢ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم ٨٥٥، ص ٥٨٥، ٥٨٦.
(٣) رواه أبو داود عن أبي هريرة، وابن ماجه عن أبي سعيد، ورواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ: «أول من ينشق عنه القبر».

انظر: سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب في التمييز بين الأنبياء، حديث رقم ٤٦٧٣ ص ٥٤. سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣٠٨ ص ١٧٨٢، صحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم ٢٢٧٨ ص ١٧٨٢.

(٤) رواه مسلم عن أنس.

توقف ولاية الله على الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ظاهرًا وباطنًا

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه (فلا يكون وليًا لله) ^(١) إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطنًا وظاهرًا ومن ادعى (حبة الله) ^(٢) وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن ^(٣) البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم ^(٤)، وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله ^(٥) (وأنه لا يدخل) ^(٦) الجنة إلا من كان منهم بل يدعون أنهم (أبناء الله) ^(٧) وأحباؤه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: أنا أول الناس...، الحديث رقم ٣٣٣ ص ١٨٨.

(١) في ب: فلا يكون من أمته ولي لله.

(٢) في د: محبته.

(٣) الحسن بن أبي الحسن -يسار- البصري أبو سعيد من التابعين، قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل مشهور، ولد بالمدينة لستين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ رحمه الله.

انظر: وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٩، ٧٢، تقريب التهذيب ج ١ ص ١٦٥.

(٤) أورد ذلك أيضًا ابن جرير في تفسير ج ٦ ص ٣٢٢، وابن الجوزي في كتاب الحسن البصري، ص ٥١.

(٥) في د، ه: لله.

(٦) في د: ولا يدخل.

(٧) في أ، ب، المطبوعة: أبنائهم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تَثَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٣٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦-٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

فبين - سبحانه - أن المشركين ليسوا بأولياءه ولا أولياء (بيته) ^(١) إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص ^(٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول جهارًا من غير سر: «إن آل فلان ليسوا لي بأولياء ^(٣) إنما وليي الله وصالح المؤمنين» ^(٤). وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤]. وصالح المؤمنين هو من كان

(١) في أ، د: نبيه.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، يعد من دهاة العرب، روى عن الرسول ﷺ أحاديث، وهو الذي فتح مصر، وتولى إمرتها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات أميرًا عليها من قبل معاوية سنة ٤٣ هـ. انظر: الاستيعاب ج ٣ ص ١١٨٤-١١٩١، ت ١٩٣١، الإصابة ج ٤ ص ٥٦٠ - ٥٨٦ هـ.

(٣) في ب، ج، المطبوعة: ليسوا لي بأولياء، يعني طائفة من أقاربه.

(٤) انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الأدب، باب تهل الرحم ببلها، حديث رقم ٥٦٤٤ ص ٢٢٣٣. صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب موالة المؤمنين. حديث رقم ٣٦٦ ص ١٩٧، ورواه أحمد في المسند ج ٤ ص

صالحًا من المؤمنين وهم المؤمنون المتقون أولياء الله ودخل في ذلك أبو بكر^(١) وعمر^(٢) وعثمان^(٣) وعلي^(٤) وسائر أهل بيعة الرضوان^(٥) الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفًا وأربعمائة^(٦) كلهم في الجنة

(١) أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي، خليفة رسول الله ﷺ ورفيقه بالغار، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة بعد الفيل بستين وستة أشهر، وكان أنسب قریش وأعلمهم، ولما بعث الرسول ﷺ بادر إلى تصديقه، وأسلم على يديه خلق كثير، بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ وكان موصوفًا بالحلم والرافة بالعامية. توفي بالمدينة سنة ١٣هـ.

انظر: الاستيعاب ج ٣ ص ٩٦٣-٩٧٨، رقم الترجمة ١٦٣٣، الإصابة ج ٤ ص ١٦٩-١٧٥، رقم الترجمة ٨٤٢٠.

(٢) أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بعد عام الفيل بـ ١٣ سنة، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه فتحًا على المسلمين وفرجًا من الضيق، سماه الرسول ﷺ الفاروق، شهد بدرًا وكل مشهد شهده الرسول ﷺ ولي الخلافة بعد أبي بكر باستخلافه له سنة ١٣هـ، وأجرى الله على يديه أعمال خير كثيرة، توفي سنة ٢٣هـ.

انظر: الاستيعاب ج ٣ ص ١١٤٤-١١٥٩، رقم الترجمة ١٨٧٨، الإصابة ج ٤ ص ٥٨٨-٥٩١.

(٣) ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة بعد عام الفيل بست سنين، وهو ممن بادر إلى الإسلام، كثير الإنفاق في سبيل الله، بويع بالخلافة في غرة المحرم سنة ٢٤هـ باجتماع الناس عليه، وأقام خليفة على المسلمين اثنتي عشرة سنة، بعدها حاصره الناقمون عليه في داره وقتلوه، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ ودفع بالبيع.

انظر: الاستيعاب ج ٣ ص ١٠٣٧-١٠٥٣، رقم الترجمة ١٧٧٨، الإصابة ج ٤ ص ٤٥٦-٤٥٩، رقم الترجمة ٥٤٥٢.

(٤) أبو الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهامشي، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، دعا له الرسول ﷺ بقوله: «اللهم اهد قلبه وسدد لسانه»، فكان أعلم الناس بالسنة، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان، ومكث خليفة على المسلمين أربع سنين وتسعة أشهر، توفي بالكوفة في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم وهو خارج إلى المسجد.

انظر: الاستيعاب ج ٣ ص ١٠٨٩-١١٣٤، رقم الترجمة ١٨٥٥، الإصابة ج ٤ ص ٥٦٤-٥٧٠، رقم الترجمة ٥٦٩٢.

(٥) كانت البيعة بالحدبية سنة ٦هـ وقد بايع المسلمون الرسول ﷺ على قتال أهل مكة لما قيل أنهم قتلوا عثمان ﷺ، البداية والنهاية ٤/١٨٩، وسميت بيعة الرضوان من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»^(٢)، ومثل هذا الحديث الآخر: «إن أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا»^(٣).

ادعاء الولاية من بعض الكفار والمنافقين

و^(٤) كما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله وليس ولياً لله (بل عدو له فكذلك)^(٥) من المنافقين الذين يظهرون الإسلام^(٦) يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الإنس بل إلى الثقلين الإنس والجن، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله وإنما كان ملكاً مطاعاً ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك، أو يقولون انه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب كما يقوله كثير من اليهود والنصارى، (أو أنه)^(٧) مرسل إلى عامة الخلق وأن الله أولياء خاصة لم يرسل إليهم (ولا يحتاجون)^(٨) إليه بل لهم طريق

(١) من رواية البخاري عن جابر في ج ٤ كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٣٩٢٢، ٣٩٣٣ ص ١٥٢٦.

(٢) رواه مسلم عن أم مبشر باختلاف يسير في بعض ألفاظه، ورواه أبو داود والترمذي عن جابر. وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، حديث رقم ٢٤٩٦، ص ١٩٤٢. وسنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم ٤٦٥٣ ص ٤١. سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة، حديث رقم ٣٩٥١ ص ٣٥٧.

(٣) رواه أحمد عن معاذ بن جبل بلفظ «إن أولى الناس بي». ورواه أبو داود وأبو نعيم عن ابن عمر. انظر: المسند ج ٥ ص ٢٣٥، سنن أبي داود ج ٤ كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها حديث رقم ٤٢٤٢، ٤٤٢، ٤٤٣، الحلية ج ٥ ص ١٥٨.

(٤) سقطت الواو من أ، ب، د، والمطبوعة.

(٥) في ب: بل عدو الله وكذلك.

(٦) في ب، ج: ويقرون. بزيادة الواو.

(٧) في أ، ج، د: أو يقول أنه.

(٨) في د: ولم يحتاجوا إليه.

إلى الله من غير جهته. كما كان الخضر^(١) مع موسى أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه ويتفتعون به من غير واسطة، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها (أو لم)^(٢) يكن يعرفها أو هم أعرف بها منه أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته.

إبطال ما يزعم أدعياء الولاية في أهل الصفة

وقد يقول بعض هؤلاء: إن أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ولم يرسل إليهم ومنهم من يقول إن الله أوحى إلى أهل الصفة في الباطن (ما أوحى إليه)^(٣) ليلة المعراج فصار أهل الصفة بمنزلته، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

وأن الصفة لم تكن إلا بالمدينة وكانت صفة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ومن تعذر (عليه ذلك)^(٤) نزل في المسجد إلى أن يتيسر له مكان ينتقل إليه. ولم يكن أهل الصفة ناسًا بأعيانهم يلازمون الصفة بل كانوا يقلون تارة ويكثرون أخرى ويقيم الرجل بها (أيامًا)^(٥) ثم ينتقل منها، والذين ينزلون بها (هم من جنس سائر)^(٦) المسلمين ليس لهم مزية في علم ولا دين (بل فيهم)^(٧) من ارتد عن الإسلام وقتل النبي ﷺ كالعربانيين^(٨) الذين اجتروا

(١) هو صاحب موسى، قيل أنه نبي وقيل عبد صالح، والجمهور قالوا بنبوته، لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحى، وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، وقد اختلف في اسمه ونسبه وحياته على أقوال كثيرة ذكرها ابن كثير في تاريخه.

انظر: تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٦، البداية والنهاية ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) في د: ولم.

(٣) في ب: ما أوحى الله إليه. وفي ج، د: بها أوحاه إليه.

(٤) في أ، ب، المطبوعة: ذلك عليه.

(٥) في ب، المطبوعة: زمانًا.

(٦) في د: من سائر.

(٧) في ج، د: بل كان فيهم.

المدينة (أي^(٢)) استوخوها (فأمر لهم^(٣)) النبي ﷺ بلقاح - أي إبل لها لبن - وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا^(٤) الذود فأرسل النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل^(٥) أعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون، وحديثهم في الصحيحين^(٦) من حديث أنس^(٧) وفيه أنهم نزلوا الصفة، فكان ينزلها مثل هؤلاء ونزلها من خيار

(١) نسبة إلى (عُرَيْبَةَ) قبيلة من ولد قحطان، وقد سميت بذلك نسبة إلى الموضوع الذي بين منى وعرفات. وكان قدومهم إلى المدينة سنة (٥٦هـ).

انظر: فتح الباري ٢/١٣١، والمصباح المنير ص ٤٠٦.

(٢) في ب: (واستوخوها). ومعنى اجتوا المدينة: كرهوا المقام فيها، وأصابهم الضرر من ذلك، وفي رواية: استوخوها، وهو بمعناه، وقد أصابهم هذا بسبب الحمة التي كانت بالمدينة، والتي ورد أن النبي ﷺ دعا الله أن ينقلها إلى الجحفة. انظر: فتح الباري ٢/١٣١، ١٣٢.

(٣) في ب، المطبوعة: فأمرهم.

(٤) في ب: وساقوا.

(٥) في ج، د، والمطبوعة: (وسمرت).

والسمل والسمر متطابقان. يقال: سمر العين: كحلها بالسهم المحمي. وفسر السمر بأن يدي من العين حديدة محما حتى يذهب نظرها، فيطابق الأول بأن تكون الحديدة مسماً.

وقد اختلف العلماء في عقوبتهم هذه، فذهب جماعة - منهم ابن الجوزي - إلى أن ذلك وقع عليهم على سبيل القصاص، لأنهم سملوا أعين الرعاة، وروى قتادة عن ابن سيرين أن قصتهم كانت قبل أن تنزل الحدود، ولابن عقبة في المغازي «أن النبي ﷺ نهى بعد ذلك عن المثلة، بالآية التي في سورة المائدة» وهي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. وإلى هذا مال البخاري، وحكاه إمام الحرمين في النهاية عن الشافعي. والله أعلم.

(٦) انظر: صحيح البخاري ج ٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب لم يسق المرتدون.. حديث رقم ٦٤١٩ ص ٢٤٩٥. صحيح مسلم ج ٣ كتاب القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين حديث رقم ١٦٧١ ص ١٢٩٦، ونزولهم الصفة هي من رواية البخاري.

(٧) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأحد الكثيرين من الرواية عنه، شهد بدرًا وهو غلام يخدم الرسول ﷺ ولم يكن في سن المقاتلين، توفي سنة ٩٣هـ (بالطف) على فسخين من البصرة.

انظر: الاستيعاب ج ١ ص ١٠٩-١١١ ت ٨٤. الإصابة ج ١ ص ١٢٦-١٢٨ ت ٢٧٧. طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٧-٢٦.

المسلمين سعد بن أبي وقاص^(١) وهو أفضل من نزل بالصفة ثم انتقل عنها ونزلها أبو هريرة وغيره، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي^(٢) (تاريخ من نزل الصفة)^(٣).
وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة وكذلك أكابر المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة^(٤) والزبير^(٥) وعبد الرحمن بن عوف^(١) وأبي عبيدة بن الجراح^(٢) وغيرهم لم يكونوا من أهل الصفة.

(١) سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد المبشرين بالجنة، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وهو أحد الستة أهل الشورى، وهو الذي فتح مدائن كسرى، وكان مجاب الدعوة، ولما حصلت الفتنة أعتزلها، توفي بالعقيق سنة ٥٥ هـ ودفن بالبقيع.

انظر: الإصابة ج ٣ ص ٧٣-٧٧ ت ٣١٩٦. تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٨٣.

(٢) محمد بن الحسين بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري الأزدي الأب، السلمي الأم، نسب إلى جده أبي عمرو وإسماعيل بن نجيد السلمي، له عناية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم، وسنناً وتاريخاً، وجمع شيوخاً وتراجماً وأبواباً، كثير التصنيف والجمع، إلا أنه ضعيف. مولده سنة ٣٣٠ هـ، ووفاته سنة ٤١٢ هـ في نيسابور.

انظر: تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٤٦ ت ٩٦٣. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤.

(٣) ذكره حاجي خليفة باسم (تاريخ أهل الصفوة) وقال عنه الهجويري: (ألف - يعني أبا عبد الرحمن السلمي - تاريخاً كسره على أهل الصفة، ذكر فيه فضائلهم، وأسماءهم). ولكني لم أعثر على الكتاب مطبوعاً، ولم أجد من أشار إليه مخطوطاً ممن ذكروا مؤلفات أبي عبد الرحمن السلمي، وقد غلط من ظنه نفس كتاب (طبقات الصوفية) وقد ذكر ابن تيمية الكتابين كلاً منهما مستقلاً عن الآخر في مجموع الفتاوى ٤٣/١١.

انظر: كشف الظنون ١/٢٨٦. كشف المحجوب للهجويري ص ٢٨٩.

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي، أبو محمد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر، روى عن النبي ﷺ، ضرب له الرسول ﷺ بسهم وأجر في بدر، شهد أحدًا وما بعدها، وكان يقال له الفياض لجوده، توفي يوم الجمل سنة ٣٦ هـ وله ٦٤ هـ ودفن بالبصرة.

انظر: الإصابة ٣/٥٢٩-٥٣٣ ت ٤٢٧٠، وطبقات ابن سعد ٣/٢١٤-٢٢٥.

(٥) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي - أبو عبد الله - حواري رسول الله ﷺ أسلم وله من العمر اثنتا عشر سنة، هاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولم يتخلف عن غزوة غزاها الرسول ﷺ، وهو أحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر. توفي في جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ.

انظر: الإصابة ج ٢ ص ٥٥٣-٥٥٨ ت ٢٧٩١، البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧١.

حكم ما يروى من الأحاديث في عدة الأولياء والأبدال (وأمثلة على ذلك)

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة^(٣) وأن النبي ﷺ قال: «هذا واحد من السبعة». وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وإن كان قد رواه^(٤) أبو نعيم^(٥) في الحلية^(٦)، وكذلك كل حديث

(١) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث القرشي، الزهري، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، أسلم مبكرًا، وهاجر إلى الحبشة المهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله. توفي سنة ٣٢هـ، ودفن بالقيع ﷺ.

انظر: الإصابة ج ٤ ص ٣٤٦-٣٥٠ ت ٥١٨٣. البداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٨.

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري - أبو عبيدة - أسلم مبكرًا، وهاجر إلى الحبشة المهجرة الثانية، وشهد بدرًا وما بعدها، وثبت مع الرسول ﷺ يوم أحد، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثناياه، وهو أمين هذه الأمة، وولاه عمر قيادة جيوش الشام ففتح الله على يديه، توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ، ودفن بفحل من أرض الأردن.

انظر: الإصابة ج ٣ ص ٥٨٦-٥٩٠ ت ٤٤٠٣، طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩-٤١٥.

(٣) أبو عبد الله المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، يقال له مغيرة الرأي، أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية والبيامة وفتوح الشام والعراف، وولاه عمر فتوحًا كثيرة، توفي وهو أمير على الكوفة من قبل معاوية سنة ٥٠هـ، وهو ابن ٧٠ سنة.

انظر: الإصابة ج ٦ ص ١٩٧-٢٠٠ ت ٨١٨٥، البداية والنهاية ج ٨ ص ٥٢-٥٣.

(٤) لم أجد في الحلية، وإنما رأيت فيها ذكر (هلالًا) مولى المغيرة، قال روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليدخلن من هذا الباب رجل ينظر الله إليه» قال: فدخل -يعني هلالًا- فقال له ﷺ: «صلِّ عليَّ يا هلال» فقال: (فما أحبك على الله وأكرمك عليه).

انظر: الحلية ج ٢ ص ٢٤.

(٥) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني: من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات، قال عنه الذهبي: صدوق تكلم فيه بلا حجة، لا أعلم له ذنبًا أكثر من رواية الموضوعات ساكتًا عنها، له مؤلفات منها «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» و«تاريخ أصفهان» وغيرهما، مولده في سنة ٣٣٦هـ، ووفاته في سنة ٤٣٠هـ بأصبهان.

انظر: وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٥-٧٦، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١١ ت ٤٣٨.

(٦) اسمه الكامل «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» تأليف أبي نعيم، قال عنه ابن تيمية: «إنه من أجود الكتب المصنفة في أخبار الزهاد، ذكر فيه المتقدمين والمتأخرين منهم. وهو كغيره لا يخلو من أحاديث وحكايات باطلة،

يروى عن النبي ﷺ في عدة^(١) الأولياء^(٢) والأبدال^(٣) والنقباء^(٤) والنجباء^(٥) والأوتاد^(٦) والأقطاب^(٧) مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب

إلا أن الغالب عليه الصحة»، وهو مطبوع في عشرة أجزاء مجموعة في خمس مجلدات، وقد اختصره ابن الجوزي في مؤلف سماه (صفوة الصفوة).

انظر: مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٣٦٨، ج ١٨ ص ٧١-٧٢، كشف الظنون ج ٢ ص ٦٨٩.

(١) في ب، ج: في عدد.

(٢) الولي في اللغة: القريب، وفي الشرع: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، وفي اصطلاح الصوفية: من تولى الحق أمره، وحفظه من العصيان، ولم يخل نفسه بالخذلان، حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجاء. وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١١/٦٢: «الولي مشتق من الولاء وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد، فولي الله: من والاه بالموافقة له في محبوباته ومريضاته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته».

انظر: تهذيب اللغة ١٥/٤٤٧، وفتح الباري ٢٤/١٣٧، اصطلاحات الصوفية، للسمرقندي ص ٢٠.

(٣) الأبدال: مأخوذ من التبديل وهو التغيير، وعند الصوفية الأبدال هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له كما بينه المؤلف.

انظر: تهذيب اللغة ١٤/١٣٢، اصطلاحات الصوفية، للسمرقندي ص ٨.

(٤) النقيب في اللغة: كالأمين والكفيل، وفي اصطلاح الصوفية النقباء: هم الذي تحققوا بالاسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر، لانكشاف الستائر، لهم عن وجوه السرائر وهم ثلاثمائة. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له وهو باطل إذ لا يعلم الغيب إلا الله.

انظر: تهذيب اللغة ج ٩ ص ١٩٧، كتاب التعريفات، للجرجاني ص ٢٦٦.

(٥) في اللغة النقيب من الرجال هو الرجل الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم. انظر: تهذيب اللغة ج ١١ ص ١٢٥. وفي اصطلاح الصوفية النجباء هم: الأربعون المشغولون بحمل أثقال الخلق، وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية، فلا يتصرفون إلا بحق الغير.

انظر: كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٥٩. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له ولا يقوم على دليل، وهو مناقض للشرع، إذ الشرع يأمر بالسعي لمصلحة النفس والغير. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

(٦) الودت في اللغة: ما رزى في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد، يقال: وتدته، أي أثبته.

انظر: لسان العرب ٣/٤٤٤، وفي اصطلاح الصوفية الأوتاد هم: الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالى. وهذا لا أصل له كما بينه المؤلف. انظر: اصطلاحات الصوفية، للسمرقندي ص ٧.

الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام، وهو في المسند من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، وهو حديث منقطع ليس ثابتاً^(٢) ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية^(٣) ومن معه بالشام، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي، وقد (أخرجاً)^(٤) في الصحيحين عن أبي سعيد^(٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»^(٦)، وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية^(٧)

(١) القطب في اللغة: القائم الذي تدور عليه الرحى. وقطب القوم سيدهم.

انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٤.

وفي اصطلاح الصوفية: القطب: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل. وقد بين المؤلف أن هذا لا أصل له.

انظر: التعريفات، للجرجاني ص ١٨٥.

(٢) لفظه في المسند: عن علي بن أبي طالب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام وهو أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيث، ويتنصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب».

انظر: المسند ١/ ١١٢، وإنما كان منقطعاً لأنه من رواية شريح بن عبيد الخضرمي ولم يدرك علياً. تحقيق أحمد شاكر للمسند ٢/ ١٧١.

(٣) معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وشهد حينئذ واليامة، وروى عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة، وكان يكتب الوحي للرسول ﷺ وهو يعد من دهاة العرب، ولاه عمر الشام وأقره عثمان، وبعد مقتل عثمان طالب بدمه ولم يبايع علياً، ثم حصلت الفتنة، ولما جاء الحسن بن علي صالح معاوية فاجتمع عليه الناس، فصار أميراً للمؤمنين، وسمي ذلك العام بعام الجماعة، توفي في رجب سنة ٦٠هـ ودفن بدمشق.

انظر: الإصابة ج ٦ ص ١٥١ ت ٨٠٧٤، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٢٧.

(٤) في أ، د: جاء.

(٥) هو الصحابي الفاضل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الخزرجي أبو سعيد الخدري، لم يشهد أحدًا لصغر سنه، وشهد الخندق وما بعدها، وكان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، كثير الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه خلق من التابعين، وجماعة من الصحابة. توفي سنة ٧٤هـ.

انظر: الإصابة ج ٣ ص ٧٨-٨٠ ت ٣١٩٨، البداية والنهاية ج ٩ ص ٤.

(٦) ليس عند البخاري قوله (يقتلهم أولى الطائفتين بالحق) بل هي من رواية مسلم وأحمد وأبي داود.

الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب (وأصحابه)^(٢) أولى بالحق من معاوية وأصحابه فكيف^(٣) يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما. وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد^(٤) منشد:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راقبي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقبي

وأن النبي ﷺ تواجد^(٥) حتى سقطت البردة عن منكبيه^(٦)، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه فرق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها بالعرش^(٧).

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٤١٤ ص ١٣٢١، وصحيح مسلم ج ٢ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصافتهم، حديث رقم ١٠٦٤ ص ٧٤١-٤٧٦، المسند ج ٣ ص ٢٣، ٤٨، سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، حديث رقم ٤٦٦٧ ص ٥٠.

(١) هم الذين خرجوا على علي في صفين، وسموا بالخوارج الحزبية لانحيازهم إلى حوراء بعد رجوعهم من صفين، وعددهم يومئذ اثنا عشر ألفاً، وقد ناظرهم علي ﷺ فرجع بعضهم وقاتل الباقين حتى هزمهم.
انظر: الفرق بين الفرق ص ٧٥-٨١. الفتاوى ج ٣ ص ٢٧٩.

(٢) ما بين القوسين سقط من أ، ب، المطبوعة.

(٣) في أ، ب، المطبوعة: وكيف.

(٤) في أ، د: أنشده.

(٥) الوجد عن الصوفية: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، فإذا وصل إلى وجود الحق فقد العبد أوصاف البشرية، لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. فالتوحيد بداية الوجود نهاية، والوجد واسطة بينها.

انظر: التعريفات للنرجاني ص ٢٥.

(٦) في ج، والمطبوعة: منكبه.

(٧) ساق هذه القصة بسنده السهروردي في كتابه (عوارف المعارف) ثم أنكروا صحتها. وقال الذهبي: عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي، وفندها الفتني في (تذكرة الموضوعات).

انظر: عوارف المعارف، للسهروردي ص ١٤٧، ميزان الاعتدال، للذهبي ج ٣ ص ١٦٤، تذكرة الموضوعات، للفتني ص ١٩٧، ١٩٨.

فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة^(١) برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذباً عليه. وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي»^(٢) وهو^(٣) كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث. والمقصود هنا^(٤) أن فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك فيكون منافقاً وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ إما عناداً وإما جهلاً كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون^(٥) أنهم أولياء الله وأن محمداً رسول الله لكن^(٦) يقولون: إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب وإنه لا يجب علينا اتباعه، لأنه أرسل إلينا رسلاً قبله، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله، وإنما أولياء الله (هم)^(٧) الذين وصفهم الله تعالى (بولايته)^(٨) بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

لا بد في الإيمان من الإيمان بجميع الكتب والرسل

ولا بد في الإيمان من أن يؤمن العبد^(٩) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن^(١٠) بكل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله كما قال تعالى:

(١) في ب: أهل العلم والمعرفة بسنة رسول الله.

(٢) قال عنه ابن القيم رحمه الله: إنه مما وضعه جهلة المتسبين إلى السنة في فضائل الصديق رضي الله عنه. انظر: المنار المنيف ص

(٣) في ج، د: فهو.

(٤) في أ، ج، د: ها هنا.

(٥) في أ، ج، د: يعتقدون في الباطن أنهم.

(٦) في ب: ولكن.

(٧) ما بين القوسين سقط من أ، ج، د، المطبوعة.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) في ب، المطبوعة: من أن يؤمن بالله.

(١٠) في ب: فيؤمنوا.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧].

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨﴾ لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

وقال تعالى في أول السورة: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١-٥].

لا بد في الإيمان من الإيمان بأن محمد ﷺ خاتم النبيين

ولا بد^(١) في الإيمان من أن يؤمن^(٢) أن محمداً ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده وأن الله أرسله إلى جميع
الثقلين الإنس والجن^(٣)، فكل^(٤) من لم يؤمن بها جاء به فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون من أولياء
الله المتقين، ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو: كافر ليس بمؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ

(١) في أ، والمطبوعة: فلا بد.

(٢) في ب، المطبوعة: تؤمن.

(٣) في ج، المطبوعة: الجن والإنس.

(٤) في ب: وكل.

وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ وَيْرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

لا طريق إلى الله إلا ما جاء به محمد ﷺ

ومن الإيمان به: الإيمان بأنه هو^(١) الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعدته ووعدته وحلاله وحرامه، فالحلال: ما أحله الله ورسوله، والحرام: ما حرّمه الله ورسوله، والدين: ما شرعه الله ورسوله ﷺ.

فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقًا إلى الله من^(٢) غير متابعة محمد ﷺ فهو: كافر^(٣) من أولياء الشيطان.

وأما خلق الله تعالى للخلق ورزقه إياهم وإجابتهم لدعائهم وهدايته لقلوبهم ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار فهذا الله وحده يفعلها بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا واسطة الرسل^(٤).

كفر من لم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ وإن بلغ ما بلغ في الزهد والعبادة

ولو^(٥) بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم^(٦) ما بلغ ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ولا ولي الله تعالى كالأخبار^(٧) والرهبان^(٨) من علماء اليهود والنصارى وعبادهم، وكذلك المنتسبون إلى العلم والعبادة من المشركين: مشركي العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء

(١) سقط الضمير من أ، هـ.

(٢) سقط حرف الجر من د.

(٣) سقطت كلمة (كافر) من هـ.

(٤) في ب: لا يدخل مثل هذا في واسطة الرسل. وهي ج: وساطة الرسل.

(٥) في المطبوعة: ثم لو بلغ.

(٦) في هـ: والعلم النافع.

(٧) الأخبار: علماء اليهود. انظر: لسان العرب عند كلمة (حبر) ج ٤ ص ١٥٧.

(٨) الرهبان: عباد النصارى. انظر: القاموس المحيط، فصل الرء، باب الباء ج ١ ص ٧٩.

الهند والترك (ومن له)^(١) علم أو زهد وعبادة في دينه وليس مؤمناً^(٢) بجميع ما جاء به محمد^(٣) فهو: كافر، عدو لله، وإن ظن طائفة^(٤) أنه ولي لله، كما كان حكماء الفرس و^(٥) والمجوس^(٦) كفاراً مجوساً.

دين الاسكندر المقدوني ووزيره أرسطو هو الشرك وليس بالإسكندر ذي القرنين

وكذلك حكماء اليونان مثل: أرسطو^(٧) وأمثاله كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل زمن^(٨) المسيح بثلاثمائة سنة، وكان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدون^(٩) (وهو الذي

(١) في أ، ج، والمطبوعة: وله. وفي هـ: أوله.

(٢) في ب، د: بمؤمن.

(٣) في هـ: لم يرد اسم الرسول ﷺ.

(٤) في د: طائفته.

(٥) سقط حرف الواو من أ، ج، وفي ب، المطبوعة: أبدل بـ«من».

(٦) المجوس: قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار، وأطلق هذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد، وهي كلمة فارسية.

انظر: المعجم الوجيز ص ٥٧٣، القاموس الفقهي ص ٣٣٧.

(٧) أرسطو ويقال: أرسطاطاليس، وأرسطو طاليس، وهو الأقرب إلى الأصل اليوناني، وهو ابن نيقوماخس، من الحكماء المعروفين بالمشائين، وهو أول من وضع التعاليم المنطقية، وقد أخذ الحكمة عن أفلاطون اليونان، جعله فيلبس المقدوني أستاذاً لابنه الاسكندر، ولما ولي الاسكندر المملكة كان لا يبرم أمراً أو ينقضه إلا بإشارته. كان مولده قبل ميلاد المسيح بـ ٣٨٤ سنة وعمر ٦٢ سنة.

انظر: دائرة المعارف ج ٣ ص ٧٥.

(٨) سقطت كلمة (زمن) من أ، ج، المطبوعة.

(٩) الاسكندر بن فيلبس المقدوني، ولد في (بلاً) سنة ٣٥٦ ق.م، ولما بلغ السنة الثالثة عشر من عمره تتلمذ على أرسطو، جلس على الملك بعد مقتل أبيه، وكان له من العمر ٢٠ سنة، حارب الفرس وانتصر عليهم، وهو الذي بنى مدينة الإسكندرية بمصر، وهو متأخر عن ذي القرنين المذكور في القرآن بدهر طويل يزيد على ألفي سنة، عاش ٣٣ سنة.

انظر: دائرة المعارف ج ٣ ص ٥٤٥، البداية والنهاية ج ٢ ص ١١٥.

تؤرخ له تواريخ الروم واليونان ويؤرخ به اليهود والنصارى^(١) وليس هذا هو ذا القرنين^(٢) الذي ذكره الله في كتابه^(٣) كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين، لما رأوا أن ذاك اسمه الاسكندر وهذا قد يسمى^(٤) بالإسكندر فظنوا أن هذا ذاك (كما يظنه ابن سينا^(٥) وطائفة معه)^(٦)، وليس الأمر كذلك. بل هذا الاسكندر المشرك الذي كان أرسطو وزيره متأخر عن ذاك، ولم يبين هذا السد^(٧) ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج.

وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف^(٨).

(١) ما بين القوسين سقط من: ب. وجاء في د: وهو الذي يؤرخ به الروم ويؤرخ له اليهود والنصارى. وفي ه: وهو الذي يؤرخ له تاريخ الروم واليونان ويؤرخ به اليهود النصارى.

(٢) اختلف في اسم ذي القرنين وفي سبب تسميته بذي القرنين، وهل هو نبي أم رجل صالح، ومن ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام لما سُئِلَ عن ذي القرنين أنبيأً كان؟ قال: كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه، وناصح الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه فسمي ذا القرنين، ومن خبره أن الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك ومدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان وزيره الخضر، وقد يسمى بالإسكندر، ومعنى الاسكندر في اليونانية، آدمي جيد.

انظر: تفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٥. روح المعاني للألوسي ج ١٦ ص ٢٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

(٤) في ج، د: تسمى.

(٥) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، أصله من بلخ، ومولده في بخاري سنة ٣٧٠ هـ ونشأ وتعلم بها وطاف البلاد، وناظر العلماء، وتقلد الوزارة في همدان، فثار عليه الجند ونهبوا بيته، ثم توجه إلى أصبهان، وعاد في آخر أيامه إلى همدان، وتوفي سنة ٤٢٨ هـ، وقال عنه ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغت علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين، كالإساعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد).

انظر: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٧، الرد على المنطقيين ص ١٤١، ١٤٢.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) السد المذكور في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا؟﴾ [الكهف: ٩٤].

(٨) ويسمى أيضاً بالسرياني، والعجمي، وقد اختلف في أوله فقيل: يوم الاثنين من أول سنة من سني ولايته، وقيل: أول السنة السابعة وهي سنة خروجه لتملك البلاد، وقيل: أوله السنة التي مات فيها.

[اقتران الشياطين في أصناف المشركين ممن له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة]

وفي أصناف المشركين من مشركي العرب، ومشركي الهند، والترك واليونان، وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ولكن ليس بمتبع للرسول، ولا مؤمن بما جاؤوا به ولا يصدقهم بما أخبروا به، ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين، ولا أولياء الله، وهؤلاء تقترب بهم الشياطين وتنزل عليهم، فيكاشفون الناس ببعض الأمور، ولهم تصرفات خارقة^(١) من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسحرة الذي تنزل عليهم الشياطين، قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]. وهؤلاء جميعهم (الذين)^(٢) ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات، إذا لم يكونوا متبعين للرسول فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم (ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم

انظر: روح المعاني للألوسي ج ١٦ ص ٢٦.

(١) خارق العادة: هو كل أمر جاء مخالفاً لما جرت عليه العادة التي عهدتها البشر، فإذا كان ما جرى من ذلك على يد (نبي) سمي (معجزة) ويصحبها التحدي، ولا يستطيع أحد الإتيان بمثلها، وهي أنواع، وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب بعض معجزات الرسول ﷺ، وإذا جرى الأمر الخارق للعادة على يد ولي من أولياء الله سمي (كرامة) ولا يصحبها التحدي، وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب أمثلة كثيرة من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وإذا جرى الأمر الخارق على يد ولي من أولياء الشيطان فقد لا يكون خرقاً للعادة الحقيقية، فهو إما أن يكون خداعاً أو حيلًا أو تحيلاً وأعمالاً يقوم بها الشيطان، كالذي يظهر على أيدي السحرة والدجالين. وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب أنواعاً من ذلك. و(المخاطبة) و(المكاشفة) و(المشاهدة) داخلة ضمن ما ذكر: فإذا كان ما جرى للعبد: سماع ما لا يسمعه غيره، سمي (مخاطبة)، وإذا رأى ما لا يراه غيره - يقظة أو مناماً - سمي (مشاهدة)، وإذا علم ما لا يعلمه غيره - وحياً أو إلهاماً أو فراسة صادقة - سمي (مكاشفة) وقد يسمى ذلك (كشفاً) ومكاشفة، أي: كشف له عنه.

وهذا التقسيم للأمر الخارق للعادة هو تقسيم من المتأخرين، أما الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، فيطلقون اسم (المعجزة) على كل خارق للعادة، ويسمونها (الآيات).

انظر: التعريف للجرجاني ص ١٨٤، ومجموع الفتاوى ١١/٣١١.

(٢) ما بين القوسين سقط من أ، ج، والمطبوعة. وفي ب: والذين.

وفجور^(١)، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش (أو الغلو أو البدع في العبادة)^(٢) ولهذا تنزلت^(٣) عليهم الشياطين، واقترنت بهم، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن.

^(٤) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:

٣٦]. وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن ولم يصدق خبره ولم يعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به، قال تعالى:

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٣١] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٣٢] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [١٣٣] [طه: ١٢٤-١٢٦].

فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها، ولهذا لو ذكر الرجل الله - سبحانه - دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية في الزهد وعبده مجتهداً (في عبادته)^(٥) ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله وهو القرآن: كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء (وعلى الماء)^(٦)، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع^(٧).

(١) في د: أن يكونوا في إثم وفجور.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب، هـ.

(٣) في د: نزلت.

(٤) في ب: فصل.

(٥) سقطت (لم) من: أ، ج، د، المطبوعة.

(٦) في أ، د: ذلك.

(٧) ما بين القوسين سقط من أ، ب، والمطبوعة.

(٨) انظر: مناظرة المؤلف لدجاجة البطائحية، مجموع الفتاوى ١١/٤٤٥-٤٧٦.

الفصل الثاني

اجتماع الإيمان والنفاق في الشخص الواحد

ومن الناس من يكون فيه إيمان وفيه شعبة من نفاق، كما جاء في^(١) الصحيحين عن عبد الله بن عمرو^(٢) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أربعٌ مَنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُوهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»^(٣). وفي الصحيحين أيضًا^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٥).

فبين النبي ﷺ أن من (كان)^(٦) فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

(١) في أ، ج: كما جاء في الصحيحين.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم، أسلم قبل أبيه، وكتب عن النبي ﷺ كثيرًا، يقول أبو هريرة: «ما كان أحد أكثر حديثًا عن رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب»، وكان واسع العلم مجتهدًا في العبادة، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية، توفي بالشام سنة ٦٥ هـ، وقيل إنه توفي بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر.

انظر: الإصابة ٤/ ١٩٢-١٩٤، ت ٤٨٥٠، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٤.

(٣) في ج: وإذا خاصم فجر، وكل من الخصلتين جاءتا في رواية البخاري ومسلم.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم ٣٤ ص ٢١، صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم ٥٨ ص ٧٨، وليس عند مسلم: وإذا أئتمن خان.

(٤) كلمة (أيضًا) سقطت من: ب، ج، د.

(٥) لفظه عند البخاري: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان». أما عند مسلم فكما أورده المؤلف باختلاف يسير. وأخرجه أيضًا أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، حديث رقم ٩ ص ١٢. صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم ٥٨ ص ٦٣. سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب في رد الإرجاء، حديث رقم ٤٦٧٦، ص ٥٥. سنن الترمذي ج ٤ كتاب الإيمان، باب في استكمال الإيمان، حديث رقم ٢٧٤٦ ص ١٢٣. سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة باب في الإيمان، حديث رقم ٥٧ ص ٢٢.

(٦) ما بين القوسين سقطت من ج، د.

وقد ثبت في الصحيحين^(١) أنه قال لأبي ذر^(٢) وهو من خيار المؤمنين^(٣): «إنك امرؤ فيك جاهلية». فقال: يا رسول الله أعلى كبر سني؟ قال: «نعم»^(٤)، وثبت^(٥) في الصحيح عنه أنه قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم»^(٦)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». (وفي صحيح مسلم)^(٧): «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»^(٨).

وذكر البخاري عن ابن أبي^(٩) مليكة أنه قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه»^(١٠).

(١) في ب، هـ: في الصحيح، وفي د: في الصحيح عنه.

(٢) هو أبو ذر الصحابي الجليل الزاهد المشهور، اختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان يوازي ابن مسعود في العلم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وله مناقب وفضائل كثيرة، توفي بالربذة سنة ٣٢هـ.

انظر: الإصابة ج ٧ ص ١٢٥. تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٩٠.

(٣) في د: المسلمين.

(٤) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم ٣٠ ص ٢٠، وكذلك ج ٥ كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث ٥٧٠٣ ص ٢٢٤٨. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم الحديث ١١٦١ ص ١٢٨٢.

(٥) في أ، د: وقد ثبت، وفي د: تكرر: عنه أنه قال. وهو خطأ.

(٦) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري، بنحوه ما ذكره المؤلف.

انظر: صحيح مسلم ج ٢ كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم ٩٧٤ ص ٦٤٤.

(٧) ما بين القوسين سقط من: ب، ومسلم هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسن النيسابوري، الحافظ، أحد الأئمة من حفاظ الحديث عند أكثر العلماء، وله غيره من المؤلفات، كانت ولادته سنة ٢٠٤هـ وتوفي سنة ٢٦١ بنيسابور.

انظر: تهذيب التهذيب ١٠ / ١٢٦-١٢٨ ت ٢٢٦. البداية والنهاية ١١ / ٣٨-٤٠.

(٨) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث ٣٣ ص ٢١، صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث ٥٩ ص ٧٨.

(٩) هكذا في ج، وفي بقية النسخ: أبي مليكة، بإسقاط (بن) وهو خطأ. وابن أبي مليكة التيمي المكي، تابعي ثقة كثير الحديث، كان قاضيًا لابن الزبير ومؤذنًا له، ولادته سنة ١١٨هـ، ووفاته سنة ٢١٧هـ.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجُمُعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
 لَا تَتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].
 فقد جعل هؤلاء إلى الكفر أقرب منهم للإيمان، فعلم أنهم مخلطون، وكفرهم أقوى وغيرهم
 (يكون مخلطاً وإيمانه يكون)^(٢) أقوى.

تفاضل أولياء الله ومردود هذا التفاضل

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقين^(٣) فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته الله تعالى، فمن
 كن أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون^(٤) في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم
 في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله (بحسب)^(٥) تفاضلهم في الكفر والنفاق.

[قد يكون فيه قسط من ولاية الله وقسط من عداوة الله]

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَّا الَّذِينَ
 آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٦) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
 رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٧) [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٨) [محمد: ١٧].

وقال تعالى^(٩): ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

انظر: تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٠٦-٣٠٧.

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ص ٢٦.

(٢) في ب: مختلط وإيمانهم.

(٣) في ب: (المؤمنون المتقون).

(٤) في د: يتفاضلون.

(٥) ما بين القوسين سقط من د.

فبيّن - سبحانه وتعالى - أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

(١) في جـ اختلف ترتيب نهاية الفصل فجاء هكذا: وقال تعالى في المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. وقال تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾. فبيّن - سبحانه وتعالى - أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه.

الفصل الثالث

أولياء الله على طبقتين [طبقات أولياء الله]

وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، و^(١) أصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم^(٢) الله في عدة^(٣) مواضع من كتابه العزيز^(٤)، في أول سورة^(٥) الواقعة وفي^(٦) آخرها، وفي سورة النساء والمطففين، وفي سورة فاطر، فإنه - سبحانه وتعالى - ذكر في الواقعة القيامة الكبرى في أولها وذكر^(٧) القيامة الصغرى في آخرها فقال في أولها:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِمَنْ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة:

١-١٤].

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين، كما وصف الله - سبحانه - ذلك في كتابه في غير موضع، ثم قال تعالى في آخر السورة:

﴿فَلَوْلَا - أي فهلا-^(٨) إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

(١) وفي ب: وأبرار أصحاب يمين ومقتصدون.

(٢) في أ، ج، المطبوعة: وذكرهم.

(٣) كلمة (عدة) سقطت من: أ.

(٤) كلمة (العزیز) سقطت من: ب، ج.

(٥) كلمة (سورة) سقطت من: ج، د.

(٦) في أ، ب، المطبوعة: وآخرها.

(٧) كلمة (ذكر) سقطت من: د.

(٨) ما بين الشريطين ليس في: د.

الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلَ مِنْ
حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَاحِدٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ [الواقعة:
٨٣-٩٦].

وقال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ [الإنسان: ٣-١٢].

وكذلك ذكر^(٢) في سورة المطففين فقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا
يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو
الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ [المطففين:
٧-٢٨]^(٣).

(١) في ب، د: أورد من الآيات إلى قوله (ولا شكورًا).

(٢) ليس في ب قوله (ذكر).

(٣) أما في سورة فاطر التي أشار إليها المؤلف في أول الفصل فهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [فاطر:
٣٢]. وسيأتي كلام المؤلف عليها في الفصل التالي.

وعن^(١) ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا: يمزج^(٣) لأصحاب اليمين مزجاً ويشرب^(٤) بها المقربون صرفاً^(٥)، وهو كما قالوا^(٦): فإنه تعالى قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل يشرب منها، لأنه ضمن قوله يشرب معنى يروى، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى، فإذا قيل: يشربون^(٧) منها لم يدل على الري، فإذا^(٨) قيل: يشربون^(٩) بها، كان المعنى: يروون^(١٠) بها، (فالمقربون يروون بها)^(١١) فلا يحتاجون معها إلى ما دونها^(١٢)، فهذا يشربون منها صرفاً بخلاف أصحاب اليمين، فإنها مزجت لهم مزجاً، وهو كما قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عَبْدٌ عَبْدُ اللَّهِ يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ [الإنسان: ٥-٦].

(١) في ب، ج: فعن.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الأمة ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له الحبر والبحر، روى عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق كثير من الصحابة، وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه، وقد دعا له الرسول ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». كانت ولادته سنة ٣ قبل الهجرة، وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ.

انظر: الإصابة ج ٤ ص ١٤١-١٥٢ ت ٤٧٨٤. والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣١٧-٣٣٠.

(٣) في أ: قالوا هو يمزج.

(٤) في د: ويشربها.

(٥) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ج ٣ ص ٦٩.

(٦) في ب: وهو كما قال.

(٧) في ج، د، هـ: يشرب.

(٨) في د: وإذا.

(٩) في ج، د، هـ: يشرب.

(١٠) في د: يروى.

(١١) ما بين القوسين سقط من: أ، د.

(١٢) في ب، ج، د، هـ: إلى ما هو دونها.

وزاد في د: بعد قوله إلى ما هو دونها: فلا يشربون معها غيرها.

الجزء من جنس العمل

فعباد الله هم: المقربون المذكورون في تلك السورة.

وهذا لأن الجزء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال النبي ﷺ: «من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١). رواه مسلم (في صحيحه)^(٢).

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٣). قال الترمذي: حديث صحيح. وفي الحديث (الآخر الصحيح)^(٤) الذي في السنن يقول الله تعالى: «أنا

(١) الحديث عن أبي هريرة. انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث ٢٦٩٩ ص ٢٠٧٤. ورواه أيضاً ابن ماجه وأبو داود بعضه.

انظر: سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢٢٥ ص ٨٢. سنن أبي داود ج ٥ كتاب الأدب، باب في المعونة للمسلم، رقم الحديث ٤٩٤٦ ص ٢٣٤.

(٢) ما بين القوسين سقط من: ب، د.

(٣) رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: سنن أبي داود ج ٥ كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم الحديث ٤٩٤١ ص ٢٣١، سنن الترمذي ج ٣ أبواب البر والصلة، ما جاء في رحمة الناس، رقم الحديث ١٩٨٩ ص ٢١٧.

(٤) ما بين القوسين سقط من: أ، د، هـ.

الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته^(١). وقال: «ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطع الله»^(٢) ومثل هذا كثير.

عمل المقربين وأصحاب اليمين

وأولياء الله تعالى (على نوعين)^(٣) مقربون وأصحاب يمين^(٤) كما تقدم^(٥)، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء، فقال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه^(٦) فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»^(٧)، فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتكون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف^(٨) عن فضول المباحات.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف، وقال الترمذي: حديث صحيح.

انظر: المسند ١/١٩١، ١٩٢ وكذلك ٢/٤٩٨. سنن أبي داود ج ٢ كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم الحديث ١٦٩٤ ص ٣٢٢. سنن الترمذي ج ٣ أبواب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، رقم الحديث ١٩٧٢ ص ٢١٠.

(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو، وقال: حسن صحيح. ورواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ: «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته». رواه مسلم عن عائشة بلفظ «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله».

انظر: سنن الترمذي ج ٣ أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، رقم الحديث ١٩٨٩ ص ٢١٧. صحيح البخاري ج ٥ كتاب الأدب، باب من وصل الله، رقم الحديث ٥٦٤٢ ص ٢٢٣٣، وصحيح مسلم ج ٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث ٢٥٥٥ ص ١٩٨١.

(٣) في ب، ج، د: نوعان.

(٤) في ب: وأصحاب اليمين.

(٥) ص ٥٧.

(٦) في ب، ج، د: وقف عند هذا الحد من الحديث.

(٧) تقدم هذا الحديث ص ٤٤.

(٨) في ب: والكف.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه ^(١) بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه ^(٢) بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته ^(٣) أحبهم الرب ^(٤) حباً تاماً ^(٥) كما قال تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» ^(٦) يعني الحب المطلق، كقوله تعالى ^(٧):

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٨﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

أي: أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ فكانت أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفاً، كما عملوا صرفاً. والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفاً، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا.

انقسام الأنبياء نحو انقسام الأولياء

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول، ونبي ملك، وقد خيّر الله - سبحانه - محمداً ﷺ بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً ^(١).

(١) في ب، د: إلى الله تعالى.

(٢) في ب، د: إلى الله تعالى.

(٣) في أ، المطبوعة: من محبوباتهم، وفي ب: من المحبوبات.

(٤) في د: الله.

(٥) كلمة (تاماً) سقطت من: ب.

(٦) جزء من الحديث القدسي المتقدم.

(٧) في أ: المطلق كما في قوله تعالى. وفي ج: المطلق التام المذكور في قوله تعالى.

(٨) في ج: وقف عند هذا الحد من الآية.

فالنبي الملك مثل: داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ [ص: ٣٥-٣٩].

أي: أعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك.

فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه ويترك ما حرم الله عليه، (ويتصرف في الولاية والمال بما يجب ويختار من غير إثم عليه) ^(٢).

وأما العبد الرسول فلا يعطي أحدًا إلا بأمر ربه، لا يعطي من يشاء ويجرم من يشاء، بل يعطي من أمره ^(٣) ربه بإعطائه، ويولي من أمره ^(٤) ربه بتوليته ^(٥)، فأعماله كلها عبادات لله تعالى. كما في (صحيح البخاري) ^(٦) (عن أبي هريرة رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «إني والله لا أعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت» ^(٧). ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية ^(٨) إلى الله والرسول ^(٩) كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١].

(١) روى أحمد عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، قال: أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل تواضع لربك يا محمد قال: بل عبدًا رسولًا.

انظر: المسند ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٣) في ب: أمر.

(٤) في ب: أمر.

(٥) في أ، د: ويوالي من أمر بولايته.

(٦) في ج: الصحيح.

(٧) انظر: صحيح البخاري ج ٣ أبواب الخمس، باب قوله تعالى: فإن الله خمسه وللرسول، رقم الحديث ٢٩٤٩ ص

١١٣٤. ومسند أحمد ج ٢ ص ٤٨٢. ورواه مسلم من حديث معاوية بلفظ: «إنما أنا قاسم ويعطي الله».

انظر: صحيح مسلم ج ٣ كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث ١٠٣٩ ص ٧١٩.

وقوله^(٣): ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ولهذا كان أظهر أقوال^(٤) العلماء أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر^(٥)، كما هو مذهب مالك^(٦) وغيره من السلف^(٧)، ويذكر هذا^(٨) رواية^(٩) عن أحمد^(١٠). وقد قيل في الخمس أنه: يقسم على خمسة، كقول^(١١) الشافعي^(١٢)، وأحمد (في المعروف عنه)^(٤)، وقيل: على ثلاثة، كقول^(٥) أبي حنيفة^(٦) (رحمته)^(٧).

(١) الأموال الشرعية: ثلاثة أصناف، ما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، وقد سباه الله تعالى: أنفالأ وغنائم، وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب، وقد سباه فيئاً، وما خرج من أموال المسلمين كالزكاة والنذر والقرب، وقد سباه صدقة.
انظر: زاد المسير ج ٣ ص ٣٥٨.

(٢) في ب: وإلى الرسول.

(٣) في أ، المطبوعة: وقوله تعالى.

(٤) في أ، ج، د، هـ: قول العلماء.

(٥) في ب: بحسب اجتهاده في الأمر.

(٦) مالك بن أنس - مالك الحميري - أبو عبد الله المدني الفقيه، أحد أعلام الإسلام، إمام الهجرة في زمانه، روى عن غير واحد من التابعين، وحدث عنه خلق من الأئمة، ومناقبه كثيرة جداً، وثناء الأئمة عليه أكثر، كان ثقة مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجة، وهو أحد الأئمة الأربعة وهو صاحب «الموطأ» مات سنة ١٧٩ هـ ودفن بالبقيع.
انظر: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٩٨. تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٥-٩. حلية الأولياء ج ٦ ص ٣١٦-٣٥٦.

(٧) انظر ذلك في «المدونة الكبرى» للإمام مالك ١/٣٨٦ في قسم الفياء وأرض الخراج والخمس، وكذلك في ص ٣٩٠ في باب «السلب».

(٨) سقط اسم الإشارة من: أ، د.

(٩) انظر هذه الرواية في (المعني) ج ٦ ص ٤١٦.

(١٠) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني - أبو عبد الله - ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وطاف البلاد والآفاق في طلب العلم حتى صار إماماً في الحديث والفقه والتقوى والزهد، فكان علماء عصره يبجلونه ويحترمونه، وزاد قدره بعد وفاته أمام المبتدعة الذين قالوا بخلق القرآن، وإليه ينسب المذهب الحنبلي، وله مؤلفات كثيرها أشهرها (المسند) توفي سنة ٢٤١ هـ وحضر جنازته خلق كثير.

انظر: حلية الأولياء ج ٩ ص ١٦١-٢٣٤. البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٦٨-٣٨٩.

العبد الرسول أفضل من النبي الملك

والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام أفضل من يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، كما أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين، الذين ليسوا مقربين سابقين، فمن أدى ما أوجب عليه وفعل من المباحات ما يحبه^(٨) فهو من هؤلاء^(٩)، ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بها أبيض له على ما أمره الله فهو من أولئك^(١٠).

(١) في د: وقيل.

(٢) انظر هذا في (المذهب في فقه الإمام الشافعي) ٢/٢٤٧.

(٣) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي، أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ومات أبوه صغير وحملته أمه إلى مكة، فنشأ بها، وقرأ القرآن، وحفظ الموطأ، وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ والأئمة، وروى عنه خلق كثير، انتقل في البلاد حتى استقر في مصر، وصنف بها كتابه (الأم) وبها توفي سنة ٢٠٤ هـ.

انظر: حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٣-١٦١. البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨٤.

(٤) ما بين القوسين سقط من: ب، د. انظر: قول أحمد هذا في (المغني) ج ٦ ص ٤٠٤.

(٥) انظر قول أبي حنيفة هذا في (المبسوط) لشمس الدين السرخسي ج ١٠ ص ٨، ٩.

(٦) هو الإمام النعمان بن ثابت التميمي الكوفي - أبو حنيفة - أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب الحنفي، وهو أقدم الأئمة، وكان ثقة من أهل الصدق وقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيًا، وكان مولده في الكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ.

انظر: البداية والنهاية ج ٧ ص ١٢٣. الأعلام ج ٨ ص ٣٦.

(٧) ما بين القوسين سقط من: ج، د.

(٨) في ج: (ما يحبه الله). وهو خطأ.

(٩) أي من الأبرار أصحاب اليمين.

(١٠) أي من السابقين المقربين.

الفصل الرابع

تفسير آية فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا... الآية﴾ بأصناف
المصطفين من هذه الآية وأنهم يدخلون الجنة

و^(١) قد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَأُلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾
[فاطر: ٣٢-٣٥].

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه (الآية هم: أمة محمد ﷺ خاصة)^(٢)، كما قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن،
بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات^(٣)
بخلاف الآيات التي في الواقعة^(٤) والمطففين^(٥) والإنسان^(٦) والانفطار^(١) فإنه دخل فيها جميع الأمم

(١) في ج: سقط لفظ الفصل، وجاء في أول الكلام، وأما سورة فاطر فقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - فيها صفة أوليائه
المقتصدين.

(٢) في ب: الأمة خاصة.

(٣) قوله (بالخيرات) سقطت من: المطبوعة.

(٤) من الآية ١-١٤، ومن الآية ٨٣-٩٦ وقد سبق ذكرها ص ٧٢.

(٥) من الآية ٧-٢٨ وقد سبق ذكرها ص ٧٣.

(٦) من الآية ٣-١٢ وقد سبق ذكرها ص ٧٣.

المقدمة، كافرهم ومؤمنهم، وهذا^(٢) التقسيم لأمة محمد ﷺ فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرون عليها.

والمقتصد: المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق بالخيرات^(٣): هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات.

التائب من الذنب لا يخرج عن السابقين والمقتصدين

^(٤) ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَنُوبِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وقوله: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾^(٥) مما يستدل به أهل السنة على أنه لا يجلد في النار أحد من أهل التوحيد.

في أ، ب، هـ، المطبوعة: لم تذكر سورة الإنسان.

(١) في د: لم تذكر سورة الانفطار.

(٢) في ب، ج: وهنا.

(٣) في أ، والمطبوعة: للخيرات.

(٤) من هنا وحتى نهاية الآية سقط من: ب.

(٥) باعتبار الضمير في (يدخلونها) راجع إلى الأصناف الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ﴾ الآية.

تواتر السنن بدخول كثير من أهل الكبائر النار وخروجهم منها

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبينا محمد ﷺ لأهل^(١) الكبائر وإخراج^(٢) من يخرج من النار بشفاعته ﷺ وشفاعة غيره^(٣).

تأويل المعتزلة والمرجئة لآية فاطر والرد عليهما

فمن قال إن أهل الكبائر مخلدون^(٤) في النار وتأول الآية على أن السابقين هم الذين يدخلونها فقط^(٥) وأن المقتصد^(٦) و^(٧) الظالم لنفسه لا يدخلها، كما تأوله^(٨) من تأوله من المعتزلة^(٩)، فهذا مقابل بتأويل^(١٠) المرجئة^(١١) الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار، ويزعمون أن أهل الكبائر

(١) في ب، ج: في أهل.

(٢) في ب: وخروج.

(٣) في ب: انتهى الفصل هنا، وسقط بقيته.

(٤) في د: يدخلون.

(٥) كلمة (فقط) في: د، وبقية النسخ ليست فيها.

(٦) ليس في: ج قوله (المقتصد).

(٧) في هـ، المطبوعة: (أو) بدل الواو. ويؤيد ما أثبت في النص ما أورده القرطبي في تفسيره، قال: «وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر، فيكون (جنات عدن يدخلونها) للذين سبقوا بالخير لا غير، وهذا قول جماعة من أهل النظر».

انظر: تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٦.

(٨) في د: كما تأول ذلك المعتزلة.

(٩) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، وسموا المعتزلة لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري، ومن مذهبهم أن مرتكب الكبيرة إذا مات م غير توبة يستحق الخلود في النار.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٥٦، ٦٠، والفرق بين الفرق ص ١١٤.

(١٠) في ج: لتأويل.

(١١) المرجئة: سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل عن الإيذان والإرجاء بمعنى التأخير ومن معتقدتهم: أنه لا يضر مع الإيذان معصية.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٨٦. الفرق بين الفرق ص ٢٠٢.

قد يدخل جميعهم الجنة من غير^(١) عذاب، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ولإجماع سلف الأمة وأئمتها.

وقد دل على فساد قول الطائفتين قوله تعالى (في آيتين من كتابه وهو قوله تعالى)^(٢): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء^(٣)، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب، كما يقوله من يقوله من المعتزلة، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب، وما دون الشرك يغفره الله أيضًا للتائب فلا يعلق^(٤) بالمشيئة، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفره^(٥) الله له. ففي آية التوبة^(٦) عمم وأطلق، وفي تلك الآية^(٧) خصص وعلق.

فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلق ما سواه على مشيئته^(٨) (ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه)^(٩) كالتعطيل للخالق، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب، أو يجوز أن لا يعذب

(١) في أ، ج، د: بلا عذاب.

(٢) ما بين القوسين سقط من ج.

(٣) ما بين القوسين سقط من ج.

(٤) في أ، هـ: فلا تعلق.

(٥) هكذا في ج وفي بقية النسخ بحذف الضمير.

(٦) المراد بآية التوبة هي قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وتسمى بآية التوبة: لأن الله أخبر بها بأنه يتوب على من تاب، ولو كان قد قتل وزنا أو أفتتن، كما جاء في سبب نزولها.

انظر: زاد المسير ج ٧ ص ١٩٠.

(٧) الآية: ٤٨ من سورة النساء التي سبق ذكرها.

(٨) في ج، والمطبوعة: (المشيئة)، وزاد بعدها في المطبوعة: (ومن الشرك التعطيل للخالق).

(٩) ما بين القوسين سقط من هـ، و.

بذنب^(١) فإنه لو كان كذلك لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له بلا توبة ولا حسنات ماحية لم يعلق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض، فبطل النفي^(٢) والعمو العام^(٣).

(١) في ج، المطبوعة: مذنب.

(٢) يعني نفي المغفرة وهو قول المعتزلة.

(٣) والعمو العام وهو قول المرجئة.

الفصل الخامس

تفاضل الناس في الولاية والعداوة

وإذا كان أولياء الله ﷻ هم المؤمنون المتقين^(١) والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا^(٢) متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.

وأصل الإيمان والتقوى هو^(٣): الإيمان برسول الله، وجماع^(٤) ذلك الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسوله.

شرط العذاب قيام الحجة

وأصل الكفر والنفاق هو: الكفر بالرسول وبما جاؤوا به^(٥)، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة، فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، قال الله تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [١٣٣] وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [١٦٥] رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

(١) في ب: المؤمنون المتقون.

(٢) في ج: إذا كانوا.

(٣) سقط اسم الإشارة من أ، ج، د، والمطبوعة.

(٤) في ب: وجميع، وفي د: إجماع.

(٥) في د: وما جاؤوا به.

وقال تعالى عن أهل النار^(١): ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [الملك: ٨-٩].

فأخبر أنه كلما ألقى في النار^(٢) فوج أفروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها إلا^(٣) من كذب النذير.

وقال تعالى في خطابه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥) [ص: ٨٥].

فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه فإذا^(٤) ملئت بهم لم يدخلها غيرهم، فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان^(٥)، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له، فإنه ممن لم يتبع الشيطان، ولم يكن مذنباً^(٦) وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها^(٧) إلا من قامت عليه الحجة بالرسول.

(١) في ب: وقال تعالى حكاية من أهل النار.

(٢) في ب: ألقى فيها فوج.

(٣) في أ، المطبوعة: ... لا يلقى فيها فوج إلا...

(٤) في ب، د: وإذا.

(٥) في أ، ب، د: إبليس.

(٦) في ج، د: فإنه من لم يتبع الشيطان لم يكن مذنباً.

(٧) في أ، ب، د: لا يدخل النار.

الفصل السادس

الإيمان يكون مجملًا ويكون مفصلاً

ومن الناس من يؤمن بالرسول إيماناً عاماً مجملًا^(١)، وأما الإيمان المفصل: فيكون^(٢) قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل (فآمن به إيماناً مفصلاً)^(٤)، ولم يبلغه بعض ذلك فيؤمن بما بلغه عن الرسل وما لم يبلغه لم يعرفه ولو بلغه لآمن به (ولكن آمن)^(٥) بما جاءت به الرسل إيماناً مجملًا، فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مع إيمانه وتقواه^(٦) فهو من أولياء الله (تعالى، له من ولاية الله بحسب)^(٧) إيمانه وتقواه، وما لم تقم عليه الحجة به^(٨) فإن الله تعالى لم يكلفه معرفته والإيمان المفصل به، فلا يعذبه على تركه لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاتته من ذلك.

فمن علم (بما جاء به الرسول)^(٩) وآمن به إيماناً مفصلاً، وعمل به فهو أكمل إيماناً وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ولم يعمل به، وكلاهما ولي الله تعالى.

[تفاضل المؤمنين في منازلهم من الجنة بحسب إيمانهم]

والجنة^(١٠) درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم، قال الله (تعالى)^(١١):

(١) سقط من ب: قوله: مجملًا.

(٢) أي: فيكون صاحب الإيمان المفصل.

(٣) سقط من د: قد.

(٤) ما بين القوسين سقط من: أ، ب، هـ، و.

(٥) في ب (فآمن) وفي ج (ولكن آمن).

(٦) سقط من ب قوله: وتقواه.

(٧) في ب: ولاية بحسب.

(٨) سقطت من ب: به.

(٩) في أ، د (بما جاءت به الرسل). وفي ب (ما جاء به الرسل). وفي ج (ما جاء به الرسول).

(١٠) في ب: وللجنة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء: ١٨-٢١].

فبين الله - سبحانه وتعالى - أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظوراً من (٢) بر ولا فاجر.

ثم قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

فبين الله - سبحانه - أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في (٣) الدنيا، وأن درجاتها أكبر (٤) من درجات الدنيا.

بعض الأدلة على تفاضل النبيين والمؤمنين

وقد بين تفاضل أنبيائه (عليهم السلام) (٥) كتفاضل سائر عباده المؤمنين فقال تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء

(١) في أ، المطبوعة: تبارك وتعالى.

(٢) في ج: عن.

(٣) في ج: ... فيه في الدنيا...

(٤) في ب: أكثر.

(٥) ما بين القوسين سقط من: ب، ج.

فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة (وعمر بن العاص رضي الله عنه)^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»^(٣).

وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وقال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٢﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿١٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

(١) انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث ٢٦٦٤ ص ٢٠٥٢.

ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة، سنن ابن ماجه ج ١ مقدمة، باب في القدر، رقم الحديث ٧٩ ص ٣١.

(٢) ما بين القوسين سقط من: د.

(٣) انظر: صحيح البخاري ج ٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد... رقم الحديث

٦٩١٩ ص ٢٦٧٦. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد... رقم الحديث ١٧١٦

ص ١٣٤٢.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة: ١١].

الفصل السابع^(١)

الإيمان والتقوى شرط في ولاية الله

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً، لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم، يقول الله -تبارك وتعالى- فيه: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»^(٢).

ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب إليه^(٣) بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين.

فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه^(٤) لا إثم عليه، مثل: أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة ونحوهم، وإن قيل إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم فلا يكونون من أولياء الله (إذ لم يكونوا)^(٥) من المؤمنين المتقين.

فمن لم يتقرب إلى الله لا^(٦) بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء^(٧) الله. وكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي ﷺ قال: «يرفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ»^(٨).

(١) سقط من ب: هذا الفصل بكامله.

(٢) تقدم ص ٤٣.

(٣) قوله: (وليه) هي من ج، د، وسقطت من بقية النسخ. وفي و: إلى الله تعالى.

(٤) في د... على أنه...

(٥) في أ، والمطبوعة: إلا إذا كانوا.

(٦) سقطت (لا) من: أ، ج، د.

(٧) في ج: من أوليائه.

وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة^(٢) رضي الله عنهما واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول.

لكن الصبي^(٣) المميز تصح عبادته^(٤) ويثاب عليها عند جمهور العلماء.

أنواع الجنون وحكم الجنون من حيث الإيمان والكفر والولاية والعداوة

وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء، ولا يصح منه إيمان ولا كفر، ولا صلاة، ولا غير ذلك من العبادات، بل لا يصلح هو^(٥) عند عامة العقلاء لأمر الدنيا كالتجارة والصناعة، (فلا يصلح أن يكون)^(٦) بزازًا، ولا عطارًا، ولا حدادًا، ولا نجارًا، ولا تصح^(٧) عقودها باتفاق العلماء، فلا يصح بيعه، ولا شراؤه، ولا نكاحه، ولا طلاقه، ولا إقراره، ولا شهادته، ولا غير^(٨) ذلك من أقواله، بل أقواله كلها لغو^(٩) لا يتعلق بها حكم شرعي، ولا ثواب ولا عقاب، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع وفي مواضع فيها نزاع.

(١) رواه أحمد عن عائشة. ورواه أبو داود وابن ماجه عن علي وعائشة. ورواه الترمذي عن علي. ورواه البخاري عن علي تعليقاً بصيغة الجزم. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

انظر: مسند أحمد ٦/١٠٠، ١٠١، ١٤٤. وسنن أبي داود ج ٤ كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق، رقم الحديث ٤٤٠٣ ص ٥٦٠، وكذلك الحديث رقم ٤٣٩٨. وسنن ابن ماجه ج ١ كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه، رقم الحديث ٢٠٤١ ص ٦٥٨، وكذلك الحديث رقم ٢٠٤٢. وسنن الترمذي ج ٢ أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، رقم الحديث ١٤٤٦ ص ٤٣٨. وصحيح البخاري ج ٥ كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره ص ٢٠١٩.

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نساؤه. تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بستين وهي بكر، ولم يتزوج بكرًا غيرها. وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة. وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين. وكانت تقية عالمة بالطب والشعر. توفيت سنة ٥٨ هـ، ودفنت بالبقيع.

انظر: أسد الغابة ٥/٥٠١، والإصابة ٨/١٦ ت ١١٤٥٧.

(٣) كلمة (الصبي) سقطت من: د.

(٤) في أ، د: عبادته.

(٥) سقط اسم الإشارة من: ج، د.

(٦) في ج: فلا يكون.

(٧) في ج: يصح.

(٨) في ج: وغير ذلك.

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيذان ولا التقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل^(٢) و^(٣) امتنع أن يكون ولياً لله فلا يجوز (لأحد)^(٤) أن يعتقد أنه ولي الله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة^(٥) سمعها منه، أو نوع^(٦) تصرف، مثل: أن يراه قد أشار إلى أحد^(٧) فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد^(٨) ذلك على كون الشخص ولياً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض (ولاية الله)^(٩) فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل: أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا، بل يعتقد^(١٠) أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقًا إلى الله غير^(١١) طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أو يقول: إن^(١٢) الأنبياء ضيقوا الطريق.

أو هم قدوة على العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية. فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيذان فضلاً عن ولاية الله ﷻ فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى.

(١) اللغو: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.

انظر: لسان العرب ٢٥٠ / ١٥.

(٢) في د: ولا بالنوافل.

(٣) سقطت (الواو) من: جـ.

(٤) ما بين القوسين سقطت من: جـ.

(٥) مر تعريفها ص ٦٥.

(٦) في ب، المطبوعة: أو نوع من تصرف.

(٧) في ب، المطبوعة: واحد.

(٨) في أ: بمعجزة.

(٩) في جـ: ولايته لله.

(١٠) في د: بل لا يعتقد.

(١١) في د: من غير.

(١٢) سقط (إن) من: أ، د.

وكذلك المجنون، فإن كونه مجنوناً يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات التي هي شرط في^(١) ولاية الله.

[ولاية من يجن أحياناً ويفيق أحياناً]

ومن كان يجن أحياناً ويفيق أحياناً إذا^(٢) كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله، و^(٣) يؤدي الفرائض ويحتمل المحارم فهذا إذا جن لم يكن جنونه مانعاً من^(٤) أن يشبهه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته^(٥)، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك.

[ولاية من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه]

وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه فإن الله يشبهه ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه. فعلى^(٦) هذا فمن أظهر الولاية^(٧) وهو لا يؤدي الفرائض ولا يحتمل المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا^(٨) ولي الله، فإن هذا إن^(٩) لم يكن مجنوناً بل كان متوهماً^(١٠) من غير جنون، أو كان^(١١) يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه

(١) سقطت (في) من: جـ.

(٢) في جـ: فإذا كان.

(٣) سقطت (الواو) من: جـ، و.

(٤) سقطت (من) من: جـ.

(٥) في د: فاقتته.

(٦) في جـ، د، و: وعلى.

(٧) في و: الوله.

(٨) في أ، جـ، و: إن هذا.

(٩) سقطت (إن) من: د.

(١٠) في د: (متوالياً)، والوله: هو التحير وذهاب العقل من شدة الوجد، وهو ما يصادف القلب من شهود وسلطان

الحقيقة، أي شهود الربوبية بالقلب. على حد تعبير الصوفية.

انظر: المعجم الوجيز ص ٦٨١. الرسالة القشيرية ص ٣٤، ٤٣.

(١١) سقطت (كان) من: و.

لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ فهو^(١): كافر، (ومن اعتقد أن هذا ولي الله فهو: كافر أيضًا)^(٢) وإن كان مجنونًا باطنًا وظاهرًا قد ارتفع^(٣) عنه القلم فهذا وإن لم يكن معاقبًا عقوبة الكافرين فليس هو مستحقًا لما يستحقه أهل الإيثار والتقوى من كرامة الله ﷻ^(٤).

فلا يجوز على التقديرين^(٥) أن يعتقد فيه أحد^(٦) أنه ولي الله، ولكن^(٧) إن كان له حالة في إفاقة كان فيها مؤمنًا بالله متقيًا: كان له من ولاية الله بحسب ذلك، [وإن كان (له حال في إفاقة)^(٨) فيه كفر أو نفاق، أو كان كافرًا أو منافقًا ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقة من كفر أو نفاق]^(٩).

(١) في أ، د، و: فهذا.

(٢) ما بين القوسين سقط من: د.

(٣) في أ، د. رفع.

(٤) في د: تعالى.

(٥) التقدير الأول: إذا كان يتظاهر بالجنون، والتقدير الثاني: إذا كان مجنونًا ظاهرًا وباطنًا.

(٦) سقطت (أحد) من ج، د.

(٧) في أ، ج، د: (لكن) بدون واو.

(٨) في ج، د: (في حال إفاقة).

(٩) ما بين القوسين الكبيرين سقط من: و.

الفصل الثامن

ليس لأولياء الله ميزة في الظاهر عن غيرهم في الأمور المباحات

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور^(١) المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس، إذا كان كلاهما مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحًا، (كما قيل كم من صديق^(٢) في قباء، وكم من زنديق^(٣) في عباء)^(٤)، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفسجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، ويوجدون^(٥) في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار، والصناع، والزراع.

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا

(١) في ب: من أمور.

(٢) الصديق: من الصدق ضد الكذب، وهو من صدق بأمر الله وأمر رسوله ﷺ صدق لا يتخالجه شك، وما أظهره لسانه وعمله يوافق ما في قلبه.

انظر: تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٥٥. والتعريفات للجرجاني ص ١٧٢.

(٣) الزنديق: من يؤمن بالزندقة، فارس معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق: من لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر، وعند الفقهاء الحنابلة والمالكية والشافعية: هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، وكان يسمى في عصر النبوة منافقًا، فصار في العرف الشرعي زنديقًا، وعند الحنفية: هو الذي لا يتحل دينًا.

انظر: القاموس الفقهي ص ١٦٠.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في أ، ج، المطبوعة: ويوجد.

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

ما يسمى به أهل الدين والعلم عند السلف والخلف

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القراء، فيدخل فيهم: العلماء والנסاك، ثم حدث بعد ذلك اسم: الصوفية والفقراء.

أصل مسمى الصوفية

واسم الصوفية: هو نسبة إلى لباس الصوف، هذا هو الصحيح، وقد قيل: أنه نسبة إلى صوفة القفا^(١)، وقيل: إلى صوفة بن مر بن إد بن طابخة^(٢)، قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك^(٣)، وقيل إلى: أهل الصفة، وقيل إلى: أهل^(٤) الصفاء، وقيل إلى: الصفوة، وقيل إلى: الصف المقدم بين يدي الله تعالى.

(١) في أ، د، هـ، المطبوعة: صفوة الفقهاء، وفي ب: صفوة الصفا. وما أثبت في النص هو من: ج، ويدل عليه قول ابن الجوزي: «قال آخرون هو منسوب إلى صفوة القفا وهي الشعيرات النابتة في مؤخره، كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق».

انظر: تلبس إبليس ص ١٦٣.

(٢) هو: الغوث بن مر بن أدين طابخة بن اليأس بن مضر، عاش في الجاهلية ويقال له: صوفة وذلك لأن أمه لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجلعنه ريبطاً للكعبة، ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده، وكان في الحج يلي الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولي ذلك ولده من بعده حتى انقرضوا، ومن قال أن نسبة الصوفة إليه فهو بسبب مشابهتهم إياه في التخلي عن الدنيا والانقطاع إلى العبادة والزهد.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٢٥-١٢٧. الروض الأنف للسهيبي ج ٢ ص ٣٦. تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٦١، ١٦٢.

(٣) في أ، د: بالنسك.

(٤) (أهل) سقطت من ب، ج، د.

وهذه أقوال ضعيفة فإنه لو كان كذلك لقليل: صُفِّي، أو صفائي، أو صفوي، أو صَفِّي، ولم يقل^(١): صوفي.

وصار^(٢) اسم: الفقراء، يعني به أهل السلوك، وهذا عرف حادث.

الفضل في التقوى وليس في الصوفية أو الفقراء

وقد تنازع الناس: أيهما أفضل مسمى: الصوفي، أو مسمى: الفقير، ويتنازعون أيضًا^(٣) أيهما أفضل الغني الشاكر، أو الفقير الصابر.

وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد^(٤)، وبين أبي العباس^(٥) بن عطاء، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان.

والصواب في هذا كله ما قال الله (تعالى)^(٦):

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أي الناس أكرم^(٧)؟ قال: «أتقاهم» قيل له: ليس عن هذا نسألك، فقال: «يوسف بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الله بن إسحاق بن عبد الله بن

(١) في ب: ولما قيل.

(٢) في ب، ج، د: وصار أيضًا.

(٣) (أيضًا): سقطت من: د.

(٤) الجنيد بن محمد الزجاج - أبو القاسم - كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريري، أصله من نهاوند، مولده ومنتشأه بالعراق، وكان فقيهاً يفتي الناس على مذهب أبي ثور، يعد من الزهاد، مات سنة ٢٩٧ هـ ببغداد.

انظر: طبقات الصوفية ص ١٥٥، الطبقات الكبرى ج ١ ص ٨٤.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من مشايخ الصوفية وعلماهم، صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز، وكان يعظم شأنه، توفي سنة ٣٠٩ هـ أو ٣١١.

انظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي ص ٢٦٥. الحلية ج ١٠ ص ٣٠٢.

(٦) في أ، المطبوعة: تبارك وتعالى حيث قال.

(٧) هكذا في ب، وفي بقية النسخ (أفضل) والذي في ب هو لفظ الحديث.

إبراهيم خليل الله». فقيل له: ليس عن هذا نسألك، قال: «عن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^(١).

فدل الكتاب والسنة على^(٢) أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب»^(٣).

وعنه أيضًا ﷺ قال: «إن الله تعالى أذهب عنكم عبية^(٤) الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمن تقي، وفاجر شقي»^(٥).

فمن كان من هذه الأصناف اتقى لله فهو: أكرم عند الله، وإذا (استوى رجلان)^(٦) في التقوى استويا في الدرجة.

(١) انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ رقم الحديث ٣١٧٥ ص ١٢٢٤. صحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب فضل يوسف ﷺ، رقم الحديث ٢٣٧٨ ص ١٨٤٦، مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٤٣١. مسند الدارمي ج ١ باب الاقتداء بالعلماء، ص ٧٣.

(٢) (على) في أ، د: فقط.

(٣) رواه أحمد عن أبي نضرة، المسند ج ٥ ص ٤١١، في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ وأشار المؤلف في «اقتضاء الصراط المستقيم» ١/٣٦٣ إلى أن إسناده صحيح. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

انظر: مجمع الزوائد ج ٨ ص ٨٣-٨٥.

(٤) العيبة: الكبر.

انظر: مجمع بحار الأنوار ج ٣ ص ٥٠٤.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي حديث حسن.

انظر: المسند ج ٢ ص ٣٦١. سنن أبي داود ج ٥ كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، رقم الحديث ٥١١٦

ص ٣٣٩. سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، رقم الحديث ٤٠٤٩، ٤٠٥٠، ص ٣٩٠، ٣٩١. وأشار المؤلف في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٢١٦/١: بأنه صحيح.

(٦) في ب: ه، المطبوعة: استويا.

معنى الفقر في الشرع

ولفظ الفقر في الشرع يراد به: الفقر من المال، ويراد به^(١): فقر المخلوق إلى خالقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء: (أهل الصدقات وأهل الفيء)^(٢). فقال في الصنف الأول:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

صفة المهاجرين

وقال في الصنف الثاني وهم أفضل الصنفين:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات وجاهدوا أعداء الله باطنًا وظاهرًا، كما قال النبي ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»^(٣). وأما الحديث الذي

(١) في ب: وقد يراد به.

(٢) في ب: أهل الصدق وأهل التقى.

(٣) قوله: (في طاعة الله) هي من: ب، وبقية النسخ (في ذات الله)، وما في ب هو الموافق للفظ الحديث. وقد روى هذا الحديث بطوله أحمد عن فضالة بن عبيد، وروى بعضه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، بألفاظ متقاربة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: المسند ج ٦ ص ٢٢. صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث ١٠ ص ١٣. وسنن أبي داود ج ٣ كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم الحديث ٢٤٨١ ص ٩. سنن الترمذي ج ٤ أبواب الإيمان، باب ما جاء المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث ٢٧٦٢ ص ١٢٧. وسنن النسائي ج ٨ كتاب الإيمان، باب صفة المسلم ص ١٠٥.

يرويه بعضهم أنه قال: - في غزوة تبوك^(١) - : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(٢) فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله.

جهاد الكفار من أعظم الأعمال

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير^(٣) قال: كنت عند النبي ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال علي ابن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتم، فقال عمر:

(١) غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة. وذلك لما أمر رسول الله ﷺ بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، سار معه ثلاثون ألفاً من المسلمين في زمن عسرة من الناس وشدة حر وجذب، ولذلك سمي بجيش العسرة، وتمت المصالحة على دفع الجزية.

انظر: البداية والنهاية ج ٣٥ وما بعدها.

(٢) قال العجلوني: قال الحافظ بن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عليه. والحديث في الإحياء قال العراقي رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر. انظر: كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٥١١.

(٣) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله، صحابي جليل، ولد سنة ٣ هـ روى عن النبي ﷺ وكان شاعراً وخطيباً، تولى القضاء والإمارة في عهد معاوية، وتوفي وهو خارج من حصص سنة ٦٥ هـ.

انظر: الإصابة ج ٦ ص ٤٤٠ ت ٨٧٣٤. تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٧، ٤٤٨، ت ٨١٦.

لا ترفعوا أصواتكم عند منبر الرسول ﷺ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١). ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية^(٢).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود^(٣) قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل عند الله ﷻ؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قال: حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزداني^(٤).

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه سُئِلَ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(٥).

وفي الصحيحين^(٦): أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعه أو لا تطيقه». قال: فأخبرني به. قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد^(٧) أن تصوم ولا تفطر وتقوم ولا تفتر»^(٨).

(١) انظر صحيح مسلم ج ٣ كتاب (الإمارة) باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم الحديث ١٨٧٩ ص ١٤٩. ورواه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٩.

(٢) ما بين القوسين من: فقط.

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من علماء الصحابة ومن السابقين الأولين، هاجر المجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، حدث عن النبي ﷺ كثيرًا، له مناقب جمة. توفي سنة ٣٢هـ.

انظر: الإصابة ج ٤ ص ٢٣٣. تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٧، ٢٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم الحديث ٢٦٣٠. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث ٨٥ ص ٨٩.

(٥) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان، باب من قال أن الإيمان هو العمل، رقم الحديث ٢٦ ص ١٨. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث ١٣٥ ص ٨٨. والحديث عن أبي هريرة.

(٦) في ب: وفيه.

(٧) في أ، هـ، والمطبوعة: إذا خرجت مجاهدًا، وفيه بقية النسخ: إذا خرج المجاهد، وهذا موافق لما في الحديث.

(٨) انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير، رقم الحديث ٢٦٣٣ ص ١٠٢٦. صحيح مسلم ج ٣ كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم الحديث ١٨٧٨ ص ١٤٩٨. ورواه أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٤٤.

وفي السنن عن معاذ^(١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢)، وقال: «يا معاذ إني لأحبك، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٣)، وقال له وهو رديفه: «يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه ألا يعذبهم»^(٤)^(٥).

وقال أيضاً^(٦) لمعاذ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». وقال: «يا معاذ ألا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، له مناقب كثيرة، وقد أمره النبي ﷺ على اليمين، وقدم منها في خلافة أبي بكر، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٧ أو ١٨ هـ، عاش أربعًا وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة ج ٦ ص ١٣٦ ت ٨٠٤٦. وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٨٦-١٨٨ ت ٣٤٧.

(٢) رواه الترمذي وأحمد، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. رقم الحديث ٢٠٥٤ ص ٢٣٩، ٢٤٠. المسند ج ٥ ص ٢٢٨.

(٣) رواه أبو داود وأحمد.

انظر: سنن أبي داود ج ٢ كتاب الصلاة، باب الاستغفار، رقم الحديث ١٥٢٢ ص ١٨٠، ١٨١. والمسند ج ٥ ص ٢٤٥.

(٤) في ذي: ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. وهي رواية البخاري في ج ٣ كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، رقم الحديث ٢٧٠١ ص ١٠٤٩.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب اللباس، باب أرداف الرجل خلف الرجل، رقم الحديث ٥٦٢٢ ص ٢٢٢٤.

صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث ٣٠ ص ٥٨-٥٩. المسند ج ٥ ص ٢٣٦.

(٦) كلمة (أيضًا) سقطت من ب، ج، وفي ب: يا معاذ.

ثم قال: «يا معاذ ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك؟» فقال: «امسك عليك لسانك هذا» فأخذ بلسانه، قال: يا رسول الله وإنا لمؤخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

الصمت المشروع

وتفسير هذا^(٢) ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٣).

فالتكلم^(٤) بالخير خير من السكوت عنه^(٥)، والصمت عن الشر خير من التكلم به^(٦)، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن^(٧) أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المذمومة أيضاً^(٨)، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: «ما هذا؟» فقالوا: أبو إسرائيل^(٩) نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»^(١٠).

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ولفظ ابن ماجه: «رأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد».

انظر: سنن الترمذي ج ٤ أبواب الإيثار، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث ٢٧٤٩ ص ١٢٤، ١٢٥. المسند ج ٥ ص ٢٣٧، ٢٤٨. سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتن، رقم الحديث ٣٩٧٣ ص ١٣١٤. وقد تكلم عليه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٢٣٦.

(٢) أي تفسير قول الرسول ﷺ: «أمسك عليك لسانك».

(٣) انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث ٦١١٠ ص ٢٣٧٦.

صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيثار، باب الحث على إكرام الجار.. رقم الحديث ٧٤ ص ٦٨.

(٤) في أ: فإن التكلم.

(٥) قوله (عنه) سقط من ب.

(٦) قوله (به) سقط من ب.

(٧) في ب، ج، د: من.

(٨) قوله (أيضاً) سقط من ب، ج، د.

(٩) أبو إسرائيل: لا يشاركه أحد في كنيته من الصحابة، واختلف في اسمه فقيل: قشير، وقيل: يسير، وقيل: قصير، وقيل: قيسر، وهو قرشي ثم عامري وترجم له ابن الأثير في الصحابة تبعاً لغيره فقال: أبو إسرائيل: الأنصاري، واغتر بذلك الكرمانى فجزم بأنه من الأنصار، والأول أولى.

وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجلاً سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ^(٢) فكأنهم تقالّوها، فقالوا: وأينا مثل رسول الله ﷺ؟ ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٣). (فقوله: من رغب عن سنتي فليس مني)^(٤)، أي من سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله^(٥)، بل يجب على كل مسلم أن يعتقد^(٦) أن خير الكلام: كلام الله، وخير الهدى: هدى محمد ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يخطب بذلك كل يوم^(٧) جمعة^(٨).

انظر: أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٦، فتح الباري ج ٢٥ ص ٩١.

(١) انظر: صحيح البخاري ج ٦ كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم الحديث ٦٣٢٦ ص ٢٤٦٥. ورواه أبو داود عن ابن عباس، ورواه أحمد عن أبي إسرائيل مختصراً.

انظر: سنن أبي داود ج ٣ كتاب الإيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، رقم الحديث ٣٣٠٠ ص ٥٩٩، ٦٠٠. المسند ج ٤ ص ١٦٨.

(٢) في ب، ج، د: زيادة (في السر).

(٣) انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٤٧٧٦ ص ١٩٤٩. صحيح مسلم ج ٢ كتاب لنكاح، باب استحباب النكاح، رقم الحديث ١٤٠١ ص ١٠٢٠.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب، المطبوعة.

(٥) في هـ، المطبوعة: زاد بعد قوله: ورسوله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٦) في ب: (مسلم مؤمن أن يعلم)، وكذلك في ج، د، إلا أن كلمة (مسلم) لم ترد فيها.

(٧) كلمة (يوم) سقطت من ج.

(٨) روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه، وساق الحديث وفيه: ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد».. الحديث.

انظر: صحيح مسلم ج ٢ كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث ٨٦٧ ص ٥٩٢.

الفصل التاسع

العصمة ليست شرطاً في الولاية

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفي عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشبهه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض^(١) الأمور مما أمر الله به وتكون^(٢) مما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق^(٣) أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى، فإن الله - سبحانه وتعالى - تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان^(٤).

[تجاوز الله لأمة محمد ﷺ عن الخطأ والنسيان]

فقال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

و^(٥) ثبت في الصحيح أن الله - سبحانه - استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت.

(١) في د: أن بعض.

(٢) كلمة (تكون) سقطت من المطبوعة.

(٣) في د: (الأمر) بدل الخوارق.

(٤) في د، المطبوعة: زيادة (وما استكروها عليه).

(٥) في ب: وقد ثبت.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِهَا لِيُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه، فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا». قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى قوله ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال الله: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(١) وَاَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. قال: قد فعلت^(٢).

وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وثبت في الصحيحين^(٣) عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر»^(٤)، فلم يؤثم المجتهد المخطئ، بل جعل له أجرًا على اجتهاده، وجعل خطأه مغفورًا له، ولكن المجتهد المصيب له أجران، فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط ولم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله^(٥) من هو ولي الله، إلا أن يكون نبيًا، بل^(٦) ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقي إليه^(٧) في قلبه^(١) وعلى ما يقع له مما

(١) في ب، ج: قال قد فعلت.

(٢) انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، رقم الحديث ٢٠٠ ص ١١٦. رواه أحمد عن ابن عباس.

انظر: المسند ج ١ ص ٢٣٣.

(٣) في ب: الصحيح.

(٤) سبق تخريجه ص ٩١.

(٥) في ب: ما يقول.

(٦) قوله (بل) سقط من ب، د.

(٧) في أ: د: (الله) بدل إليه.

يراه إلهاماً^(٢) ومحادثة^(٣) وخطاباً^(٤) من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه.

أصناف الناس فيمن يظنون ولايته

والناس في هذا الباب^(٥) ثلاثة أصناف: طرفان ووسط، منهم: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميع ما يفعله. ومنهم: من إذا رآه قد قال او فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية، وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخير^(٦) الأمور أوسطها^(٧)، وهو: أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا^(٨) يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده.

(١) في المطبوعة زاد بعد قوله: في قلبه (إلا أن يكون موافقاً).

(٢) الإلهام: ما يلقى في الروح بطريق الفيض، وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بالآية ولا نظر في حجة. وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفية. انظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٤.

(٣) المحادثة في اصطلاح الصوفية هي: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة، كالنداء من الشجرة لموسى ﷺ.

انظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠٥.

قلت: والصواب أن المحادثة بمعنى الإلهام، والمحدث هو: الملهم، فالإلهام يحصل لغير الأنبياء كما في حديث عمر ﷺ وما ذكره الجرجاني فهو التكليم الذي لم يثبت إلا لبعض الأنبياء، فلا يصح تفسير المحادثة به.

انظر: الأقوال في تأويل المحدث ص ١١٤.

(٤) تقدم تعريف المخاطبة في ص ٦٥.

(٥) أي: ما يصدر عن الولي من أقوال وأفعال.

(٦) هكذا في: ب، وفي بقية النسخ: وخيار.

(٧) في هـ، والمطبوعة: أو ساطها.

(٨) في ب: ولا.

كل أحد يجب عرض أعماله وأقواله على الكتاب والسنة

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين لم يكن لأحد أن يلزمه^(١) بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع.

[عمر بن الخطاب محدث وكان يعرض ما يراه على الكتاب والسنة]

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون^(٢)، فإن يكن في أمتي أحد^(٣) فعمر منهم^(٤)»، وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر^(٥)»، وفي حديث آخر: «إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه^(٦)». وفيه: «لو كان

(١) في ب: أن يلزم.

(٢) اختلف في تأويل المحدث، فقيل: هو الملهم، قاله الأكثر، وقيل: المحدث هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل المحدث هو المكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة.

انظر: فتح الباري ج ١٤ ص ١٩٠.

(٣) في ب: في أمتي منهم أحد فعمر.

(٤) انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم الحديث ٣٤٨٦، ص ١٣٤٩. صحيح مسلم ج ٤ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، رقم الحديث ٢٣٩٨ ص ١٨٦٤.

(٥) تعقب السيوطي هذا الحديث في اللآلئ قال: أخرجه ابن عدي عن عقبه بن عامر مرفوعاً، وقال: لا يصح لأن في سنده: زكريا وهو كذاب يضع الحديث، وابن واقع متروك، ومشرح: لا يحتج به، وأورده ابن الجوزي في (الموضوعات) وقال: لا يصح عن رسول الله ﷺ ففي سنده وضاع، ومتروك. قال السيوطي: زكريا: ذكره ابن حبان في الثقات، وابن واقد: وثقه ابن معين وأحمد وغيرهما، ومشرح: ثقة صدوق روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

انظر: الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٢٠. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية للسيوطي ج ١ ص ٣٠٢.

(٦) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: المسند ج ٥ ص ١٤٥. سنن أبي داود ج ٣ كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب تدوين العطاء، رقم الحديث ٢٩٦٢ ص ٣٦٥. سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، رقم الحديث ٣٧٦٥ ص ٢٨٠. سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث ١٠٨ ص ٤٠.

نبي بعدي لكان عمر^(١)، وكان علي ابن أبي طالب ﷺ يقول: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر^(٢). ثبت هذا عنه من رواية الشعبي^(٣)، وقال ابن عمر^(٤): ما كان عمر يقول في شيء إني لأراه كذا إلا كان كما يقول^(٥)، وعن قيس بن طارق قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك^(٦)، وكان عمر يقول: اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة^(٧).

(١) رواه أحمد، والترمذي عن عقبة بن عامر، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

انظر: المسند ج ٤ ص ١٥٤. سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ رقم الحديث ٣٧٦٩ ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) أخرجه عن الشعبي أبو نعيم.

انظر: الحلية ج ١ ص ٤٢، وكذلك ج ٤ ص ٣٢٨. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٦.

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو، راوية من التابعين، حافظ فقيه شاعر، ولد ونشأ بالكوفة، واتصل بعبد الملك بن مروان، استقصاه عمر بن عبد العزيز. والشعبي: نسبة إلى شعب وهو بطن من همدان، توفي بالكوفة سنة ١٠٣هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ت ١١٠، والأعلام ٣/٢٥١.

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي - أبو عبد الرحمن - صحابي جليل نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان عالماً تقياً، جريئاً جهيراً، أفتى الناس سنين كثيرة، وروى عن رسول الله ﷺ كثيراً، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وفي آخر حياته كف بصره، وتوفي بمكة سنة ٧٣هـ وكان ولده بها قبل الهجرة بعشر سنوات.

انظر: الإصابة ج ٤ ص ١٨١-١١٨ ت ٤٨٣٧. الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٠٨.

(٥) رواه الترمذي بمعناه.

انظر: سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ رقم الحديث ٣٧٦٥ ص ٢٨٠.

(٦) أخرجه أبو نعيم عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال: قال علي كرم الله وجهه: «كنا نتحدث أن ملكاً ينطق على لسان عمر». ولم أجد من سمه قيس بن طارق. فلعله خطأ في المسند، وقيس بن مسلم وثقه ابن معين وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات.

انظر: تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٠٣. والحلية ج ١ ص ٤٢.

(٧) أخرج ابن أبي شيبه في معنى هذا عن عبد الله بن عتبة قال: قال عمر: «جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة». وعن ودیعة الأنصاري من قول عمر: «استشر في أمرك الذين يحشون الله». ولم أجد نص ما ذكره المؤلف.

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها^(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي^(٢) الأمور التي يكشفها الله تعالى لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات^(٣) ومكاشفات^(٤) وأفضل هؤلاء في هذه الأمة (بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فإن خير هذه الأمة^(٥) بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(٦). وقد ثبت في الصحيح^(٧) تعيين (عمر بأنه محدث في هذه الأمة)^(٨)، فأى محدث ومخاطب فرض في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعمراً أفضل منه، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة^(٩)، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك، كما رجع يوم الحديبية^(١٠)، لما كان قد رأى محاربة المشركين،

انظر: الكتاب المصنف ج ١٣ ص ٢٧٥، الزهد لابن المبارك ص ٤٢، ٤٩.

(١) قوله (بها) سقط من ب، ج.

(٢) في ج: هي في الأمور.

(٣) تقدم تعريفها ص ٦٥.

(٤) تقدم تعريفها ص ٦٥.

(٥) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٦) وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعترف بهذه الحقيقة كما روى البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي رضي الله عنه: يا أبت أي الناس خير بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن أقول ثم من فيقول عثمان، فقلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث ٣٤٦٨ ص ١٣٤٣. سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب في التفضيل، رقم الحديث ٤٦٢٩ ص ٢٦.

(٧) في ج، د: في الحديث الصحيح.

(٨) في ب: المحدث من هذه الأمة بعمر. وقد تقدم الحديث ص ١١٤.

(٩) من ذلك: في غزوة بدر استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر في الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله استحي قومك وخذ منهم الفداء فاستعن به، وقال عمر: اقتلهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو اجتمعنا ما عصيناك، فأخذ بقول أبي بكر، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]. وكذلك أمره نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾

والحديث معروف في البخاري وغيره، فإن النبي ﷺ قد^(٢) اعتمر سنة ست من الهجرة، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت^(٣) بينه وبينهم على أن يرجع في^(٤) ذلك العام ويعتمر من العام المقبل، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين^(٥) في الظاهر^(٦)، فشق ذلك على كثير من المسلمين، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة، وكان عمر فيمن^(٧) كره ذلك، حتى قال للنبي ﷺ: يا رسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: أليس^(٨) قتلتنا في الجنة وقتلناهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال له النبي ﷺ: «إني رسول الله وهو ناصري^(٩) ولست أعصيه»، ثم^(١٠) قال: أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به قال: «بلى»، قال: «أقلت لك أنك تأتيه العام؟» قال: لا، قال: «إنك آتية ومطوف به»، فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ورد عليه أبو بكر مثل^(١١) جواب النبي ﷺ (ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي

[المؤمنون: ١٢-١٣] الآية. فقال عمر: تبارك الله أحسن الخالقين، فأنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[المؤمنون: ١٤].

انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٦٧.

(١) أي: يوم صلح الحديبية، والحديبية: قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك، وهي على نحو مرحلتين من مكة.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٨١/٣.

(٢) في ب: قد كان اعتمر. وفي ج، د: كان قد اعتمر.

(٣) قوله (جرت) سقط من ب.

(٤) سقط حرف الجر (في) من: ج، د.

(٥) في أ، ج، د: غضاضة بالمسلمين.

(٦) قوله: (في الظاهر) سقطت من: أ، ب، ج، د.

(٧) في ج، د: ممن.

(٨) في ج: أليس.

(٩) في ج: يأمرني ولست أعصيه.

(١٠) سقط حرف العطف (ثم) من: ب، ج.

(١١) في ب: بمثل.

﴿عَلَيْهِ﴾^(١) فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي صلى الله عليه وسلم من عمر، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك و^(٢) قال: فعملت لذلك أعمالاً^(٣).

وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم أنكر^(٤) موته أولاً، فلما^(٥) قال أبو بكر: إنه مات رجع^(٦) عمر عن ذلك^(٧)، وكذلك قال في مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا (فعلوا ذلك)^(٨) عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألم يقل: إلا بحقها، فإن الزكاة من حقها والله

(١) ما بين القوسين سقط من أ، ب.

(٢) سقطت الواو من: ب.

(٣) في البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

انظر: صحيح البخاري ج ٢ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.. رقم الحديث ٢٥٨١، ٢٥٨٢، ص ٩٧٤، ٩٨٠. ورواه مسلم عن سهل بن حنبل مختصراً.

انظر: صحيح مسلم ج ٣ كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية. رقم الحديث ١٧٨٥، ص ١٤١١، ١٤١٢.

(٤) في المطبوعة: أنكر عمر.

(٥) في ب، ج: (حتى) بدل (فلما).

(٦) في ب، ج: فرجع.

(٧) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسَّح فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الخالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَرََ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث ٣٤٦٧، ص ١٣٤١. وكذلك ج ٤ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، رقم الحديث ٤١٨٧، ص ١٦٨.

(٨) في ب، د: قالوا. وفي ج: قالوها.

لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق^(١).

مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر، مع أن عمر ﷺ محدث^(٢) فإن مرتبة الصديق^(٣) فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله، والمحدث يأخذ عن^(٤) قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم، ولهذا كان عمر ﷺ يشاور الصحابة ﷺ وينظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتاج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقرهم على منازعته ولا يقول لهم: أنا محدث ملهم^(٥) مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني و^(٦) لا تعارضوني.

فأي أحد^(٧) ادعى أو ادعى له أصحابه أنه ولي الله وأنه مخاطب يجب على أتباعه ان يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون (ولو قدر هذا من أفضل الناس)^(٨) فعمر بن الخطاب ﷺ أفضل منه، وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقول هو^(٩) على الكتاب والسنة.

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. وفي لفظ مسلم: لو منعوني عقلاً، بدل عناقاً.

انظر: صحيح البخاري ج ٢ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث ١٣٣٥ ص ٥٠٧. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث ٢٠، ٢١، ص ٥٢، ٥١.

(٢) تقدم تعريف المحدث ص ١١٤.

(٣) تقدم تعريف الصديق ص ٩٩.

(٤) في د: من.

(٥) تقدمت هذه الألفاظ ص ١١٣.

(٦) في ب، د: لا تعارضوني، بدون الواو.

(٧) في ب، ج، د: (من) بدل (أحد). و(الواو) بدل (أو) في قوله: أو ادعى.

(٨) في أ، ج، د: (ومثل هؤلاء من أضل الناس). وفي هـ: (ومثل هذا من أضل الناس). وفي المطبوعة: (ومثل هذا أضل الناس).

(٩) في أ، ب، د، المطبوعة: ما يقوله وهو وهم.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد^(١) يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيذان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنه^(٢) لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيذان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، و^(٣) له أجر على اجتهاده، و^(٤) لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً^(٥) وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال ابن مسعود^(٦) وغيره: (حق تقاته)^(٧) أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يكفر^(٨). أي بحسب استطاعتكم، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، كما قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢].
وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].
وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - الإيذان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع كقوله تعالى:

(١) في أ، ب، ج، د: واحد.

(٢) في المطبوعة: فإنهم.

(٣) سقط الواو من: ب، والمطبوعة.

(٤) سقطت الواو من: أ، ب.

(٥) في ب: خطأ.

(٦) مرت ترجمته ص ١٠٩.

(٧) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٨) روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ٦٥ / ٧.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

[الاستشهاد ببعض كلام قدماء الصوفية على وجوب الاعتصام بالكتاب

والسنة]

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، (وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة)^(١): هو مما اتفق عليه أولياء الله ﷺ ومن خالف في^(٢) هذا فليس من أولياء الله سبحانه، الذين أمر^(٣) الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً في الجهل، وهذا كثير في كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني^(٤): «إنه يقع في قلبي النكتة^(١) من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة»^(٢).

(١) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٢) قوله (في) سقط من: ب.

(٣) في ب: أمرهم.

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العيسى الداراني، أبو سليمان، والداراني نسبة إلى (داريا) قرية من قرى دمشق، وهو زاهد مشهور، له كلام في الزهد، توفي سنة ٢١٥ هـ.

انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ١/ ٧٥. والحلية ٩/ ٢٥٤.

وقال أبو القاسم الجنيد^(٣) -رحمة الله عليه-: «علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا، أو قال: لا يقتدى به»^(٤).
وقال أبو عثمان النيسابوري^(٥): «من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول^(٦):

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]^(٧).

وقال أبو عمرو بن نجيد^(٨): «كل وجد^(٩) لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل»^(١٠).

(١) النكتة: تطلق على النقطة في الشيء، وعلى الطرفة والكلمة اللطيفة، وعلى الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، وعلى المسألة العلمية الدقيقة بتوصل إليها بدقة وإمعان فكر، والمعنيان الأخيران هما الأقرب إلى مراد المؤلف هنا.
انظر: المعجم الوجيز ص ٦٣٣.

(٢) ذكر ذلك أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) ١/ ٧٥. وذكر ذلك أيضًا ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ٤/ ٢٢٩.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٤) بل قال: لا يقتدى به. ذكر ذلك أبو نعيم في (الحلية) ١٠/ ٢٥٥. والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ٧/ ٢٤٣.
وأبو القاسم القشيري في (الرسالة القشيرية) ١/ ١٣٤.

(٥) سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري النيسابوري -أبو عثمان- أصله من الري ووصل إلى نيسابور قاصدًا أبا حفص الحداد فزوجه ابنته وأخذ عنه طريقته، كان حميد الأخلاق، ومنه انتشرت طريقة التصوف في نيسابور، مات سنة ٢٩٨ هـ.

انظر: الحلية ١٠/ ٢٤٤. والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٦.

(٦) في هـ، والمطبوعة: لأن الله تعالى يقول: (في كلامه القديم). ولم ترد هذه الزيادة في المراجع ولذا لم أثبتها في النص.

(٧) ذكر ذلك أبو نعيم في (الحلية) ١٠/ ٢٤٤، وأبو القاسم القشيري في (الرسالة القشيرية) ١/ ١٣٩.

(٨) هكذا في جـ. وفي بقية النسخ أبو عمر، وما في جـ هو الصواب، واسمه: إسماعيل بن جنيد بن أحمد السلمي، أبو عمرو، من مشايخ الصوفية، وهو جد الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي، لقي الجنيد، وكان من أكبر مشايخ وقته، سمع الحديث ورواه، توفي في مكة سنة ٣٦٦ هـ.

انظر: الرسالة القشيرية ص ٢٨. الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٠.

(٩) تقدم تعريف الوجد في ص ٥٩.

(١٠) ذكر ذلك أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) ص ٤٥٥. وكذلك ذكره القشيري في (الرسالة القشيرية) ص ٢٨.

غلط بعض الناس في اعتقاد الولاية في معين وفيما يجب للولي

وكثير^(١) من الناس يغلط في هذا الموضوع^(٢) فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل^(٣) ما يفعله، وإن خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك الشخص^(٤) ويخالف ما بعث الله به رسوله، الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه^(٥) كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخرًا إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمَّ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُلبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

(١) في ج: فكثير.

(٢) هكذا في ب، ه، وفي بقية النسخ: الموضوع.

(٣) في النسخ غير (ب): كرر قوله «كل ما يقوله ويسلم إليه».

(٤) في ه، والمطبوعة:.. ذلك الشخص له...

(٥) في أ، ب، د: يتابعه.

وهؤلاء مشاهون^(١) للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وفي مسند^(٢) الترمذي عن عدي بن حاتم^(٣) (في تفسير^(٤) هذه الآية لما سأل النبي ﷺ عنها فقال ما عبدوهم، فقال النبي ﷺ: «أحلو لهم^(٥) الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتهم إياهم»^(٦)).

ولهذا قيل - في مثل هؤلاء -: إنها حرموا الوصول بتضييع الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان (بما جاء به الرسول ﷺ)^(٧)، فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم، ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنًا وظاهرًا، حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب (عليهم اتباعه)^(٨) كما قال تعالى:

(١) في ج، د: يشاهون النصارى.

(٢) هكذا في ب، د، وفي بقية النسخ: (وفي المسند وصححه الترمذي) والصواب ما أثبت، لأن الإمام أحمد لم يرو هذا اللفظ، وإنما روى قصة إسلام عدي دون تفسير هذه الآية. والترمذي لم يصححه، وإنما قال: حديث غريب.

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس الطائي، أبو طريف، ويقال: أبو وهب، وهو ابن الجواد المشهور، قدم على النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة وكان نصرانياً قبل ذلك، حضر فتح المدائن وشهد مع علي الجمل، وصفين والنهران، روى له الجماعة، مات سنة ثمانين وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر. انظر: الإصابة ٤/٤٦٩ ت (٥٤٧٩). وتهذيب التهذيب ٧/١٦٦ ت (٣٣٠).

(٤) في هـ، والمطبوعة: تفسيره.

(٥) في ب، هـ، والمطبوعة: عليهم.

(٦) انظر: سنن الترمذي ج ٤ أبواب تفسير القرآن، رقم الحديث ٥٠٩٣ ص ٣٤١، ٣٤٢، وقال الترمذي: حديث غريب.

وقال السيوطي: أخرجه ابن سعد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في سننه عن عدي بن حاتم.

انظر: الدر المنثور ٣/٢٣٠.

(٧) في أ، ب: بالله ورسوله.

(٨) في ب: اتباعهم.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمن به ولينصره، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهن أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ^(١).

وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله فإنه بنى أمره على أنه ولي الله، وأن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟!

التصرفات الخارقة ليست دليلاً على الولاية

وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة ^(٢) في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة ^(١) للعادة مثل: أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى

(١) أورد هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ٥٥٦/٦، وكذلك ابن كثير ٣٢٥/١، والسيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢، ٤٨.

(٢) تقدم تعريفها في ص ٦٥.

مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً من الهواء، أو ينفق^(٢) بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور. وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يعتر به حتى ينظر^(٣) متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه^(٤).

من الخوارق ما يكون لأعداء الله

وكرامات^(٥) أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه (الأمور الخارقة للعادة)^(٦) وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي الله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم^(٧) التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان (والقرآن وبحقائق الإيمان)^(٨) الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة.

(١) تقدم تعريفها في ص ٦٥.

(٢) في ب: ينطق.

(٣) في ب: تنظر.

(٤) من هذه التصرفات ما ذكر عن الحلاج، كما أورده ابن تيمية في رسالته في الجواب عن سؤال عن الحلاج، في (جامع الرسائل) ص ١٩٢-١٩٦.

(٥) في ب: فصل وكرامات أولياء الله. وقد تقدم تعريف الكرامة في ص ٦٥.

(٦) ما بين القوسين سقط من: أ، ب، ج.

(٧) في ب: (وأقوالهم) بدل أحوالهم.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

[بعض علامات أولياء الشيطان]

مثال ذلك: أن الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات^(١) المكتوبة، بل يكون ملابسًا للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف، وقد قال النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب»^(٢).

وقال عن هذه الأخلية: «إن هذه الحشوش^(٣) محتضرة»^(٤) أي: يحضرها الشيطان، وقال: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(٥).

(١) في ب، د: الصلاة.

(٢) رواه أبو داود والنسائي عن علي بن أبي طالب ولفظه: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب». والحديث في الصحيحين والترمذي دون قوله: (ولا جنب) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

انظر: سنن أبي داود ج ١ كتاب الطهارة، باب في الجنب يؤخر الغسل، رقم الحديث ٢٢٧، ص ١٥٣، ١٥٤.

سنن النسائي ج ١ كتاب الطهارة، باب في الجنب إذا لم يتوضأ ص ١٤١.

صحيح البخاري ج ٣ كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، رقم الحديث ٣٠٥٣ ص ١١٧٩.

صحيح مسلم ج ٣ كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، رقم الحديث ٢١٠٤ ص ١٦٦٤.

سنن الترمذي ج ٤ أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، رقم الحديث ٢٩٥٦ ص ٢٠٠.

(٣) رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، عن زيد بن أرقم، بلفظ: «إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث».

انظر: سنن أبي داود ج ١ كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم الحديث ٦ ص ١٦. سنن ابن ماجه ج ١ كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم الحديث ٢٩٦ ص ١٠٨. المسند ٣٩٤/٣، ٣٧٣.

(٤) الحشوش: جمع: الحش، وهو في الأصل البستان من النخل، ويسمى موضع الخلاء حساً لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، أي يتغوطون فيها. انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور ٣/٣٩٤.

(٥) ورد هذا الحديث عن جابر وغيره بألفاظ متقاربة، بصيغة الإفراد، وأما لفظ «الشجرتين الخبيثتين» فهو من قول عمر، كما هو عند مسلم وغيره.

انظر صحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً. رقم الحديث ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٧، ص ٣٩٤.

صحيح البخاري ج ١ كتاب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، رقم الحديث

وقال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(١)، وقال: «إن الله نظيف يحب النظافة»^(٢). وقال: «خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والفأرة والغراب»^(٣) والحدأة والكلب العقور»^(٤). وفي رواية: «الحية والعقرب»^(٥)، وأمر صلوات الله وسلامه عليه: «بقتل الكلاب»^(٦) وقال: «من أقتنى كلباً لا

- (١) رواه مسلم وأحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
- انظر: صحيح مسلم ج ٢ كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث ١٠١٥ ص ٧٠٣. المسند ٢/٣٢٨. سنن الترمذي ج ١ أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة البقرة، رقم الحديث ٤٠٧٤ ص ٢٨٨. سنن الدارمي ج ٢ كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب، ص ٣٠٠.
- (٢) رواه الترمذي، عن عامر بن سعد عن أبيه، وقال الترمذي: حديث غريب.
- انظر: سنن الترمذي ج ٤ كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في النظافة، رقم الحديث ٢٩٥١، ص ١٩٨.
- (٣) قوله: (والغراب) سقطت من: أ، ب، المطبوعة.
- (٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه عن عائشة بألفاظ متقاربة، وما أورده المؤلف لا يخرج عنها.
- انظر: صحيح البخاري ج ٢ أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث ١٧٣٢ ص ٦٥٠. صحيح مسلم ج ٢ كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره، رقم الحديث ١١٩٨ ص ٨٥٦. المسند ٢/٨٢. سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم، رقم الحديث ٣٠٨٧ ص ١٠٣١.
- (٥) هي رواية أبي داود عن أبي هريرة.
- انظر: سنن أبي داود ج ٢ كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث ١٨٤٧، ص ٤٢٤. وورد ذكر العقرب في بعض ألفاظ البخاري، في الحديث رقم ١٧٣١، ١٧٣٢، في الموضع المشار إليه في تخريج الحديث السابق.
- (٦) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله. ثم أن رسول الله ﷺ نهى عن قتلها، إلا الأسود البهيم.
- انظر: صحيح البخاري ج ٣، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب، رقم الحديث ٣١٤٥ ص ١٢٠٧. صحيح مسلم ج ٣ كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، رقم الحديث ١٥٧٠، ١٥٧٢، ص ١٢٠٠. وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الصيد، باب قتل الكلاب، رقم الحديث ٣٢٠٢ ص ١٠٦٨. وكذلك باب النهي عن اقتناء الكلب، رقم الحديث ٣٢٠٥ ص ١٠٦٩.

يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا نقص من عمله كل يوم قيراط»^(١). وقال: «لا تصحب الملائكة رفقة معه كلب»^(٢)، وقال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب»^(٣).

وقال^(٤) تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

(١) رواه البخاري ومسلم، وابن ماجه ع سفيان بن أبي زهير.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب، رقم الحديث ٣١٤٧ ص ١٢٠٧، وكذلك كتاب المزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث، رقم الحديث ٢١٩٨ ص ٨١٨. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، رقم الحديث ١٥٧٤ ص ١٢٠٢. وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الصيد، باب النهي عن اقتناء الكلب رقم الحديث ٣٢٠٦، ص ١٠٦٩.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد عن أبي هريرة وغيره. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: صحيح مسلم ج ٣ كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس، رقم الحديث ١٠٣ ص ١٦٧٢. سنن أبي داود ج ٣ كتاب الجهاد، باب في تعليق الأجراس، رقم الحديث ٢٥٥٥ ص ٥٣. سنن الترمذي ج ٣ أبواب الجهاد، باب ما جاء في الأجراس على الخيل، رقم الحديث ١٧٥٥ ص ١٢٣. مسند أحمد ٢/٢٦٢.

(٣) رواه البخاري ومسلم، وأصحاب السنن عن أبي هريرة بلفظ: (أولاهن)، وعن الترمذي بلفظ: (أولاهن أو أخراهن)، وفي رواية ابن المغفل بلفظ: (وعفروه الثامنة بالتراب).

ولفظ (إحداهن) في سنن الدارقطني من رواية الجارود بن أبي يزيد وهو متروك.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به، رقم الحديث ١٧٠، ص ٧٥. صحيح مسلم ج ١ كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، رقم الحديث ٢٧٩، ٢٨٠، ص ٢٣٤، ٢٣٥. مسند أبي داود ج ١ كتاب الطهارة، باب الوضوء بسؤر الكلب، رقم الحديث ٧١ ص ٥٧. المسند ٢/٢٤٥. سنن اب ماجه ج ١، كتاب الطهارة، باب غسل الإناء، رقم الحديث ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ص ١٣٠. الموطأ ج ١ كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، رقم الحديث ٣٥ ص ٣٤. سنن الترمذي ج ١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الكلب، رقم الحديث ٩١، ص ٦١. سنن النسائي ج ١ كتاب الطهارة، سؤر الكلب، ص ٥٢، وكذلك باب تعفير الإناء، ص ٥٤. سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب في ولوغ الكلب ص ١٨٨. سنن الدارقطني ج ١ كتاب الطهارة، باب ولوغ الكلب، رقم الحديث ١٢، ص ٦٥.

(٤) في و: وقد قال تعالى.

فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يجبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمات، والحشوش^(١) التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات (والعقارب والزناير وأذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق)^(٢)، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يجبها الشيطان، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، (أو يسجد إلى ناحية شيخه)^(٣)، ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلبس الكلاب، أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى (المقابر ولا سيما)^(٤) مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان^(٥) على سماع كلام الرحمن: فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن.

من نور الله قلبه استطاع أن يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل أحدكم^(٦) عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله»^(٧).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله ﷻ»^(٨).

وقال ابن مسعود: «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»^(٩).

(١) تقدم تعريفها في ص ١٢٨.

(٢) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٣) ما بين القوسين سقط من: ب، وفي ج: «أو يسجد ناحية قبر شيخه».

(٤) ما بين القوسين: من هـ، والمطبوعة فقط.

(٥) في ب: الشياطين.

(٦) في ج: أحد.

(٧) في المطبوعة: فهو يبغض الله ورسوله. وقد أورد هذا الأثر ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) ص ٣١٨.

(٨) أورد هذا الأثر عن عثمان: ابن القيم في (إغاثة اللهفان) ١ / ٥٥، وابن رجب في (جامع العلوم والحكم) ص

٣١٨.

(٩) النصف الأول من الأثر لم أجده، وأما قوله: «والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» فقد أورده ابن القيم بسنده، وقال: هو صحيح عن ابن مسعود، وقد روى مرفوعاً وفي سنده مجهول، قال ابن القيم: وفي رفعه نظر والموقوف أصح، ورواه أبو داود بسند فيه ذلك المجهول.

وإن كان^(١) الرجل خبيرًا بحقائق الإيمان الباطنة فارقًا^(٢) بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية: فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره، كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال^(٣): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(٤). قال الترمذي: حديث حسن، وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري (وغيره)^(٥) قال فيه: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وي يبصر وي يبطش وي يمشي، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه»^(٦).

انظر: إغاثة اللفهان ١/ ٢٤٧، ٢٤٨. سنن أبي داود ج ٥ كتاب الأدب، باب كراهية الغناء، رقم الحديث ٤٩٢٧ ص ٢٢٣.

(١) في ج، د: فإن كان.

(٢) في أ، د: فرق.

(٣) في ب، د: أنه قال.

(٤) انظر: سنن الترمذي ج ٤ أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الحجر، رقم الحديث ٥١٣٣، ص ٣٦٠. وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن أبي أمامة وإسناده حسن.

انظر: محمد الزوائد ١٠/ ٢٦٨. وأخرجه الخطيب البغدادي عن أبي سعيد الخدري.

انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٢.

(٥) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٦) تقدم تخريجه في ص ٥٠.

فإذا^(١) كان العبد من هؤلاء: فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، (وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق)^(٢) بين النبي الصادق وبين المتنبئ الكاذب فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب^(٣) والأسود العنسي^(٤)، وطليحة الأسدي^(٥)، والحارث الدمشقي^(٦)،

(١) في د: وإذا.

(٢) في ب: (وكما يجب أن يفرق).

(٣) مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليامة، في القرية المسماة اليوم بالجبلية، وتلقب بالجاهلية بالرحمن، ولما ظهر الإسلام قدم مع وفد بني حنيفة إلى النبي ﷺ وأسلموا، ثم انصرفوا فارتد مسيلمة عن الإسلام، وادعى النبوة ووضع الأسجاع وصار له أتباع، وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء عليه، وفي خلافة أبي بكر انتدب له خالد بن الوليد، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له (عقرباء) في طرف اليامة، فلجأ بنو حنيفة إلى حديقة الموت، وفيها مسيلمة فدخلها المسلمون، وقتل مسيلمة رماه وحشي بن حرب، قاتل حمزة، بحربته وخرجت من الجانب الآخر، وذلك في سنة ١٢ هـ.

انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٧/٤٠٠. البداية والنهاية ٦/٣٦٤. الأعلام للزركلي ٧/٢٢٦.

(٤) واسمه: عبهلة بن كعب بن عوف العنسي، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ وادعى النبوة، وكانت رده أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ وقد تبعه خلق كثير من أهل اليمن، واحتل اليمن بكاملها واستطار أمره، فلما بلغ النبي ﷺ خبره أمر المسلمين الذين هناك بقتله فقتلوه، وكان أمره من أوله إلى آخره ثلاثة أشهر أو قريب من أربعة، وكان قدوم خبر مقتله في أواخر ربيع الأول سنة ١١ هـ.

انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٢/٢٣٣٦. البداية والنهاية ٦/٣٤٧.

(٥) في ب، والمطبوعة: وطلحة، والصواب ما أثبت. وهو طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي، قدم على النبي ﷺ في وفد بن أسد وأسلم، وارتد بعد ذلك وادعى النبوة وتبعه كثير من العرب عصبية، أرسل له أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله وانهمز طليحة وفر إلى الشام، فلم يزل مقيمًا بها حتى بلغه أن أسدًا وغطفان قد أسلموا فأسلم، يقال أنه استشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ.

انظر الإصابة ٣/٥٤٢، ت (٤٢٩٤). الكامل في التاريخ ٢/٣٤٣.

(٦) الحارث بن سعيد من أهل دمشق، وكان متعبدًا يتكلم في التحميد بكلام لم يسمع مثله فتعرض له إبليس فأغواه، فتوهم أنه نبي فكان يجيء إلى أهل المسجد ويريمهم الأعاجيب، حتى كان يأتي إلى رخامة المسجد فيقرأها بيده

(وباباه الرومي)^(١)، وغيرهم^(٢) من الكذابين، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين.

فتسبح، وكان يرى الناس رجالاً على خيل ويقول هذه الملائكة، فتبعه بشر كثير، فبلغ أمره عبد الملك فطلبه فلم يقدر عليه واختفى ببيت المقدس، فلم يزل عبد الملك يطلبه إلى أن قبض عليه فقتله وصلبه، وذلك في سنة ٦٩ هـ. انظر: لسان الميزان لابن حجر ٢/ ١٥١. تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٩. الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٤.

(١) ما بين القوسين سقط من د، ج.

والبابا: اسم عام يطلق على الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، وأطلق أخيراً على رئيس الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً، ومن اشتهر من هؤلاء البابوات جريجوري الذي ينسب إليه وضع التقويم الميلادي. والمؤلف هنا أراد شخصاً بعينه ولكني لم أفق عليه.

انظر: دائرة المعارف الحديثة ص ٢٤٢، ٦١٧. والمعجم الوسيط ١/ ٣٥

(٢) في ب، ج، د: ونحوهم.

الفصل العاشر^(١)

الحقيقة الحقّة هي حقيقة دين رب العالمين وهو دين الرسل

والحقيقة: حقيقة الدين^(٢)، دين رب العالمين [و] هي ما اتفق عليها^(٣) الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج.

[الأنبياء لكل منهم شرعة ومنهاجاً]

فالشرعة: هي الشريعة، قال الله تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٨)
﴿إِنَّهُمْ لَنُ يُعْذِرُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٩)
[الجاثية: ١٨-١٩].

والمنهاج: هو الطريق، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١٦)
﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾^(١٧) [الجن: ١٦-١٧].

فالشرعة: بنزله الشريعة للنهر، والمنهاج: هو الطريق الذي يسلك^(٤) فيه، والغاية المقصودة: هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، (فإن دين الإسلام هو)^(٥): أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن (استسلم لله ولغيره)^(٦) كان

(١) كلمة (فصل) سقطت من: ب.

(٢) كلمة (الدين) سقطت من: ب.

(٣) في ج: عليه.

(٤) في ب، هـ، المطبوعة: سلك.

(٥) في هـ، المطبوعة: (وهي).

(٦) في هـ، المطبوعة: (استسلم لغيره).

مشركا، والله لا يغفر أن يُشرك به، ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الإسلام دين جميع الرسل

ودين الإسلام: هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

الإسلام دينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. عام في كل زمان

ومكان، فنوح، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، والحواريون، كلهم دينهم الإسلام الذي

هو عبادة الله وحده لا شريك له.

قال الله تعالى عن نوح: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَكُمُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ

تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]. إلى قوله: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

[٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣] إذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

[البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٨٤]

[يونس: ٨٤].

وقال السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَقَّفِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقالت بلقيس ^(١): ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

(١) هي: بلقيس ملكة سبأ التي أشار إليها القرآن الكريم، وبلقيس لقب، واسمها بلقيمة بنت ذي مسرح، وقيل: بنت الشيصبان، ملك سبأ، فلما احتضر استخلفها لما عرف من رأيها وحسن تدبيرها، فوليت أمر اليمن كله، وانقادت لها قبائل حمير، وتوسع ملكها، وكانت تحت يدها الملوك.

وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الحواريون: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

فدين الأنبياء: واحد^(١)، وإن تنوعت شرائعهم، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»^(٢).

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وسبأ: هي القبيلة التي هي أولاد سبأ بن يشجب، واسم بلدة سبأ من اسم القبيلة، ولما ظهر النبي سليمان دعاها إلى الإسلام فأسلمت فتزوجها، وقصتها مع سليمان في سورة النمل.
انظر: التبصرة لابن الجوزي ٢/٣٠٣. الأعلام للزركلي ٢/٧٣.

(١) في ج: دين واحد.

(٢) الحديث عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب (الأنبياء) باب (واذكر في الكتاب مريم) رقم الحديث (٣٢٥٩) ص ١٢٧٠.
وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب (فضائل عيسى ﷺ)، رقم الحديث (٢٣٦٥) ص ١٨٣٧. ورواه أحمد عن أبي هريرة ٢/٣٠٩، ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٨٢.

(٣) هذه الآيات لم ترد في: ه، والمطبوعة.

الفصل الحادي عشر

تفضيل الأنبياء ومراتب السعداء

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

أبو بكر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين

وفي الحديث: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين، أفضل من أبي بكر»^(١).

أمة محمد ﷺ أفضل الأمم

وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال النبي -ﷺ- في الحديث الذي في المسند^(٢): «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(٣).

(١) رواه الطبراني بعدة طرق عن جابر، وفي سنده إسماعيل التميمي، وهو كذاب. وعن أبي الدرداء، وفي سنده (بقية) وهو مدلس، وبقية رجاله وثقوا. وعن سلمة بن الأكوع، وفي سنده إسماعيل بن زياد، وهو ضعيف. وعن أسعد بن زرارة، وفي سنده محمد بن موسى، وهو ضعيف.

انظر: مجمع الزوائد ٩/٤٣، ٤٤.

(٢) ما بين الشرطين سقط من ب. وفي ج، د: في الحديث الصحيح الذي في المسند.

(٣) الحديث عن حكيم بن معاوية عن أبيه، وهو من رواية الجريري ويهز بن حكيم وقال الترمذي: حديث حسن.

انظر: المسند ٥/٣. سنن الترمذي ج ٤ أبواب تفسير القرآن، ص ٢٩٤ رقم الحديث (٤٠٨٧). سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم الحديث ٤٢٨٨، ص ١٤٣٣.

فضل القرن الأول

وأفضل أمه محمد ﷺ هم^(١): القرن الأول، وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم^(٢)، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(٣). وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه.

فضل الصحابة على غيرهم

وفي الصحيحين^(٤) -أيضاً- عنه ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(٥).

فضل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار على سائر الصحابة

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: أفضل من سائر الصحابة، قال تعالى: قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

(١) سقط الضمير من هـ، والمطبوعة.

(٢) في أ، والمطبوعة: فيه.

(٣) انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم الحديث (٣٤٥٠) ص ١٣٣٥. صحيح مسلم ج ١ كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة. رقم الحديث (٢٥٣٣-٢٥٣٦) ص (١٩٦٢-١٩٦٥).

(٤) في ب: وفي الصحيح.

(٥) الحديث في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وغيره، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي، وابن ماجه.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث (٣٤٧٠) ص ١٣٤٣. صحيح مسلم ج ٤ كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ رقم الحديث (٢٥٤٠) ص (١٩٦٧). المسند: ج ٣ ص ١١. سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث (٤٦٥٨) ص ٤٥. سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، باب ما جاء فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث (٣٩٥٢) ص ٣٥٧، ٣٥٨. سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة، فضل أهل بدر، رقم الحديث (١٦١) ص ٥٧.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ۗ﴾
وَرَضُوا عَنْهُ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون الأولون: هم^(١) الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية^(٢)،
 فإنه كان من أول فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا
 تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢].
 فقالوا: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «نعم»^(٣).

فضل الخلفاء الأربعة على السابقين الأولين [فضل أبي بكر وعمر]

وأفضل السابقين الأولين: الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، وهذا هو المعروف عن
 الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الأمة، وجماهيرها، وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في
 (منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية)^(٤).
 وبالجملة اتفقت طوائف^(٥) السنة والشيعة: على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء،
 ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة^(٦).

وأفضل أولياء الله تعالى: أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول، واتباعاً له، كالصحابه الذين هم
 أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به، فهو أفضل
 أولياء الله، إذ^(٧) كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ وأفضلهم أبو بكر ﷺ.

(١) سقط الضمير من: هـ، المطبوعة.

(٢) تقدم في ص ١١٧.

(٣) رواه أبو داود وأحمد عن مجمع بن جارية.

انظر: سنن أبي داود ج ٣ كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً، رقم الحديث (٢٧٣٦) ١٧٤. المسند ٣/ ٤٢٠،
 ٤٨٦.

(٤) في ب: منهاج الاستقامة والاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال. وهذا الكتاب من مؤلفات ابن تيمية
 المشهورة، وقد ألفه ردّاً على (منهاج الكرامة) لابن المطهر، والكتاب مطبوع في أربع مجلدات، وانظر الكلام فيه
 حول أفضلية أبي بكر في المجلد الرابع ص ٢١٤-٢٩٨.

(٥) في ب: طائفة.

(٦) في أ، ب، و: أفضل من جميع الصحابة.

قياس ملاحدة الصوفية خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء

وقد ظن طائفة غالطة: أن خاتم الأولياء يكون^(٢) أفضل الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء، إلا محمد بن علي^(٣) (الحكيم الترمذي) فإنه صنف مصنفاً^(٤) غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد^(٥) منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته.

[دعوى ابن عربي وأمثاله أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء]

كما زعم ذلك ابن عربي^(٦)، صاحب كتاب^(٧) (الفتوحات المكية)^(٨)، وكتاب (الفصوص)^(٩)، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال^(١٠): فخر عليهم السقف من تحتهم، لا عقل ولا قرآن.

(١) في د: إذا.

(٢) قوله: (يكون) سقط من: ه، والمطبوعة.

(٣) محمد بن علي بن الحسن، أبو عبدالله، الحكيم الترمذي، نم كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة، كتب الحديث الكثير ورواه، نفي من ترمذ إلى بلخ، لابتداعه وتأليفه كتاب (ختم الولاية)، واختلف في سنة وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ٣٢٠هـ.

انظر: صفة الصنفوة ٤/١٦٧. طبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمي ص ٢١٧.

(٤) اسم هذا المصنف (ختم الولاية) وقد صرح ابن تيمية باسم هذا المصنف في رسالته (حقيقة مذهب الاتحاديين) وأورد أمثلة من أغلاطه، وقد نشر الكتاب بتحقيق د. عثمان يحيى، طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٥م.

انظر: جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/١٠٠. حقيقة مذاهب الاتحاديين لابن تيمية ص ٥٩. درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ج ٥، ص ٣٥٥.

(٥) كلمة (واحد) سقطت من أ، د.

(٦) محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي، أبو بكر، المعروف بمحيي الدين بن عربي، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ، وتعلم بها وطاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه (الفتوحات المكية)، وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، وله مصنفات فيها كفر صريح، توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ.

انظر: التكملة لوفيات النقلة ٣/٥٥٥ (٣٩٧٢). البداية والنهاية ١٣/١٤٩.

(٧) في أ، ب: صاحب كتاب الفتوحات في كتاب الفصوص.

وذلك أن^(٤) الأنبياء أفضل^(٥) في الزمان من أولياء هذه الأمة، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء، فكيف يكون^(٦) الأنبياء كلهم. والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم.

فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء ثابتًا بالنص

فإن فضل محمد ﷺ (على سائر الأنبياء)^(٧) ثبت بالنصوص الدالة على ذلك، كقوله ﷺ: «أنا سيد آدم ولا فخر»^(٨)، وقوله: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»^(٩).

(١) (الفتوحات المكية) من أكبر مؤلفات ابن عربي وآخرها تأليفًا، ألفها في فترة إقامته في مكة، ثم كتبها ثانية بدمشق، ذكر أنه زاد عليها زيادات لا توجد في النسخة الأولى، والكتاب مطبوع في أربع مجلدات كبيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر، ويكاد يشتمل على كل ما أورده ابن عربي في مؤلفاته الأخرى، وقد قضى في وضعه وتمحيصه ثلاثين سنة أو يزيد. قال عنه ابن كثير: إن فيه ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف.

انظر: كشف الظنون ٢/١٢٣٨. البداية والنهاية ١٣/١٤٩. ومقدمة الفتوحات التي كتبها د. عثمان يحيى.

(٢) (فصوص الحكم) من مؤلفات ابن عربي، زعم أنه ألقاه إليه الرسول ﷺ وإنما الذي ألقاه إليه الشيطان لأن فيه من الكفر والإلحاد ما قد بينه ابن تيمية رحمته في (حقيقة مذهب الاتحاديين). قال أبو العلاء عفيفي في مقدمة (الفصوص): له طريقة في تأويل الآيات فيها تعسف وشطط، ويعمد إلى تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه.

يقول (نيكولسون) في وصف أسلوب ابن عربي في الفصوص: إنه يأخذ نصًا من القرآن أو الحديث ويؤوله بالطريقة التي نعرفها في كتابات فيلون اليهودي، وأريجين الاسكندري. وقد طبع الكتاب سنة ١٣٦٥ هـ دار إحياء الكتب العربية في مجلد واحد، الجزء الأول فيه نص كتاب الفصوص، والجزء الثاني تعليقات عليه لأبي العلاء عفيفي.

(٣) في ب: لمن قرأ قال فخر.

(٤) في ب، ج: لأن.

(٥) في أ، ب: أسبق.

(٦) كلمة (يكون) من أ، ب، د.

(٧) ما بين القوسين سقط من هـ، والمطبوعة.

وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم^(٣)، فكان أحقهم بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] إلى غير ذلك من الدلائل.

[كمال نبوة محمد ﷺ وشريعته]

والأنبياء^(٤) كل منهم يأتيه الوحي من الله لا سيما و^(٥) محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره، فلم تحتج شريعته إلى نبي^(٦) سابق، ولا إلى لاحق، بخلاف غيره، فإن المسيح^(٧) أحلهم في أكثر الشريعة على التوراة، وشريعة التوراة جاء المسيح يكملها^(٨)، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة^(٩) على المسيح، كالتوراة، والزيور، وتمام الأربع وعشرين نبوة^(١٠)، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدثين، بخلاف أمة محمد ﷺ فإن الله أغناهم به، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث،

(١) رواه هذا اللفظ: ابن ماجه، عن أبي سعيد، ورواه مسلم وأبو داود، عن أبي هريرة، وليس عندهما لفظ: (ولا فخر).

انظر: سنن ابن ماجه ج ٢ كتابا لزهد، باب ذكر الشفاعة ص ١٤٤٠، رقم الحديث (٤٣٠٨). وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ رقم الحديث (٢٢٧٨) ص ١٧٨٢. وسنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، رقم الحديث (٤٦٧٣) ص ٥٤.

(٢) تقدم تخرجه ص ٥٦.

(٣) في د: رفع له درجة على الأنبياء.

(٤) قوله: (والأنبياء) سقط من ه، والمطبوعة

(٥) سقط الواو من: أ، والمطبوعة.

(٦) قوله: (نبي) سقط من: أ، ه، والمطبوعة.

(٧) في ه، والمطبوعة: ... بخلاف المسيح.

(٨) في ب، ه، والمطبوعة: ... على التوراة وجاء المسيح فكملاها.

(٩) في ب: المقدمة.

(١٠) في ج: (وتمام الأربع والعشرين نبوة).

في ب: (وتمام الأربع والعشرين ألف نبوة). ويقوي ما أثبتناه موافقته لعدد الأنبياء المذكورين في القرآن، وهم خمسة وعشرون.

بل جمع له^(١) من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله الله (به ما أنزله إليه)^(٢)، وأرسله إليه، لا بتوسط^(٣) بشر، وهذا بخلاف الأولياء، فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد ﷺ وكذلك من بلغه^(٤) رسالة رسول^(٥) إليه لا يكون ولياً إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه^(٦).

توقف ولاية الله على اتباع الرسل، وكفر من ادعى الاستغناء عنهم

ومن ادعى أن من الأولياء بالذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى، الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفار بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر أكفر^(٧) من أولئك، لأن علم الباطن الذي هو: علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها^(٨) هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعى المدعي أن محمداً ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة، دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه^(٩) الحقائق عن الكتاب والسنة فقد ادعى أن البعض^(١٠) الذي آمن به مما جاء به الرسول دون

(١) في ب: جمع الله له.

(٢) في د: (به من الله بما أنزله إليه). وفي المطبوعة: (بما أنزله إليه).

(٣) في ب: لا بواسطة.

(٤) في ج: بلغته.

(٥) في د: رسوله.

(٦) يعني من الأمم الماضية قبل مبعث محمد ﷺ.

(٧) في هـ، والمطبوعة: فهو كافر وهو أكفر.

(٨) في ب: هو علم إيمان القلب ومعارفه وأحواله.

(٩) اسم الإشارة سقط من: ب.

(١٠) في هـ، والمطبوعة: بعض.

البعض الآخر، وهو شر^(١) ممن يقول: أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا^(٢) البعض الذي آمن به أدنى القسامين.

ملاحظة الصوفية وتفضيلهم الولاية على النبوة

وهؤلاء الملاحدة: يدعون^(٣) أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على الناس فيقولون: ولاية محمد^(٤) أفضل من نبوته، وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي^(٥)

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يئأله فيها أحد، لا إبراهيم ولا موسى فضلاً عن أن يئأله فيها^(٦) هؤلاء الملحدون^(٧). وكل رسول نبي وكل نبي^(٨) ولي، فالرسول نبي ولي، ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته، (فكيف يكون ولايته المتضمنة في نبوته أفضل من نبوته الداخلة لولايته)^(٩)، وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله، فهذا تقدير ممتنع، فإنه حال إنباء الله إياه^(١٠) ممتنع أن يكون إلا ولياً لله، فلا يكون نبوة^(١١) مجردة عن ولايته^(١)، ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلاً للرسول في ولايته^(٢).

(١) في أ: أشر.

(٢) اسم الإشارة سقط من: ب.

(٣) في ج، د: قد يدعون.

(٤) في أ، والمطبوعة: ولايته أفضل.

(٥) هكذا في جميع النسخ وفي رسالة (حقيقة مذهب الاتحاديين) لابن تيمية: فويق الرسول، وهو المناسب، لأنه الذي يستقيم معه وزن البيت. وفي كتاب (لطائف الأسرار): ساء النبوة في برزخ. دون الولي وفوق الرسول. وقائل هذا البيت ابن عربي.

انظر: حقيقة مذهب الاتحاديين، لابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢/ ٢٢١. لطائف الأسرار، لابن عربي ص ٤٩.

(٦) في هـ، والمطبوعة: ... عن إنباء ثلة فيها.

(٧) في ب، د: الملاحدة.

(٨) قوله: (وكل نبي) سقطت من هـ، والمطبوعة.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب، هـ، والمطبوعة.

(١٠) في هـ، والمطبوعة: إنبائه إياه.

(١١) كلمة (نبوة) سقطت من: ب، والمطبوعة.

[بعض مقالات ابن عربي في فصوصه]

علاقة ملاحدة الصوفية الاتحادية بالمتفلسفة

وهؤلاء، قد^(٣) يقولون كما يقول^(٤) صاحب الفصوص ابن عربي^(٥): إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول^(٦)، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة^(٧) المتفلسفة، ثم أخرجوها في^(٨) قالب المكاشفة، وذلك أن المتفلسفة قالوا^(٩): إن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تشبه بها، كما يقوله أرسطو وأتباعه، أولها موجب بذاته، كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله، ولا يقولون إن الرب^(١٠) خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً، كقول أرسطو، أو يقولوا: (إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها)^(١١)، كما يقوله^(١٢) ابن سينا.

وحقيقة هذا القول: إنكار علمه بها فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي، و^(١٣) الأفلاك (كل منها معين جزئي)^(١٤)، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات: لم يعلم شيئاً من الموجودات، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان.

(١) في ب، و: ولاية.

(٢) في أ، ج: ولايته لله.

(٣) (قد) سقطت من: ب.

(٤) في أ، ج: يقوله.

(٥) أي: كتاب (فصوص الحكم) وقد تقدم التعريف به ص ١٤٥ والترجمة لمؤلفه.

(٦) هذه المقالة في الفصول ١/٦٣.

(٧) كلمة (ملاحدة) سقطت من: و، والمطبوعة.

(٨) في أ، د: إلى.

(٩) في ج، والمطبوعة: الذين قالوا.

(١٠) في المطبوعة: أنها لرب.

(١١) في ب: من الأمور المعبرة بكلياتها.

(١٢) في ب، والمطبوعة: يقول.

(١٣) سقطت الواو من: أ، والمطبوعة.

(١٤) في أ، والمطبوعة: كل معين منها جزئي.

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر، في (رد تعارض العقل والنقل)^(١)، وغيره. فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى، بل ومشركي العرب فإن جميع هؤلاء يقولون: إن الله خلق^(٣) السماوات والأرض، وأنه خلق^(٤) المخلوقات بمشيئته وقدرته. و أرسطو ونحو من متفلسفة اليونان^(٥) كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة ولا الأنبياء^(٦)، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك، وإنما غالب علوم القوم في^(٧) الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلهية فكل منهم فيها قليل الصواب^(٨)، كثير الخطأ. واليهود والنصارى - بعد النسخ والتبديل - اعلم بالإلهيات^(٩) منهم بكثير، ولكن متأخروهم كابن سينا^(١٠) أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا شيئاً^(١١) من

(١) من مؤلفات ابن تيمية القيمة، رد فيه على الفلاسفة والمتكلمين، وقد طبع عدة مرات، آخرها سنة ١٤٠٢ هـ تحت عنوان (درء تعارض العقل والنقل) بتحقيق د. محمد رشاد سالم، في عشرة أجزاء، والحادى عشر فهارس، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. قال ابن القيم عن هذا الكتاب: إنه كتاب لم يطرق العالم له نظير في باب، فإنه هدم فيه (قواعد) أهل الباطل من أسسها فخرت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث وأحكمها، ورفع من العقل والنقل والفطرة والاعتبار، فجاء كتاباً لا يستغنى عنه. انظر: طريق المحررتين لابن القيم ص ١٩٨. وكلام المؤلف على هؤلاء الفلاسفة في ج ١٠ من أوله إلى ص ٢٠٠.

(٢) في أ، ج: إذ جميع هؤلاء.

(٣) في ب: خالق، وفي د: يخلق.

(٤) في ج: يخلق.

(٥) في أ، والمطبوعة: من المتفلسفة واليونان.

(٦) في المطبوعة: وهم يعرفون الملائكة والأنبياء.

(٧) (في): سقط من: ب، ج.

(٨) كلمة (الصواب) سقطت من: ب، ج.

(٩) في المطبوعة: بالهيئات.

(١٠) في المطبوعة: كابن سينا وغيره.

(١١) في أ، والمطبوعة: أشياء.

أصول الجهمية^(١) والمعتزلة^(٢)، وركبوا (منه ومن قول أولئك)^(٣) مذهباً قد يعتزى إليه متفلسفة أهل الملل^(٤)، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبه^(٥) على بعضه في غير هذا الموضع^(٦).

وهؤلاء لما رأوا أن^(٧) أمر الرسل كموسى وعيسى، ومحمد ﷺ قد بهر العالم، واعترفوا بأن الناموس^(٨) الذي بعث به محمد ﷺ أعظم ناموس طرق العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن أرادوا أن يجمعوا بين ذلك^(٩) وبين أقوال سلفهم اليونان الذين هم من^(١٠) أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله^(١١)، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة، يسمونها: المجردات والمفارقات، وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن^(١٢)، فسموا تلك مفارقات^(١٣) لمفارقتها

(١) الجهمية: هم أتباع جهنم بن صفوان، فرقة ضالة تنكر أسماء الله وصفاته، ويقولون بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال. ويزعمون أن الإيمان هو: المعرفة بالله تعالى فقط. وأن الكفر هو: الجهل به فقط، وقد اتفقت أصناف الأمة على تكفيرهم.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني، بهامش الفصل لابن حزم ١/١٠٩، الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

(٢) تقدم الكلام على المعتزلة في ص ٨٣.

(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.

(٤) في د: أهل الكتاب.

(٥) في المطبوعة: نهنا.

(٦) من ذلك ما في رسالة المؤلف (مختصر نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان).

انظر: مجموع الفتاوى ٩/١٢٣-١٣٥.

(٧) في ج، والمطبوعة: لما رأوا أمر الرسل.

(٨) في أ، والمطبوعة: واعترفوا بالناموس.

والناموس: يطلق على عدة معاني منها: أنه صاحب سر الرجل الذي يطلععه دون غيره على باطن أمره. وهو قول الجمهور، ومنها: أن الناموس: صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر، ويطلق على جبريل لأنه صاحب سر الخير، ويطلق الناموس ويراد به: الشريعة، وهو مراد المؤلف هنا. انظر: مجمع بحار الأنوار ٤/٧٨٦.

(٩) في ب: ... أن يجمعوا بينه وبين...

(١٠) (من) سقطت من: أ، والمطبوعة.

(١١) زاد في المطبوعة: واليوم الآخر.

(١٢) في أ: البدن، وفي د: والبدن.

(١٣) في أ، ج، والمطبوعة: المفارقات.

ومجردات لتجردها عنها^(١)، وأثبتوا الأفلاك، لكل فلك نفسًا. جعلوها أعرافًا، وبعضهم جعلوها جواهر.

وهذه المجردات التي أثبتوها ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان، كما أثبت أصحاب فيثاغورس^(٢) أعدادا مجردة، وكما أثبت أصحاب^(٣) أفلاطون^(٤) الأمثال الافلاطونية المجردة، و^(٥) أثبتوا هيولي^(٦) مجردة عن الصورة ومدة وخلاء مجردين^(٧)، وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان.

النبوة عند المتفلسفة

فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا أن يثبت أمر النبوات^(٨) على أصولهم الفاسدة: زعموا^(٩) أن النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي:

(١) في المطبوعة: لمفارقتها المادة وتجرحها عنها.

(٢) في أ، ج، د: أصحاب أرسطو.

والصحيح ما أثبت لأن فيثاغورس انفرد بإثبات أعداد مجردة، خالف الفلاسفة قبله وخالفه فيها من بعده. وفيثاغورس: هو ابن منساخس، من أهل ساميا، قيل أنه عاش في زمن سليمان عليه السلام، وهو فيلسوف له علم في الهندسة، وعلم الطبيعة، وصنعة الكيمياء والسحر والروحانيات، ويقال أنه هو الذي أدخل علم الهندسة والطبيعة في بلاد اليونان.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١٧٣/٢ بهامش الفصل لابن حزم. حسن المحاضرة للسيوطي ٦٠/١.

(٣) كلمة (أصحاب) سقطت من أ، ج، د.

(٤) أفلاطون بن أرسطن بن ارسطوقليس، من أثينية، وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين معروف بالفلسفة والحكمة، كان قبل المسيح بحوالي أربعة قرون، تتلمذ على سقراط، وتلمذ عليه أرسطو.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١٩٠/٢ بهامش الفصل لابن حزم. حسن المحاضرة للسيوطي ٦٠/١.

(٥) سقط الواو من: المطبوعة.

(٦) قال ابن تيمية: الهولي في لغتهم بمعنى المحل، يقال الفضة هيولي الخاتم والدرهم والخشب هيولي الكرسي، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراف.

انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٨٨.

(٧) في ج: مجرد.

(٨) في ب: النبوة.

أن تكون^(٢) له قوة علمية^(٣)، يسمونها القوة القدسية، ينال بها العلم بلا تعلم.
 وأن يكون له قوة تخيلية^(٤)، تخيل له ما يعقل في نفسه بحيث يرى في نفسه صورًا، أو^(٥) يسمع في نفسه أصواتًا، كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى.
 وأن يكون له قوة فعالة، يؤثر بها في هيولي^(٦) العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة هي من قوى الأنفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم دون قلب العصا حية^(٧)، و^(٨) دون انشقاق القمر، ونحو ذلك، فإنهم ينكرون وجود هذا.
 وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع^(٩)، وبيننا أن كلامهم هذا من^(١٠) أفسد الكلام، وأن هذا الذي جعلوه من^(١١) خصائص النبي يحصل^(١٢) ما هو أعظم منه لآحاد العامة ولأقل^(١٣) أتباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله، وهم كثيرون كما قال تعالى:
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

(١) في ب: وزعموا.

(٢) في أ، ب، ج: أن يكون.

(٣) في أ، ج: عليّة.

(٤) في ج: تخيلية.

(٥) في ب، ج: و.

(٦) في أ، د: هؤلاء العالم.

(٧) في أ، والمطبوعة: (من) بدلاً من (دون).

(٨) في د، والمطبوعة: سقطت الواو.

(٩) من هذه المواضع ما في: كتاب (النبوات) ص ١٦٨ وما بعدها. كتاب (الرد على المنطقيين) ص ٤٤١.

(١٠) الحرف (من) سقط من: المطبوعة.

(١١) الحرف (من) سقط من: و، والمطبوعة.

(١٢) في المطبوعة: تحصل.

(١٣) كلمة (أقل) سقطت من: ه، والمطبوعة.

نظرية العقول العشرة عند الفلاسفة

وليسوا عشرة ولسوا أعرافاً، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو: العقل الأول، وعنه صدر (كل ما سواه، فهو عندهم رب كل ما سوى الله، وكذلك كل عقل رب)^(١) كل ما دونه، والعقل الفعال العاشر رب كل ما تحت فلك القمر. وهذا كله^(٢) يعلم فسادَه بالاضطرار من دين الرسل^(٣) فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله.

بطلان حديث العقل الذي استدل به الفلاسفة

وهؤلاء يزعمون أن العقل (الأول هو العقل)^(٤) المذكور في حديث يروى: «أن أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، فقال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك فبك أخذ، وبك أعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب»^(٥). ويسمونه -أيضاً- (القلم)، لما روي: «إن أول ما خلق الله القلم»^(٦). الحديث رواه الترمذي.

(١) ما بين القوسين سقط من: المطبوعة.

(٢) في أ، ب: (بما) بدلاً من (كله).

(٣) في أ، ب، ج: (الرب) بدلاً من (الرسل).

(٤) ما بين القوسين سقط من: المطبوعة.

(٥) ورد هذا الحديث بروايته بطرق متعددة لا تقوم بها حجة.

قال عنه ابن الجوزي: لا يصح هذا الحديث عن رسول الله ﷺ. ورواه الدارقطني بسند فيه سيف بن محمد وقد قال عنه ابن حبان (أبو حاتم البستي) أنه يأتي عن المشاهير بالمتاكير. قال السيوطي: كذب موضوع بالتفاق. وهو في (زوائد الزهد) لعبد الله بن الإمام أحمد، وفي سننه سيار بن حاتم وقد قال عنه العقيلي: أحاديثه منكورة. وقال عنه ابن حجر: ليس له طريق ثبت. وقال الشوكاني: لا يحل الاحتجاج به. وقال ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب.

انظر: الموضوعات لابن الجوزي ١/١٧٤، المجروحين من المتحدثين لابن حبان ١/٣٤٣، الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٤٧٧، الدرر المنتشرة للسيوطي ص ١٦٨، فتح الباري لابن حجر ٧/١٣، المنار المنيف لابن القيم ص ٦٦.

(٦) رواه الترمذي من حديث عبادة بن الصامت، وقال حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد وأبو داود.

والحديث الذي ذكره في (العقل) كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي^(١)، والدارقطني^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وغيرهم، وليس هو^(٤) في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها، ومع هذا فلفظه - لو كان ثابتاً - حجة عليهم، فإن لفظه: (أول ما خلق الله تعالى العقل قال له...) ^(٥)، ويروى: (لما خلق الله العقل قاله...) ^(٦)، فمعنى الحديث: أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، و^(٧) ليس معناه أنه أول المخلوقات.

وأول: منصوب على الظرفية^(٨)، كما في اللفظ^(٩) الآخر (لما)^(١٠) وتمام الحديث (... ما خلقت خلقاً أكرم علي منك...) فهذا يقتضي أنه خلق قبله^(١١)، ثم قال: (... فبك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب،

انظر: سنن الترمذي ج ٣ أبواب القدر، حديث رقم (٢٢٤٤) ص ٣١٠، وكذلك ج ٥ تفسير سورة القلم، رقم الحديث (٣٣٧٥) ص ٩٦. انظر: المسند ٥/٣١٧، سنن أبي داود ج ٥ كتاب السنة، باب القدر رقم الحديث (٣٣٧٥) ص ٩٦.

(١) محمد بن حبان أحمد، أبو حاتم البستي، أحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين، رحل إلى البدان وسمع الكثير من المشايخ، من كتبه (المسند الصحيح)، ولي قضاء بلدة (بست) ومات فيها سنة (٣٥٤) هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٦/٧٨، البداية والنهاية ١١/٢٩٠.

(٢) علي بن عمر بن أحمد - الدارقطني - إمام عصره في الحديث، والجرح والتعديل، جمع وألف واستع بالرواية، ومن أشهر مؤلفاته (السنن) وله معرفة بالقراءات، والنحو، والفقه، والشعر، والدارقطني نسبة إلى دار القطن، وهي محلة كبيرة ببغداد، توفي سنة ٣٨٥ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٤/٣١٤، البداية والنهاية ١١/٣٥٥.

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد - أبو الفرج المشهور بابن الجوزي - القرشي التميمي، والجوزي نسبة إلى فرضة نهر البصرة، وهو أحد العلماء، برز في علوم كثيرة، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف، من كتبه في التفسير (زاد المسير)، وله (جامع المسانيد) و(الموضوعات)، وغيرها. كانت ولادته سنة ٥٠٨ هـ ببغداد وتوفي بها سنة ٥٩٧ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/٣١٦، البداية والنهاية ١٣/٢٧.

(٤) سقط الضمير (هو) من: المطبوعة.

(٥) سقطت من المطبوعة: (له).

(٦) انظر: الهامش رقم (٤).

(٧) سقطت الواو من: أ، ج.

(٨) في أ، ج، والمطبوعة: على الظرف.

(٩) في د: في لفظ.

وعليك العقاب)، فذكر أربعة أنواع من الأعراض، وعندهم أن جميع جواهر^(٣) العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل، فأين هذا من هذا!؟

لفظ العقل في لغة المسلمين واليونان

وسبب غلطهم: أن لفظ^(٤) العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان، فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً، كما في القرآن:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المك: ١٠].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

ويراد بالعقل: الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها.

وأما أولئك فالعقل عندهم: جوهر قائم بنفسه كالعاقل، وليس هذا مطابقاً للغة الرسول^(٥)، والقرآن^(٦).

وعالم الخلق: عندهم - كما يذكره أبو حامد^(٧) - عالم الأجسام.

وأما^(٨) العقل والنفوس فيسميها: عالم الأمر.

وقد يسمي العقول: عالم الجبروت، والنفوس: عالم الملكوت، والأجسام: عالم الملك.

(١) (لما) سقطت من: أ، ب.

(٢) في المطبوعة: قبل. وهذا خطأ لأنه يحيل المعنى الذي أراده المؤلف.

(٣) في ب: جوهر.

(٤) في ب: لفظة.

(٥) في أ، ب، والمطبوعة: الرسل.

(٦) في ب: سقط قوله (والقرآن).

(٧) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي - أبو حامد - برع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة

منها: (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة)، وغيرهما، رحل إلى الشام وبيت المقدس وأقبل على العبادة

والزهد وفي آخر حياته مال إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين، توفي سنة ٥٠٥ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٢٢. البداية والنهاية ١٢/ ١٨٧.

(٨) في المطبوعة: عالم الأجسام العقل والنفوس.

ويظن من لم يعرف لغة الرسول^(١) ومعاني الكتاب والسنة: أن ما في القرآن^(٢) والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك.

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيسًا كثيرًا، كإطلاقهم أن الفلك محدث، أي معلول، مع أنه قديم عندهم، والمحدث لا يكون إلا مسبوقًا بالعدم، و^(٣) ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى^(٤) القديم الأزلي محدثًا، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء، وكل مخلوق فهو محدث، وكل محدث كائن^(٥) بعد أن لم يكن، لكن ناظرهم بعض^(٦) أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة، لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا للإسلام نصر ولا للأعداء^(٧) كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد بسط في غير هذا الموضوع^(٨).

الملائكة في نظر المتفلسفة

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل^(٩) في نفس النبي ﷺ والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة المتصوفة^(١٠) الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله وأن الولي^(١١) أفضل من النبي^(١٢)، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، كابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص^(١٣)، فقال: إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ^(١٤) منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول^(١٥).

(١) في المطبوعة: ... الرسل ولم يعرف معاني الكتاب.

(٢) في أ، والمطبوعة: الكتاب.

(٣) سقطت (الواو) من: أ، ج، والمطبوعة.

(٤) في د: سمى.

(٥) في ب: كان.

(٦) كلمة (بعض) سقطت من: ج، والمطبوعة.

(٧) في ب، ج: لأعدائه.

(٨) انظر: (بيان تلبيس الجهمية) ١/١٥٢ وما بعدها.

(٩) في ب: تشكل.

(١٠) كلمة (المتصوفة) سقطت من: المطبوعة.

(١١) في المطبوعة: وأن أولياء الله.

والمعدن عنده^(٥) هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل.
وهو بزعمه يأخذ عن العقل^(٦) الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال، لهذا صار عند نفسه فوق النبي، ولو كان خاصة النبي ما ذكره^(٧) لم^(٨) يكن هو من جنسة فضلاً عن أن يكون فوقه فكيف وما ذكره^(٩) يحصل لآحاد المؤمنين والنبوة أمر وراء ذلك.
فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية^(١٠) فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل الكلام^(١١) فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب^(١٢) والسنة، كالفضيل بن عياض^(١٣)، وإبراهيم بن أدهم^(١٤)، وأبي سليمان الداراني^(١٥)، ومعروف الكرخي^(١٦)، والجنيد بن محمد^(١٧)، وسهل بن عبد الله التستري^(١٨)، وأمثالهم -رضوان الله عليهم أجمعين-.

(١) في المطبوعة: من أنبياء الله.

(٢) تقدمت ترجمة ابن العربي والتعريف بكتابه ص ١٤٥.

(٣) في المطبوعة: أخذ.

(٤) انظر كلام ابن عربي هذا في الفصوص ١/٦٢.

(٥) في أ، د: والمعدن عند هؤلاء.

(٦) كلمة (العقل) سقطت من: المطبوعة.

(٧) في أ، د: ما ذكره.

(٨) في المطبوعة: ولم.

(٩) في أ، د: وما ذكره.

(١٠) في ب: إنهم من أولياء الله فهم.

(١١) في المطبوعة: أهل العلم.

(١٢) المقصود بالكتاب هنا: القرآن.

(١٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي -أبو علي- ولد (بسمرقند) وأصله من الكوفة، سكن مكة وصار شيخ

الحرم المكي، يعد من العباد الصالحين، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، توفي بمكة سنة ١٨٧ هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٨/٢٩٤. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ص ٦. الأعلام للزركلي ٥/١٥٣.

(١٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي أصله من (بلخ) ثم تنقل في العراق والشام والحجاز وأخذ عن علمائها،

وهو زاهد له دراية في الحديث، وله كلام مأثور في الزهد، توفي سنة ١٦١ هـ. على الأرجح.

انظر: الحلية ٧/٣٦٧، والأعلام للزركلي ١/٣١.

(١٥) تقدم ص ١٢٢.

[وصف الملائكة وكتاب الله]

والله - سبحانه وتعالى - قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر^(٤) وأن الملك تمثل لمريم بشرًا سويًا^(١)، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي^(٢)، وفي صورة أعرابي، ويراهم الناس كذلك^(٣).

(١) معروف بن فيروز الكرخي - أبو محفوظ - من المشايخ المشهورين بالزهد والورع وكان مستجاب الدعوة، ولد في كرخ بغداد ونشأ وتوفي بها سنة ٢٠٠ هـ.

انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ص ٨٣. والأعلام للزركلي ٧/ ٢٦٩.

(٢) تقدم ص ١٠١.

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس التستري - أبو محمد - والتستري نسب إلى بلدة تستر، وهو من أئمة الصوفية وعلمائهم ومن المتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال، مات سنة ٢٨٣ هـ.

انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ص ٢٠٦. والأعلام للزركلي ٣/ ١٤٣.

(٤) في سورة هود: الآية: ٦٩.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ووصفه بأنه ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثَمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ٥-١٨].

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم ير جبريل في صورته ^(٤) التي خلق عليها غير ^(٥) مرتين ^(٦)، يعني المرة التي بالأفق الأعلى، والمرة الأخرى ^(٧) عند سدره المنتهى.

ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ووصفه ^(٨) بأنه ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من ^(٩) أعظم مخلوقات الله

(١) في سورة مريم، الآية: ١٧.

(٢) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق وقيل أحد، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وهو رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، نزل دمشق وسكن (المزة) وعاش إلى خلافة معاوية.

انظر: الإصابة ٢/ ٣٨٤ ت (٢٣٩٢). تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٦ ت (٣٩٤).

(٣) أخرج أحمد عن عمر قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية. وعن حارثة بن النعمان أنه رأى رجلاً يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذلك الرجل هو جبريل عليه السلام.

انظر: المسند ٢/ ١٠٧، ٤/ ١٧.

(٤) في أ، ج: في الصورة.

(٥) في ب، ج: (إلا) بدلاً من (غير).

(٦) انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة النجم، رقم الحديث (٤٥٧٤) ص ١٨٤٠. صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ رقم الحديث (٢٨٧) ص

١٥٩.

(٧) في أ، والمطبوعة: يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى والنزلة الأخرى.

(٨) في المطبوعة: وأنه روح القدس.

(٩) في د: أنه أعظم.

تعالى الأحياء والعقلاء، وأنه جوهر قائم بنفسه ليس خيالاً في نفس النبي ﷺ كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة، والمدعون^(١) ولاية الله، وأنهم أعلم من الأنبياء.

اعتقاد ملاحدة الصوفية في الوجود وحقيقة أمرهم جحد الخالق

وغاية تحقيق^(٢) هؤلاء: إنكار أصول الإيمان، فإن أصول الإيمان أن تؤمن^(٣) بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وحقيقة أمرهم جحد الخالق، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين، والواحد بالنوع، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، كما يشترك الناس^(٤) في مسمى الإنسان، والحيوان في مسمى الحيوان، ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركاً^(٥) كلياً إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس^(٦).

ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الإنسان، فوجود الخالق ﷻ مبين لوجود^(٧) مخلوقاته.

[مشابهة ملاحدة الصوفية لفرعون في تعطيله الخالق]

وحقيقة قولهم: قول فرعون الذي عطل الصانع، فإنه لم يكن منكرًا^(٨) هذا الموجود المشهود^(٩)، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك، لكن زعموا بأنه هو الله، فكانوا أضل منه، وإن كان هو^(١٠) أظهر فساداً منهم، ولهذا جعلوا عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله. وقالوا: لما

(١) في ج، د: (المدعون) بدون الواو.

(٢) في المطبوعة: حقيقة.

(٣) في ب، والمطبوعة: الإيمان بأن تؤمن بالله.

(٤) في أ، والمطبوعة: تشترك الأناسي.

(٥) كلمة (مشتركاً) سقطت من: د.

(٦) في أ: بالنفوس.

(٧) في أ، والمطبوعة: الخالق (جلا جلاله) ليس هو كوجود مخلوقاته.

(٨) في ب، ج: ينكر.

(٩) في أ، والمطبوعة: والمشهود.

(١٠) في المطبوعة: وإن كان قوله هذا هو أظهر.

كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وإن جار^(١) في العرف الناموسي لذلك قال: أنا ربكم الأعلى -أي- وإن كان أرباباً بنسبة ما فأنا الأعلى منهم^(٢) بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم. قالوا: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أفروا له بذلك، وقالوا: اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا^(٣)، قالوا: فصح قول فرعون: أنا ربكم الأعلى، وكان^(٤) فرعون عين الحق.

[إنكارهم حقيقة اليوم الآخر]

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسوله مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية^(٥) الله، وأنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم^(٦). وليس هذا موضع بسط بيان^(٧) إلحاد هؤلاء^(٨)، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء^(٩) لولاية الله وهم^(١٠) أعظم الناس ولاية للشيطان نبهنا على ذلك.

-
- (١) في ب، والمطبوعة: جاز. وفي أ، ج، د: جاءت. وما أثبت من: و، وهو الذي يستقيم به العنى المقصود، ويوافقه ما في (الفصوص).
- (٢) في ب، والمطبوعة: منكم. وما أثبت من بقية النسخ، ويوافق ما في (الفصوص).
- (٣) كلمة (الدنيا) سقطت من: ج، والمطبوعة.
- (٤) في ب: وإن كان. وفي (الفصوص): وإن كان غير الحق فالصورة لفرعون. وفي نسخة الفصوص الأخرى: وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون.
- انظر: (الفصوص) ١/ ٢١٠، ٢١١.
- (٥) كلمة (ولاية) سقطت من: أ، ب، ج.
- (٦) في (الفصوص) ١/ ٦٢.
- (٧) كلمة (بيان) من: د.
- (٨) انظر: رسالة المؤلف (حقيقة مذهب الاتحاديين) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣٤-١٨٥. (والرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون) جامع الرسائل ص ٢٠٣-٢١٦.
- (٩) في أ: دعوة، وفي د: دعوى.
- (١٠) في أ، ب: وهم من أعظم.

عامة كلام الملاحدة الصوفية من التخيلات الشيطانية

ولهذا عامة كلامهم^(١) إنما هو في التخيلات^(٢) الشيطانية، ويقولون ما قاله صاحب (الفتوحات)^(٣): باب أرض الحقيقة، ويقولون هي أرض الخيال، فيعترف^(٤) بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال، والخيال هو محل تصرف الشيطان، فإن الشيطان يخيل للإنسان الأمور بخلاف ما هي.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]. إلى قوله: ﴿يَعِيدُهُمْ وَيُمَيِّبُهُمْ وَمَا يَعِيدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَيْئَاتِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

(١) في د: كلامهم هنا.

(٢) في ج، والمطبوعة: الحالات.

(٣) أي كتاب (الفتوحات المكية) وهو ابن عربي، وقد ترجمته والتعريف بكتابه هذا ص ١٤٥.

(٤) في ج، والمطبوعة: فتعرف.

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أنه رأى جبريل يزع الملائكة^(١)، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي تؤيد بها عباده هربت منهم، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥].

وهؤلاء تأتيهم أرواح فتخاطبهم^(٢) وتمثل لهم، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام.

[أول من ظهر في الإسلام تخاطبه الشياطين]

وكان من أول من ظهر^(٣) من هؤلاء - في الإسلام - المختار بن أبي عبيد^(١) الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه، عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب، ومبير»^(٢).

(١) أخرج مالك عن ابن كرزب أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أرى يوم بدر»، قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة».

قال محمد عبد الباقي: هذا مرسل، وقد وصله الحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء..

انظر: الموطأ ج ١ كتاب الحج، باب جامع الحج، رقم الحديث (٢٤٥) ص ٤٢٢.

(٢) في ج، والمطبوعة: تخاطبهم.

(٣) في المطبوعة، و: وكان من أول ما ظهر.

فكان الكذاب: المختار ابن أبي عبيد، والمبير^(٣): الحجاج بن يوسف^(٤)، فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٣﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]^(٥). قال الآخر^(٦): وقيل له أن

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي - أبو إسحاق - كان أبو من جلة الصحابة، ولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وكان في أول أمره معدودًا في أهل الخير والفضل، إلى أن فارق ابن الزبير إلى الكوفة، فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، وطالب بدم الحسين، وتبعه بعض الناس وصارت له قوة، وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادعى النبوة، ونزول الوحي عليه، وله أسجاع يدعي أنها من الإلهام، ومكث ١٦ شهرًا ثم قاتله مصعب بن الزبير أمير البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير، فقتله في الكوفة سنة ٦٧ هـ.

انظر: الإصابة ٦/٣٤٩-٣٥٣ ت (٨٥٥٢). الأعلام ٧/١٩٢.

(٢) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ولفظه: أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم الحديث (٢٥٤٥) ص ١٩٨١. وروي بطريق آخر عن سلامة بنت الحر قالت: قال رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذاب ومبير». تفرد به أبو يعلى.

انظر: البداية والنهاية ٩/١٣٥.

(٣) المبير: المهلك. والحجاج قد أسرف في إهلاك الناس، حتى قيل أنه بلغ من قتله صبرًا - سوى من قتله في الحرب - مائة وعشرون ألفًا.

انظر: مجمع بحار الأنوار ١/٢٢٥.

(٤) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي - أبو محمد - ولد بالطائف سنة ٤٠ هـ ونشأ بها، وكان شابًا لبيبًا فصيحًا بليغًا حافظًا للقرآن، ولآه عبد الملك الحرمين ثم الكوفة، وكانت فيه شهامة عظيمة، وحب لسفك الدماء، فأكثر من قتل النفوس التي حرّمها الله بأدنى شبهة، وكان يغضب غضب الملوك، وله من الأمور والجراءة والإقدام والتهاون في الأمور العظام ما يمدح على مثله، وما يذم بقوله وفعله، توفي سنة ٩٥ هـ بواسط.

انظر: البداية والنهاية ٩/١٣١-١٥٧. تهذيب التهذيب ٢/٢١٠.

(٥) روى ابن جرير عن سعيد بن وهب قال: كنت عند عبد الله بن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

ولم أقف في هذا على شيء عن ابن عمر.

انظر: تفسير الطبري ١٩/١٢٦.

(٦) أي ابن عباس.

المختار يزعم أنه يوحي إليه، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]^(١).

مصدر الفصوص روح شيطاني

ومن^(٢) هذه الأرواح الشيطانية: الروح^(٣) الذي يزعم صاحب (الفتوحات)^(٤) أنه ألقى إليه ذلك^(٥) الكتاب^(٦)، ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين، وحال^(٧) معين، وهذه مما^(٨) تفتح

(١) روى ابن جرير عن أبي زميل قال: كنت قاعدًا عند ابن عباس فجاهه رجل من الصحابة فقال: يا ابن عباس زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة؟ - يعني المختار بن أبي عبيد- فقال ابن عباس: صدق! فنفرت، فقلت: يقول ابن عباس صدق! فقال ابن عباس: هما وحيان، وحي الله، ووحى الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحى الشياطين إلى أوليائهم، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

انظر: تفسير الطبري ٨٦/١٢. وفي ب، و: ... يزعم أنه ينزل عليه ويوحى إليه فقال: صدق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ﴾ ومن هذه.

(٢) في المطبوعة: وهذه الأرواح.

(٣) في أ، والمطبوعة: هي الروح.

(٤) أي: كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي، وقد تقدم الكلام عنه ص ١٤٥.

(٥) في أ، د: ألقى إليه الكتاب.

(٦) الكتاب المشار إليه هو كتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، فقد قال في مقدمته: فإني رأيت رسول الله في مبشرة أريتها في العشر الأواخر من محرم لسنة ٦٢٧ هـ بدمشق، ويده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت السمع والطاعة.

انظر: الفصوص ٤٧/١. وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب ص ١٤٥.

ومن هذه الأرواح الشيطانية ما يعرف في هذا العصر بتحضير الأرواح، الذي يزعم أصحابه أنهم يتخذون أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفنائهم في المشكلات والمعضلات، والاستعانة بهم في علاج مرضى الأبدان والنفوس، وفي الإرشاد إلى المجرمين، وفي الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل، ويزعمون أن الموتى - على مختلف أديانهم - يعيشون في سعادة وهناء. وبمعنى هذا أن السعادة والهناء لا تتوقف على الدين، فيؤدي ذلك إلى الاستخفاف بالدين. ولا شك أن الصهيونية الهدامة هي التي تقف وراء هذه

لأصحابها الاتصال^(٣) بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية.

وأعرف من هؤلاء عددًا^(٤)، ومنهم من كان يحمل في الهواء^(٥) إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتى بهال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت^(٦) تدله على السرقات بجعل يحصل^(٧) له من الناس (أو لعطاء يعطونه)^(٨) إذا دلهم على سرقاتهم، ونحو ذلك.

ولما كانت^(٩) أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين^(١٠) للرسول - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم -، كما يوجد في كلام^(١١) صاحب (الفتوحات المكية) و(الفصوص)^(١٢) وأشباه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وعاد^(١٣) وفرعون، وغيرهم، وينتقص الأنبياء^(١٤)، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون، وغيرهم^(١٥)، ويذم المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجنيد بن محمد^(١)، وسهل بن عبد

الدعوة تريد أن تجعلها دينًا جديدًا يهدم أسس المجتمع وينشر فيه الفوضى بالتشكيك في الأديان السماوية كما تمليه عليهم تعاليمهم الصهيونية.

وقد كتب د. محمد محمد حسين، كتابًا أسماه (الروحية الحديثة) ذكر أساليبهم ووسائلهم وبين بطلانها.

(١) في المطبوعة: وشيء معين.

(٢) في ب: إنها.

(٣) في أ، والمطبوعة: مما تفتح لصاحبها اتصالًا بالجن.

(٤) في أ، د: أعدادًا.

(٥) في أ، د: على الهواء.

(٦) في ب: كان.

(٧) في أ، ج: يجعل.

(٨) في أن ج: أو تعطيمهم له. وفي ب: أو يعظم. وفي د: أو يعطيهم.

(٩) في ب: كان.

(١٠) في د: مناققين للرسول.

(١١) قوله (في كلام) سقط من أ، ج، د.

(١٢) أي كتاب الفتوحات المكية، وكتاب فصوص الحكم لابن عربي، وقد تقدم الكلام عليها ١٤٥.

(١٣) في أ، ب، المطبوعة: (هود) بدلًا من (عاد).

(١٤) في أ، ب، ج: بالأنبياء.

(١٥) قوله (وغيرهم) سقط من المطبوعة.

الله التستري^(٢) وأمثالهما، ويمدح المذمومين عند المسلمين، كالحلاج^(٣)، ونحوه، كما ذكره في تخلياته^(٤) الخيالية الشيطانية.

فإن الجنيد (قدس الله روحه) كان من أئمة الهدى، فسئل عن التوحيد، فقال: «التوحيد أفراد الحدوث عن القدم»^(٥)، فبين أن التوحيد أن تميز^(٦) بين القديم والمحدث، أي بين^(٧) الخالق والمخلوق.

اعتراض صاحب الفصوص على الجنيد في تفسير التوحيد ورد الشيخ عليه

وصاحب الفصوص أنكّر هذا، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية: يا جنيد! هل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: «إفراد الحدوث عن القديم»^(٨) لأن قوله^(٩) هو: إن وجود المحدث هو عين وجود القديم. كما قال^(١٠) في فصوصه: «ومن أسماه الحسنى: العلي، على من؟ وما ثم إلا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات»^(١١)، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو - إلى أن قال - فهو^(١٢) عين ما بطن

(١) تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠.

(٣) الحسين بن منصور الحلاج أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسطة العراق، كانت له بداية جيدة وتآله وتصوف ثم انسلخ عن الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه، فقتل في بغداد سنة ٣٠٩ هـ، ولم يزل الناس مختلفين فيه، فأما الفقهاء فأجمعوا على قتله وأنه قتل كافراً، وكذلك أكثر الصوفية، وأما من طائفة من الصوفية فغرم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فانخدعوا فيه وانحازوا إلى صفه.

انظر: البداية والنهاية ١١/١٤٨، لسان الميزان ٢/٨٣١٤.

(٤) في ج: والمطبوعة: تجلياته.

(٥) في القشيرية قال الجنيد: التوحيد: أفراد القدم ع الحديث.

انظر: الرسالة القشيرية ص ٣٣.

(٦) في المطبوعة: تميز.

(٧) في أ، والمطبوعة: وبين الخالق... في ه: أي الخالق.

(٨) في ب، والمطبوعة: أفراد الحدوث عن القدم.

(٩) الضمير يعود لابن عربي.

(١٠) في أ، والمطبوعة: قاله.

(١١) في أ، والمطبوعة: وهو عين الموجودات.

(١٢) في المطبوعة: هو.

وهو عين ما ظهر، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من يبطن^(١) عنه سواه، وهو المسمى أبو سعيد الخراز^(٢)، وغير ذلك من أسماء^(٣) المحدثات^(٤).

فيقال لهذا الملحد: ليس^(٥) من شرط المميز بين الشيتين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره^(٦)، وليس هو ثالثاً. فالعبد يعرف^(٧) أنه عبد، ويميز بين نفسه وبين خالقه.

والخالق ﷻ يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، واستشهدنا^(٨) بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً.

عقيدة التلمساني والموازنة بينه وبين ابن عربي والقونوي

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان^(٩) يزعمه التلمساني^(١٠) منهم - وهو أحذقهم في إلحادهم -^(١١) لما قرئ عليه الفصوص، فقليل له: القرآن يخالف قولكم^(١٢)، فقال: «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد

(١) في المطبوعة: من ينطق. وفي الفصوص: من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى...

(٢) أحمد بن عيسى الخراز - أبو سعيد - والخراز نسبة إلى خرز الجلود، وهو من أئمة الصوفية له تصانيف في علوم القوم، صحب ذا النون المصري، وسريا السقطي، وبشر الحافي، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، توفي سنة ٢٨٦ هـ وقيل غيرها.

انظر: الأعلام للزركلي ١/ ١٩١، الحلية ١٠/ ٢٤٦، طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٤٠.

(٣) في المطبوعة: الأسماء.

(٤) الفصوص ١/ ٧٦، ٧٧.

(٥) في المطبوعة: بدون (ليس).

(٦) في ب، د: وبين غيره.

(٧) في المطبوعة: يعرفه.

(٨) في المطبوعة: والاستشهاد.

(٩) في ب: ما يزعمه.

(١٠) سليمان بن علي عبد الله بن علي، التلمساني - عفيف الدين - شاعر متصوف، له مصنفات في النحو والأدب والفقه والأصول، تنقل في البلاد ثم سكن دمشق، وهو يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله، واتهم بالميل إلى مذهب النصيرية، ونسب إليه عظام أقوال في الاعتقاد والحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض، توفي بدمشق سنة ٦٩٠ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ١٣٠. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩.

في^(٣) كلامنا، فقيل له: فإذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال: الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم^(٤). وهذا مع كفره العظيم متناقض تناقضاً^(٥) ظاهراً، فإن الوجود إذا كان واحداً فمن المحجوب ومن الحاجب؟

ولهذا قال بعض^(٦) شيوخهم لمريده^(٧): من قال لك أن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟!

وقال لآخر: هذه مظاهر، فقال لهم: المظاهر غير المظاهر أم هو^(٨)؟ فإن كانت غيرها فقد قلت بالثنائية^(٩)، وإن كانت هي^(١٠) إياها فلا فرق.

الشيء عند ابن عربي والمعتزلة

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر^(١١) وبيننا حقيقة قول كل واحد منهم، وأن صاحب الفصوص^(١٢) يقول: المعدوم شيء ووجود الحق فاض عليها^(١٣)، فيفرق^(١٤) بين الوجود والثبوت.

(١) في هـ، والمطبوعة: اتحادهم.

(٢) في المطبوعة: فصوصكم.

(٣) في المطبوعة: من كلامنا.

(٤) القائل له هو الشيخ كمال الدين المراغي.

انظر: رسالة المؤلف (حقيقة مذهب الاتحاديين) ضمن مجموع الفتاوى ٢ / ١٣٤ - ٢٨٥.

(٥) كلمة (تناقضاً) سقطت من: د، والمطبوعة.

(٦) كلمة (بعض) سقطت من المطبوعة.

(٧) المرید في عرف الصوفية: هو المجرّد عن الإرادة. أي من ترك إرادة نفسه، وقيل من صفاته الأتس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والصبر لأمره والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوه، والتعرض لكل سبب يوصل إليه والقناعة بالخمول، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب.

انظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠٨، والقشيرية ص ٩٧.

(٨) في أ، والمطبوعة:.. المظاهر غير المظاهر أم هي.

(٩) في ب، والمطبوعة: بالنسبة.

(١٠) قوله: (هي) سقطت من المطبوعة.

والمعتزلة^(٥) الذين قالوا: المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه. فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق لهذه^(٦) الأشياء الثابتة في العدم وجوداً^(٧) ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليها^(٨)، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق. وصاحبه الصدر القونوي^(٩) يفرق^(١٠) بين المطلق والمعين، لأنه كان أقرب إلى الفلسفة، فلم يقر بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف (مفتاح غيب الجمع والوجود)^(١١).

(١) انظر في هذا رسائل المؤلف: (حقيقة مذهب الاتحاديين) و(الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية) و(الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم) ضمن مجموع الفتاوى ١٣٤/٢-٤٥١. وبيان تلبيس الجهمية ٥٣٨/٢.

(٢) أي كتاب فصوص الحكم لابن عربي، وقد تقدم الكلام عليه ص ١٤٥.

(٣) في د، والمطبوعة: عليها.

(٤) في ج: فنفرق.

(٥) في ب: والمعتزلة خذلهم الله تعالى. وليس هذا من كلام المؤلف، فالسب والشتم والإثارة ليست سبباً للوصول إلى الحق، وإنما هي أسلوب العاجز الضعيف، وابن تيمية رحمته أبعد ما يكون عن هذا لأسلوب، فهو يعتمد في تبين الحق على الحجة القوية المدعومة بالدليل الواضح والبرهان القوي المستمد النقل والعقل، هذا ما عهدناه في مؤلفاته. والله أعلم.

(٦) في ب: هذه.

(٧) في ب: ووجودها.

(٨) في المطبوعة: عليها.

(٩) محمد بن إسحاق بن محمد القونوي الرومي - صدر الدين - صوفي من كبار تلاميذ ابن عربي، وقد تزوج ابن عربي أنه ورباه واهتم به حتى أصبح من أهل الوجود، وهو شيخ التلمساني، وله مصنفات كثيرة منها: تفسير سورة الفاتحة في مجلد سباه (إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن)، توفي سنة ٦٧٣ هـ بقونية، وأوصى بأن ينقل ويدفن عند شيخه ابن عربي.

انظر: طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٤٦٧. ومفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى ٤٥١/١.

(١٠) في ج: فوق.

(١١) ذكره حاجي خليفة باسم (مفتاح الغيب)، وفي جامعة الملك سعود نسخة مخطوطة باسم (مفتاح غيب الجمع

والوجود) بخط جيد وتتكون من ٩٤ ورقة وهي تحت الرقم ١/٢٦٧٧.

وقد أورد ابن تيمية شيئاً مما جاء فيه ثم قال: وحقيقة هذا القول (أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً). وهذا كاف للحكم على الكتاب.

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق^(١) وعدمه.

فإن المطلق بشرط الإطلاق - وهو الكلي العقلي - لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان.

والمطلق لا بشرط الإطلاق^(٢) - وهو الكلي الطبيعي - وإن^(٣) قيل أنه موجود في الخارج فلا يوجد

إلا^(٤) معيناً، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج.

فيلزم: أن يكون وجود الرب إما منتفياً في الخارج، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات،

وإما أن يكون عين وجود المخلوقات.

وهل^(٥) يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء

خالقاً لجميعة؟!

وهؤلاء^(٦) يفرون من لفظ (الحلول) لأنه يقتضي حالاً ومحلاً، ومن لفظ (الاتحاد) لأنه يقتضي

شيئين تحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجود واحد، ويقولون: إن^(٧) النصارى إنما^(٨) كفروا لما

خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عموماً لما كفروا.

وكذلك يقولون في عباد الأصنام: إنما أخطأوا لما عبدوا^(٩) بعض الظاهر دون بعض، فلو عبدوا

الجميع لما أخطأوا عندهم، (والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام)^(١٠).

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض، لأنه يقال لهم: فمن المخطئ؟

لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص^(١١) التي يوصف بها المخلوق.

انظر: كشف الظنون ٢/ ١٧٦٨. رسالة ابن تيمية إلى نصر المليحي في مجموع الفتاوى ٢/ ٤٧١.

(١) في ب: الصانع.

(٢) كلمة (الإطلاق) من ب.

(٣) في ب: فإن.

(٤) قوله (في الخارج إلا) سقطت من المطبوعة.

(٥) في المطبوعة: وهو.

(٦) أي: القنوني وغيره.

(٧) سقطت (إن) من: المطبوعة.

(٨) سقطت (إنما) من المطبوعة.

(٩) في أ، ب، ج: لما اعتقدوا. وفي ب: لما اعتقدوا البعض الظاهر دون البعض، فلو عبدوا...

(١٠) ما بين لقوسين سقط من: أ، ب، و.

(١١) في و: النقائص التي توصف بها المخلوقات.

ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق، ويقولون ما قاله صاحب الفصوص^(١): (فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية، والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة)^(٢).
وهم مع هذا الكفر^(٣) لا يندفع عنهم هذا^(٤) التناقض، فإنه معلوم الحس والعقل أن هذا ليس هو ذلك.

وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني^(٥): أنه ثبت عندنا في الكشف^(٦) ما يناقض صريح العقل. ويقولون: من أراد التحقيق -يعني تحقيقهم- فليترك العقل والشرع. وقد قلت -لمن خاطبته^(٧) منهم-: معلوم^(٨) أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم.

والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- يخبرون بما تعجز عقول الناس^(٩) عن معرفته، لا بما^(١٠) يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح المعقول^(١١)، ويمتنع أن يتعارض دليان قطعيان، سواء كانا

(١) أي: كتاب فصوص الحكم لابن عربي، وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب ص ١٤٥ وترجمة ابن عربي ص ١٤٥.

(٢) الفصوص ١/٧٦، ٧٧.

(٣) في المطبوعة: مع كفرهم هذا.

(٤) سقط اسم الإشارة (هذا) من: أ، ب، و، المطبوعة.

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٧٢.

(٦) تقدم تعريف المكاشفة ص ٦٥.

(٧) في ب، ج: خاطبت.

(٨) في المطبوعة: ومعلوم.

(٩) في أ، د: بما تعجز العقول عن معرفته.

(١٠) في د: لا ما يعرف.

(١١) في ب، والمطبوعة: العقول.

عقلين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً، فكيف بمن ادعى كشفاً يناقض صريح^(١) الشرع والعقل!؟

وهؤلاء قد لا يتعمدون^(٢) الكذب، لكم يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن^(٣) يظنونها من كرامات الصالحين وتكون من تليسات الشياطين.

استمرار النبوة عند أهل الوحدة

وهؤلاء الذين^(٤) يقولون بالوحدة: يقدمون^(٥) الأولياء على الأنبياء، ويذكرون^(٦) أن النبوة لم تنقطع، كما يذكر عن ابن سبعين^(٧) ونحوه^(٨).

ويجعلون المراتب ثلاثة: يقولون: العبد يشهد أولاً طاعة ومعصية، ثم طاعة بلا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية.

والشهود الأول هو: الشهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي.

(١) كلمة (صريح) سقطت من: ب، ج.

(٢) في أ، د: لا يعتمدون.

(٣) في ب: ويظنونها، بدون لكن.

(٤) قوله (الذين) سقط من: أ، د.

(٥) في د: ويقدمون. وفي المطبوعة: قد يقدمون.

(٦) في ب، و: أو يدعون أن النبوة.

(٧) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الرقوطي، نسبة إلى رقوطة، بلدة قريية من مرسية، ولد سنة ٦١٤ هـ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد وصنف فيه، له من المصنفات كتاب (البدو)، وكتاب (اللهو)، وقد أقام بمكة، وجاور بعض الأوقات بغار حراء يرتجي أن يأتيه الوحي كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، توفي سنة ٦٦٩ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٢٨٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٧.

(٨) في المطبوعة: وغيره.

وأما الشهود^(١) الثاني: فيريدون به شهود القدر^(٢)، كما كان^(٣) بعض هؤلاء يقول: أنا كافر برب يعصى، وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الإرادة التي هي المشيئة، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلًا لما يختاره^(٤) مني ففعلي كله طاعات^(٥)

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله، كما قال تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٦) وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني والديني وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمته لهم، فمن اتبع الجنيد^(٦) فيها كان على السداد، ومن خالفه ضل.

فإنهم^(٧) تكلموا في أن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته^(٨)، وفي شهود^(٩) هذا التوحيد، وهذا يسمونه: الجمع الأول.

فبين لهم الجنيد أنه لا بد من شهود الفرق الثاني^(١)، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقها، فيجب^(٢) الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه، ويفرق بين أوليائه^(٣) وأعدائه كما قال تعالى:

(١) في ب، ج، د: وأما الثاني.

(٢) في ب: القدرة.

(٣) في المطبوعة: كما أن.

(٤) في ج، والمطبوعة: تختاره.

(٥) لم أقف على قائل هذا البيت.

(٦) تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٧) في المطبوعة: لأنهم تكلفوا بأن الأمور.

(٨) في د: بمشيئته وقدرته.

(٩) في ج: وفي شهوده هذا التوحيد.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القم: ٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الجنائية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ

قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨].

ولهذا كان مذهب سلف^(٤) الأمة وأئمتها: أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، وهو لا يجب^(٥) الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء وإن كانت واقعة^(٦) بمشيئته، فهو لا يجبها ولا يرضاها، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم.

وأما^(٧) المرتبة الثالثة: أن لا يشهد طاعة ولا معصية فإنه^(٨) يرى أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا هو^(٩) غاية التحقيق والولاية لله، وهو في الحقيقة^(١٠) غاية الإلحاد في أساء الله وآياته، وغاية العداوة لله فإن صاحب هذا المشهد يتخذ^(١١) اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء، وقد قال تعالى:

(١) هكذا في جميع النسخ، وحذف (الثاني) أنسب لفهم العبارة.

(٢) في المطبوعة: يجب.

(٣) في ب: أولياء الله.

(٤) كلمة (سلف) سقطت من: ب.

(٥) في أ: ولا يجب.

(٦) في المطبوعة: وقعت.

(٧) في أ، ج: والمرتبة.

(٨) في ب: فهو يرى.

(٩) في المطبوعة سقط قوله: (هو).

(١٠) في ب: في التحقيق.

(١١) في د: متخذ.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. ولا يتبرأ من الشرك والأوثان، فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - قال الله تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ^(١).

[قصيدة ابن الفارض في بيان مذهبه]

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه، مثل قصيدة ابن الفارض ^(٢) المسماة بنظم السلوك، يقول فيها:

وأشهد فيها أنها لي صلت	لها صلواتي بالمقام ^(٣) أقيمها
حقيقته بالجمع في كل سجدة	كلانا مصل واحد ساجد إلى
صلاتي لغيري في أدا كل ركعة	وما كان لي صلي سواي ولم تكن

(١) في أ، ج، والمطبوعة: (... من حاد الله ورسوله ﷺ).

(٢) عمر بن علي مرشد بن علي - أبو حفص - الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاء، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال بين يدي السلطان، فغلب عليه التقليب بالفارص، وهو شاعر أديب، له ديوان مطبوع، ومن نظمه التائية في السلوك التي نظمها على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، وقد تكلم فيه غير واحد من المشايخ بسبب قصيدته المشار إليها التي مضمونها القول بوحدة الوجود، كما قال ابن تيمية. توفي سنة ٦٣٢ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٥٥، مجموع الفتاوى ٢/ ٢٤٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٧.

(٣) في د، والمطبوعة: في المقام. وما أثبت هو الموافق لما في الديوان.

إلى أن يقول^(١):

ما زلت إياها وإيائي لم تنزل
إلي رسولاً كنت مني مرسلًا
ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلت^(٢)
وذاقي بآياتي علي استدللت
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن
منادي أجابت من دعائي ولبت^(٣)

إلى أمثال هذا الكلام، ولهذا كان هذا القائل عند الموت^(٤) ينشد ويقول^(٥):

إن كان منزلتي في الحب عندكم
أمنية ظفرت نفسي^(٦) بها زمنًا
ما قد لقيت^(٦) فقد ضيعت أيامي
واليوم أحسبها أضغاث أحلام^(٨)

بعض الأدلة على بطلان دعوة الوحدة

فإنه كان يظن أنه هو الله^(٩)، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له^(١٠) بطلان ما كان يظنه^(١١)، وقد قال الله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

(١) في المطبوعة: إلى أن قال.

(٢) في ب، ج: أحببت.

(٣) ديوان ابن الفارض ص ٩٧.

(٤) قال ابن تيمية: حدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم، عن الشيخ إبراهيم الجعبري، أنه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد هذه لأبيات.

انظر: مجموع الفتاوى ٢/٢٤٦.

(٥) كلمة (ويقول) سقطت من: ب، د.

(٦) في الديوان: ما قد رأيت.

(٧) في الديوان: روعي.

(٨) ديوان ابن الفارض ص ٨١.

(٩) في أ، د: فإنه كان يظنه هو الله.

(١٠) في المطبوعة: تبين بطلان...

(١١) في ج: ما كان يظنه، وهؤلاء ممن قال الله سبحانه فيهم وقد قال تعالى سبح لله...

ثم قال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٢-٣].

وفي صحيح مسلم، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر»^(١).

ثم قال تعالى^(٢): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

فذكر أن السماوات والأرض - وفي موضع آخر وما بينهما - مخلوق له^(٣) مسبح له، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء.

المعية لا تقتضي حلولاً ولا اتحاداً

وأما قوله: (وهو معكم) فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشئيين مختلطاً بالآخر، كقوله تعالى:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث (٢٧١٣) ص ٢٠٨٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى فراشه، رقم الحديث (٣٨٧٣) ص ١٢٧٤.

(٢) لم يرد في أ، والمطبوعة: كلمة (تعالى).

(٣) في أ، والمطبوعة: مخلوق مسبح له.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال:

[٧٥].

ولفظ (مع) جاءت^(١) في القرآن عامة وخاصة.

[المعية العامة]

فالعامة في هذه الآية، وفي آية المجادلة:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فافتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك^(٢) وسفيان الثوري^(٣)، وأحمد بن حنبل: هو معهم بعلمه^(٤).

(١) في ب: جاء.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي - أبو القاسم - الخرساني، تابعي جليل إمام في التفسير، قال الإمام أحمد: هو ثقة، وقال ابن سعيد القطان: كان ضعيفاً وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: لم يشافه أحداً من الصحابة، ومن قال أنه لقي ابن عباس فقد وهم، له كتاب في التفسير، وكان يعلم الصبيان حسبة، ويقال أنه بلغ عدد الصبيان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، توفي في خراسان سنة ١٠٥ هـ.

انظر: البداية والنهاية ٩/٢٤٩، والأعلام ٣/٢١٥.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري - أبو عبدالله - أحد أئمة الإسلام وعبادهم، روى عن غير واحد من التابعين، وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم، قال شعبة: ساد الناس بالورع والعلم، وقال: أصحاب المذاهب ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، وغير ذلك من ثناء العلماء عليه، له من الكتب: الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكلاهما في الحديث، وكتابه في الفرائض، توفي في البصرة سنة ١٦١ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/١٠٤، البداية والنهاية ١٠/١٥٤.

(٤) ذكره ابن جرير في تفسيره ٢٨/١٢، ١٣. والقرطبي ١٧/٢٩٠. وقول الإمام أحمد في كتابه: الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٨.

[المعية الخاصة]

وأما المعية الخاصة: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:

١٢٨].

وقوله تعالى لموسى^(١): ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

وقال تعالى^(٢): ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

يعني النبي ﷺ وأبا بكر الصديق^(٣).

فهو مع موسى وهارون، دون فرعون، ومع محمد وصاحبه^(٤)، دون أبي جهل^(٥) وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون، دون الظالمين المعتدين.

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان، تناقض^(٦) الخبر الخاص والخبر العام، بل المعنى: أنه مع هؤلاء بنصره وتأبيده دون أولئك.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

أي: هو إله من في السموات^(٧)، وإله من في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

(١) في ج: لموسى وهارون.

(٢) في ج: تعالى عن محمد ﷺ.

(٣) كلمة (الصديق) سقطت من أ، والمطبوعة.

(٤) كلمة (وصاحبه) سقطت من: أ، د.

(٥) عمرو بن هاشم بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهائها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وكان يقال له أبو الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل، واستمر على عناده يثير الناس على الرسول ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهد بها مع المشركين فكان من قتلاها سنة ٢ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٨٧/٥، السير النبوية لابن هشام ٢٧٧/١، ٢٧٦/٢.

(٦) في ب: يناقض.

(٧) في ب، ج: السماء.

كما فسره أئمة العلم، كالإمام أحمد، وغيره^(١): أنه المعبود في السماوات والأرض^(٢).
وأجمع سلف الأمة وأئمتها على^(٣) أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه،
وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف^(٤) بصفات
الكمال، دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء، ولا كقوله^(٥) في شيء من صفات الكمال،
كما قال الله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

[الإخلاص: ١-٤].

وقال ابن عباس: الصمد: العليم الذي كمل في علمه، والعظيم الذي كمل في عظمته، التقدير
الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سؤدده^(٦).
وقال ابن مسعود وغيره: الصمد: هو الذي لا جوف له، والأحد: الذي لا نظير له^(٧).
فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال، ونفي النقائص عنه، واسمه الأحد يتضمن^(٨) أنه
لا مثل^(٩) له.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير^(١٠) هذه السورة، وفي كونها تعدل ثلث القرآن^(١١).

(١) في د: كما فسره أولوا العلم أنه المعبود.

(٢) انظر تفسير الإمام أحمد لهذه الآية في كتابه: الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٧.

(٣) سقط حرف الجر (على) من: ب، ج، و.

(٤) في ج: فيوصف.

(٥) في ب: ولا كفعله في صفات الكمال.

(٦) أورده الطبري في تفسيره ٣٠/٣٤٦، عن ابن عباس. وابن الجوزي في زاد المسير ٩/٢٦٧. وابن كثير في تفسيره
٤/٤٩٨.

(٧) أورده ابن كثير في تفسيره عن ابن مسعود ٤/٤٩٩.

(٨) في المطبوعة: يتضمن اتصافه أنه.

(٩) في د: لا مثل له.

(١٠) في ب، والمطبوعة: على تفسير ذلك في هذه.

(١١) روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، رقم الحديث (٤٧٢٧) ص

١٩١٥. وقد أفرد ابن تيمية تفسير هذه السورة بمؤلف طبع بما يزيد عن مائتي صفحة.

الفصل الثاني عشر

اشتباه الحقائق الدينية والكونية على كثير من الناس

وكثير من الناس تشبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية، بالحقائق الخلقية القدرية الكونية. فإن الله - سبحانه وتعالى - له الخلق والأمر^(١) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه، لا خالق غيره ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيتته و^(٢) قدرته وخلقته. وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله^(٣) ونهى عن معصيته ومعصية رسله^(٤)، أمر بالتوحيد والإخلاص ونهى عن الشرك^(٥) بالله فأعظم^(٦) الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) في ب: وله الأمر.

(٢) في ب، والمطبوعة: ومشيتته وقدرته وخلقته.

(٣) في أ، ب، و: ورسوله.

(٤) في أ، ب: ورسوله.

(٥) في ب، والمطبوعة: الإشراف.

(٦) في ب، د: وأعظم.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بجليلة جارك». فأنزله الله تصديق ذلك:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٧-٧٠] ^(١).

وأمر ^(٢) سبحانه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. وأخبر أنه يحب المتقين، ويحب المحسنين ^(٣)، ويحب المقسطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص.

وهو يكره ما نهى عنه، كما قال في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨] ^(٤).

وقد نهى عن الشرك، وعقوق الوالدين، وأمر بإيتاء ^(٥) الحقوق، ونهى عن التبذير وعن التقتير، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه وأن يسطها كل البسط، ونهى عن قتل النفس بغير حق ^(٦)، وعن الزنا،

(١) انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب التفسير، باب قوله: والذين لا يدعون.. الآية، رقم الحديث (٤٤٨٣)، ص ١٧٨٤. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب كون الشرك أفبح الذنوب، رقم الحديث (١٤١) ص ٩٠. ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن ابن مسعود.

انظر: مسند أحمد ١/ ٣٨٠، وسنن أبي داود ج ٢ كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا، رقم الحديث (٢٣١٠)، ص ٧٣. وسنن الترمذي ج ٥ أبواب التفسير، من سورة الفرقان، رقم الحديث (٣٢٣٢) ص ١٧. وسنن النسائي ج ٧ كتاب تحريم الدم، ذكر أعظم الذنوب ص ٨٩.

(٢) في ب: فأمر.

(٣) قوله (ويحب المحسنين) سقط من ب، د.

(٤) في و: سقط من قوله: وهو يكره ما نهى عنه... حتى نهاية الآية.

(٥) في المطبوعة: بإيتاء ذي القربى الحقوق.

(٦) في المطبوعة: بغير الحق.

وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، إلى أن قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

وهو سبحانه لا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر.

حاجة كل أحد إلى التوبة والاستغفار

والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «توبوا إلى ربكم، فالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١)، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: «إنه ليغان^(٢) على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(٣)، وفي السنن، عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة، أو قال: أكثر من مائة مرة^(٤).

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة، ومسلم عن الأغر المزني.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم الحديث (٥٩٤٨) ص ٢٣٢٤. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار رقم الحديث (٢٧٠٢) ص ٢٠٧٦، ٢٠٧٥.

(٢) الغين: أي الغيم، يقال غينت السماء إذا أطبق عليها الغيم، وأراد الرسول ﷺ ما يغشاه من سهولاً يخلو منه بشر، لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض وقتاً ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحها عد ذلك ذنباً وتقصيراً فيفزع إلى الاستغفار.
انظر: مجمع بحار الأنوار ٤ / ٨٥.

(٣) رواه مسلم وأبو داود عن الأغر المزني.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار، رقم الحديث (٢٧٠٢) ص ٢٠٧٥. وسنن أبي داود ج ٢ كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥١٥) ص ١٧٧.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد أمر الله سبحانه عباده^(١) أن يَحْتَمُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ^(٢) بالاستغفار، فكان^(٣) النبي ﷺ إذا سَلَّمَ من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه^(٤).

وقد قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة المزمل وهي سورة قيام

الليل بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

وكذلك في الحج^(٥)، قال: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ

وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾^(٦) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩].

بل أنزل - سبحانه وتعالى - في آخر الأمر لما^(٧) غزا النبي ﷺ غزوة تبوك، وهي آخر غزواته: ﴿لَقَدْ

تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا

انظر: مسند أحمد ٢/١٢، وسنن أبي داود ج ٢ كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥١٦) ص

١٧٨. وسنن الترمذي ج ٥ كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم الحديث (٣٤٩٥) ص ١٥٨.

وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الدعوات، باب الاستغفار، رقم الحديث (٣٨١٤) ص ١٢٥٣.

(١) في أ، والمطبوعة: وقد أمر الله سبحانه أن يَحْتَمُوا.

(٢) في د: الصالحة.

(٣) في أ، ب: وكان.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد: عن ثوبان.

انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد، باب استحباب الذكر، رقم الحديث (٥٩٢) ص ٤١٤. وسنن أبي داود

ج ٢ كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، رقم الحديث (١٥١٢) ص ١٧٦. وسنن الترمذي ج ١ أبواب

الصلاة، باب ما يقول إذا سلم، رقم الحديث (٢٩٩) ص ١٨٤. وسنن أحمد ٥/٢٧٥.

(٥) في المطبوعة: (في سورة الحج) وهو خطأ، إذ ليست الآية في سورة الحج وإنما قصد المؤلف أن موضوع الآية:

الحج.

(٦) في ب: حين غزا.

صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

ومن^(١) آخر ما نزل من القرآن - وقد قيل أنها آخر سورة نزلت - قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(٢)، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، لا إله إلا أنت»^(٣).

وفي الصحيحين: أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به في صلاتي؟ قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم»^(٤).

(١) في المطبوعة: وهي من آخر ما نزل من القرآن. وكلا اللفظين صحيح في معناه، فقد قيل: إن سورة التوبة آخر سورة نزلت.

انظر تفصيل هذا في: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٠٦-٢١٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم الحديث (٧٨٤) ص ٢٨١. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث (٤٨٤) ص ٣٥٠.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، رقم الحديث (٦٠٣٥) ص ٢٣٥٠، وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم الحديث (٢٧١٩) ص ٢٠٨٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، رقم الحديث (٧٩٩) ص ٢٨٩. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم الحديث (٢٧٠٥) ص ٢٠٧٨.

وفي السنن عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علمني دعاء أدعوا به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «قل: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أُجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ، قَلْبُهُ إِذَا أَصْبَحَتْ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مُضْجَعَكَ»^(١).

فليس لأحد أن^(٢) يظن استغناؤه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً.

قال الله تعالى^(٣): ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥) [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فالإنسان ظالم جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين^(٤) ومغفرته لهم.

وثبت في الصحيح^(٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»^(٦).

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي عن أبي بكر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال أحمد شاكر: وظاهر هذا الحديث أنه من رواية أبي هريرة عن أبي بكر.
انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ١/ ٥٢. وسنن الترمذي ج ٥ أبواب الدعوات، باب ١٤، رقم الحديث (٣٤٥٢) ص ١٣٤. وسنن أبي داود ج ٥ كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث (٥٠٦٧) ص ٣١٠. وسنن الدارمي ج ٢ كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا أصبح، ص ٢٩٢.

(٢) في ب: لأحد يظن.

(٣) في المطبوعة: قال الله تبارك وتعالى.

(٤) في أ، ج: عباده المؤمنين والصالحين.

(٥) في ب: في الصحيحين.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، رقم الحديث (٥٣٤٩) ص ٢١٤٧. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله، رقم الحديث (٢٨١٦) ص ٢١٦٩.

وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. فإن الرسول ﷺ نفى بآء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت بآء^(١) السبب. وقول من قال: إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب، معناه: أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار، فلم يصر على الذنوب، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال، مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١٣٥] [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

الاحتجاج بالقدر على الذنوب سبيل المشركين

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. قال الله تعالى -رداً عليهم-: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [١٤٨] قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [١٤٩] [الأنعام: ١٤٨-١٤٩].

ولو كان القدر حجة لأحد^(٢) لم يعذب الله المكذبين للرسول، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين، ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله.

(١) في أ، د: والقرآن أثبت السبب.

(٢) قوله (لأحد) سقط من ب، ج، د.

ومن رأى^(١) القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم^(٢) والعقاب فعليه أن لا يذم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة^(٣) وما يوجب الألم، فلا يفرق بين من يعمل معه خيراً ومن يعمل^(٤) معه شراً، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً.

وقد^(٥) قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ حَيَاتِهِمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجنائفة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:

١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

أي: مهملاً لا يؤمر ولا ينهى^(٦).

حديث احتجاج آدم وموسى ومذاهب الناس فيه

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «احتج آدم وموسى، قال موسى: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، أخرجتنا ونفسك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وكتب لك التوراة بيده، فبكم وجدت مكتوباً

(١) في د: ومن أراد.

(٢) في د: الذنوب والعقوبات.

(٣) في أ، د: الذم.

(٤) في ب، والمطبوعة: ولا بين من يفعل.

(٥) في أ، د: وقال تعالى.

(٦) في ج: أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى. وفي ب: سقط ما بين القوسين.

علي قبل أن أخلق: (وعصى آدم ربه فغوى)؟ قال: بأربعين سنة؟ قال: فلم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ قال: فحج آدم موسى^(١).

وهذا^(٢) الحديث ضلت^(٣) فيه طائفتان: طائفة كذبت له لما ظنوا أنه يقتضي رفع الدم والعقاب عن عصى الله لأجل القدر^(٤).

وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة^(٥)، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو^(٦) الذين لا يرون أن لهم فعلاً.

ومن الناس من قال: إنما حج آدم موسى لأنه أبوه، أو لأنه قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في أخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الآخرة، وكل هذا باطل.

ولكن وجه الحديث: أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: لما أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يلمه لمجرد^(٧) كونه أذنب ذنباً وتاب منه، فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام، وهو قد تاب أيضاً^(٨)، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]^(٩).

حكم الصبر والرضا عند المصائب

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب.

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ٦ كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم الحديث (٦٢٤٠) ص ٢٤٣٦.

وصحيح مسلم ج ٤ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث (٢٦٥٢) ص ٢٠٤٢.

(٢) في المطبوعة: زاد (أي غلبة بالحجة) بعد أن ساق الحديث.

(٣) في ج: قد ضلت.

(٤) وهم نفاة القدر.

(٥) وهم الجبرية.

(٦) في ب، ج: والذين.

(٧) في ب، د: بمجرد.

(٨) في المطبوعة: تاب منه أيضاً.

(٩) وقد بسط ابن القيم الكلام على هذا الحديث في شفاء العليل ص ١٢ وما بعدها.

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب.

وقد^(١) قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:

[١١].

قال ابن مسعود: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم^(٢) أنها من عند الله فيرضى ويسلم»^(٣).

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل صبروا لحكم الله، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر.

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله، والرضى قد قيل: إنه واجب، وقيل: إنه^(٤) مستحب، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة، لما يرى من إنعام الله عليه بها، جعلها سبباً لتكفير خطاياها، ورفع درجاته، وإنابته إلى الله، وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين^(٥).

وأما أهل الغي^(٦) والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم الله^(٧) عليهم بها، كما قال بعض^(٨) العلماء: أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به!

(١) في أ، والمطبوعة: وقال تعالى.

(٢) في ب، والمطبوعة: يعلم.

(٣) رواه ابن جرير عن علقمة، ولم أقف عليه عن ابن مسعود.

انظر: تفسير ابن جرير ٢٨/١٢٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٨/٣٨٣.

(٤) في المطبوعة: زاد (وقيل: هو مستحب وهو الصحيح).

(٥) قد بسط ابن القيم الكلام على هذه المسألة في: شفاء العليل ص ٢٧٨.

(٦) في أ، والمطبوعة: البغي.

(٧) في أن والمطبوعة: إذا أنعم عليهم بها.

(٨) في المطبوعة: أحد العلماء.

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة شهدوا إنعام الله عليهم بها، وأنه هو الذي^(١) جعلهم مسلمين، وجعلهم يقيمون الصلاة، وأهمهم التقوى، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن^(٢)، والأذى وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا إليه منها.

ففي صحيح البخاري: عن شداد بن أوس^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنْتَ عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مَوْقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ (يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى مُؤْمِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ)»^(٤) ليلته دخل الجنة»^(٥).

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه -تبارك وتعالى- أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي، فاستغفروا أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطمعته فاستطعموني أطمعكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا

(١) في المطبوعة: وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم.

(٢) في المطبوعة: والمن والأذى.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري النجاري -أبو يعلى- صحابي ولاء عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل وعكف على العبادة، كان فصيحاً حليماً حكيماً، توفي في القدس سنة ٥٨ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/١٥٨. الإصابة ٣/٣١٩ ت (٣٨٥١).

(٤) ما بين القوسين سقط من: ب، والمطبوعة.

(٥) انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار، رقم الحديث (٥٩٤٧) ص ٢٣٢٣، ورواه أحمد والترمذي والنسائي.

انظر: المسند ٤/١٢٢، وسنن الترمذي ج ٥ أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم الحديث (٣٤٥٣) ص ١٣٥، وسنن النسائي ج ٨ كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من شر ما صع، ص ٢٧٩.

عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيتكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد^(٢) من خير وأنه إذا وجد الشر^(٣) فلا يلوم^(٤) إلا نفسه. وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيتته وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبتة، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقًا لما أمر الله به على ألسن رسله وبين من يقوم بوجهه وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة.

الفرقان بين ما يطلق عليه لفظ الشرع، ووجوب التزام الشرع المنزل

كما أن لفظ الشريعة^(٥) يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله، فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج^(٦) عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر، وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم، فالحاكم تارة يصيب، وتارة يخطئ، هذا إذا كان عالمًا عادلاً، وإلا^(٧) ففي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل علم الحق ففضى^(٨) به، فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق ففضى بغيره فهو في النار»^(٩).

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبي ذر باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٧٧) ص ١٩٩٤، والمسند ١٥٤/٥.

(٢) في أ، ب: الإنسان.

(٣) في ج، والمطبوعة: شرًا.

(٤) في ج، والمطبوعة: يلومن.

(٥) في ب: الشرع.

(٦) في أ، ج: خروج.

(٧) في ب: وإلا فلا وفي السنن.

(٨) في أ، ج، والمطبوعة: وقضى به.

(٩) رواه أبو داود وابن ماجه عن بريدة، وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن بريدة ورجاله رجال الصحيح.

وأفضل القضاء العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد ﷺ وقد^(١) ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أفضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فيما أقطع له قطعة من النار»^(٢).

فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قُضِيَ به له، وأنه إنما يقطع له قطعة من النار.

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة، إذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والإقرار، وكان في الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له باتفاق العلماء^(٣)، وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك فأكثر العلماء يقولون^(٤) أن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرق أبو حنيفة^(٥) بين النوعين^(٦).

إبطال الاحتجاج بقصة موسى مع الخضر

لفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم^(٧) أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً^(٨) فهو

انظر: سنن أبي داود ج ٤ كتاب الأفضية، باب في طلب القضاء رقم الحديث (٣٥٧٣) ص ٥، وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، رقم الحديث (٢٣١٥) ص ٧٧٦، ومجمع الزوائد ١٩٥/٤.

(١) في ب، والمطبوعة: فقد.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أم سلمة.

انظر: صحيح البخاري ج ٢ كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلم، رقم الحديث (٢٣٢٦) ص ٦٧. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة، رقم الحديث (١٧١٣) ص ١٣٣٧.

(٣) في المطبوعة: بالاتفاق.

(٤) في د، والمطبوعة: يقول.

(٥) في ب، والمطبوعة: أبو حنيفة ﷺ.

(٦) فصل الشوكاني هذه المسألة في: نيل الأوطار ٥/ ١٨٥-١٨٨. وفي المغني لابن قدامة ٩/ ٥٨.

(٧) في ج، د: ولا من غيرهم.

(٨) في المطبوعة: باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر.

كافر، ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غلطاً من وجهين: أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا كان يجب^(١) على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقليين - الجن والإنس -، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً، ولهذا قال الخضر لموسى: «إني^(٢) على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه»^(٣)، وليس لأحد من الثقليين الذين^(٤) بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول له^(٥) مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً للشريعة بل كان موافقاً لها، لكن موسى ﷺ لم يكن^(٦) علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك، فإن حرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها إحسان إليهم، وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيراً^(٧)، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاء قتله، ولهذا^(٨) قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة

(١) في أ، والمطبوعة: ولا كان على الخضر.

(٢) في ب، والمطبوعة: أنا على علم.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي بن كعب.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل، رقم الحديث (١٢٢) ص ٥٦.

وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ﷺ، رقم الحديث (٢٣٨٠) ص ١٨٤٧.

(٤) في ب: من الثقليين بعد مبعث محمد ﷺ أن يقول.

(٥) في ج، والمطبوعة: أن يقول مثل هذا.

(٦) في المطبوعة: لم يكن مخالفاً لشريعة موسى ﷺ، وموسى لم يكن...

(٧) في ج: وإن كان صغيراً أو من عداوته لا تندفع إلا بقتله جاز قتله.

(٨) قوله (ولهذا) سقط من: المطبوعة.

الحروري^(١) - لما سأله عن قتل الغلمان-: «إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم»^(٢).

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء يخالف شرع الله.

أحوال حكم الحاكم

وأما إذا^(٣) أريد بالشرع حكم الحاكم فقد يكون ظلماً^(٤)، وقد يكون عدلاً^(٥)، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول^(٦) أئمة الفقه، كأبي حنيفة، والثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي^(٧)، والليث بن سعد^(١)، والشافعي، وأحمد، وإسحاق^(٢)، وداود^(٣)، وغيرهم، فهؤلاء

(١) نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بكر بن وائل رأس فرقة النجدات من الخوارج، انفرد عن سائر الخوارج بآراء منها أنه يرى أن قتل من خالفهم واجب، كان في أول امره مع نافع بن الأزرق ثم انفرد عنه، ثم خرج مستقلاً باليامة سنة ٦٦ هـ مع جماعة فأتى البحرين فاستقر بها، وتسمى بأمر المؤمنين، ثم قتل سنة ٦٩ هـ، والحروري نسبة إلى حروراء موضع على بعد ميلين من الكوفة، كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه.

انظر: الأعلام للزركلي ١٠/ ٨، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٤٧.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن يزيد بن هرم عن ابن عباس، ورواه الترمذي والنسائي مختصراً.

انظر: صحيح مسلم ج ٣ كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغزيات، رقم الحديث (١٨١٢) ص ١٤٤٤. سنن أبي داود ج ٣ كتاب الجهاد، باب في المرأة والعبد يجذيان من الغنيمة، رقم الحديث (٢٧٢٧)، (٢٧٢٨) ص ١٦٩. والمسند ١/ ٢٤٤. وسنن الترمذي ج ٣ أبواب السير، رقم الحديث (١٥٩٨) ص ٥٧، وسنن النسائي ج ٧ كتاب قسم الفيء، ص ١٢٨، ١٢٩. وفي النسخ: أ، ب، ج، والمطبوعة: قال رواه البخاري بعد أن ساق الحديث ولعل ما أثبت هو الصحيح إذ لم أقف عليه في البخاري.

(٣) في ب: وأما إن.

(٤) في ب، والمطبوعة: ظالماً.

(٥) في هـ، والمطبوعة: عادلاً.

(٦) في ب، ج: أقوال.

(٧) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي -أبو عمرو- ولد ببعلبك ونشأ يتيماً في حجر أمه وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد وتأدب بنفسه، رحل إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن سيرين مريضاً، فتردد لعيادته فقوي به المرض فمات ولم يسمع منه شيئاً، ثم نزل دمشق وساد أهل زمانه في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من العلوم، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته، توفي في بيروت سنة ١٥٨ هـ.

أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة، وإذا قلد المقلد لأحدهم حيث يسوغ ذلك^(٤) كان جائزًا، وليس اتباع أحدهم واجبًا على^(٥) الأمة كاتباع الرسول ﷺ ولا يحرم^(٦) تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بلا^(٧) علم.

وأما إن أضاف أحد^(٨) إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة^(٩) أو تأول النصوص بخلاف مراد الله^(١٠)، ونحو ذلك، فهذا من نوع التبديل.

فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع^(١١) المؤول، والشرع المبدل، كما يفرق بين الحقيقة الكونية، والحقيقة الدينية الأمرية، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة، وبين ما يكتفي فيها بذوق صاحبها ووجده^(١٢).

انظر: البداية والنهاية ١٠/١٣٣. تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨ ت (٤٨٤).

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي - أبو الحارث - إمام الديار المصرية في الفقه والحديث والعربية، اشتغل في الفتوى وكان ثقة كثير الحديث صحيحه وكان ورعًا فاضلاً، توفي سنة ١٧٥ هـ.

انظر: البداية والنهاية ١٠/١٩٠، تهذيب التهذيب ٨/٤٥٩ ت (٨٣٢).

(٢) إسحاق بن إبراهيم الحنظلي التميمي المروزي - أبو يعقوب - ابن راهويه عالم خراسان في عصره وهو أحد الأئمة المجتهدين، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وغيرهم، وكان ثقة، له تصنيف منها المسند، توفي في نيسابور سنة ٢٣٨ هـ.

انظر: البداية والنهاية ١٠/٣٥٩. تهذيب التهذيب ١/٢١٩ ت (٤٠٨).

(٣) في د: لم يذكر داود. وهو داود بن علي بن خلف الأصبهاني - أبو سليمان - الملقب بالظاهري، وهو إمام أهل الظاهر، أصله من أصبهان، ومولده بالكوفة وسكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها وهو من الأئمة المجتهدين والفقهاء المشهورين، ولكن حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه في أماكن كثيرة من الفقه، توفي سنة ٢٧٠ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/٣٣٣. البداية والنهاية ١١/٥٥.

(٤) في أ، والمطبوعة: وإذا قلد غيره حيث يجوز ذلك، كان جائزًا، أي: ليس اتباع.

(٥) في أ، والمطبوعة: على جميع الأمة.

(٦) في ب: ولم يحرم.

(٧) في المطبوعة: بغير علم.

(٨) قوله (أحد) سقط من: أ، ب.

(٩) في ب: مفتريات وتأويل.

(١٠) في ب: مراد الله ورسوله منها ونحو ذلك.

(١) قوله (الشرع المؤول) سقط من: ب، د.

(٢) في ب: وحده.

الفصل الثالث عشر

تبيين الله في كتابه للفرق بين الكوني الذي خلقه والديني الذي شرعه

وقد بين^(١) الله في كتابه الفرق بين^(٢) الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام والجعل.

بين^(٣) الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وإن كان لم^(٤) يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه^(٥) ولا يثيب أصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقين، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأحبه ورضيه وأحب فاعليه وأثابهم وأكرمهم^(٦) وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين. وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه، فمن استعمله الرب - سبحانه وتعالى - فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من أوليائه، ومن كان عمله فيما^(٧) يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من أعدائه.

الإرادة الكونية والدينية

فالإرادة الكونية هي: مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته^(٨). والإرادة الدينية هي: المتضمنة لمحبه ورضاه، المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً ودينياً، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح.

(١) في المطبوعة: ذكر.

(٢) في ب، ج: الفرق في الإرادة.

(٣) في أ، والمطبوعة: وبين.

(٤) في ب: لا يأمر به.

(٥) قوله (ولا يرضاه) سقط من: المطبوعة.

(٦) في المطبوعة: وشرعه وأتاب فاعليه واکرمهم.

(٧) في ب، ج: بما.

(٨) في المطبوعة: في مشيئته وإرادته الكونية.

قال الله تعالى - في الأولى^(١) -: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].
وقال تعالى في الثانية^(٢): ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال في آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَليُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نهاهن عنه^(٣): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً^(٤)، فمن أطاع أمره كان مطهراً قد^(٥) أذهب عنه الرجس بخلاف من عصاه.

(١) ما بين الشرطتين سقط من: المطبوعة، والمراد بالأولى: الإرادة الكونية.

(٢) وهي الإرادة الدينية.

(٣) قوله (وما نهاهن عنه) سقط من: ب.

(٤) من قوله (والمعنى أنه.. حتى.. ويطهركم تطهيراً) سقط من: أ، ب، د.

(٥) في أ: وأذهب.

الأمر الكوني والديني

وأما الأمر: فقال - في الأمر الكوني-: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَتَأْتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

وأما الأمر الديني فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

الإذن الكوني والديني

وأما الإذن: فقال في الكوني - لما ذكر السحر-: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أي: بمشيئته وقدرته، وإلا فالسحر لم^(١) يبجحه الله.

وقال في الديني^(٢): ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٥٥] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٦١]. [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

(١) في أ، ب، ج: لا يبجحه. وزاد في المطبوعة: ﴿كَلَّا﴾.

(٢) في د، والمطبوعة: وقال في الإذن الديني.

القضاء الكوني والديني

وأما القضاء: فقال في الكوني: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال في الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

أي: أمر، وليس المراد به قدر ذلك، فإنه قد عبد غيره، كما أخبر في غير موضع كقوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

[يونس: ١٨].

وقول^(١) الخليل عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا

حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

[الكافرون: ١-٦].

وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، لا^(٢) تقتضي رضاه بذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن

كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

[يونس: ٤١].

ومن ظن من الملاحظة أن هذا رضا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم، كمن ظن

أن قوله: (وقضى ربك) بمعنى: قدر وأن^(١) الله ما قضى بشيء إلا وقع، وجعل عباد الأصنام ما عبدوا

إلا الله فإن هذا من أعظم الناس كفرًا بالكتب كلها^(٢).

(١) في أ، والمطبوعة: وقال.

(٢) في ب، والمطبوعة: ولا.

البعث الكوني والديني

وأما لفظ البعث: فقال تعالى في البعث الكوني: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء: ٥].
 وقال في البعث الديني: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].
 وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

الإرسال الكوني والديني

وأما لفظ الإرسال: فقال في الإرسال الكوني: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّمًا أَرَأَيْتُمْ ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].
 وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨].
 وقال في الديني: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥].
 وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴿١﴾﴾ [نوح: ١].
 وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥].
 وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

الجعل الكوني والديني

وأما لفظ الجعل: فقال في الكوني: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].
 وقال في الديني: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) في ب: (إن الله) بدون الواو.

(٢) قوله (كلها) سقط من المطبوعة.

وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

التحريم الكوني والديني

وأما لفظ التحريم: فقال في الكوني: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

وقال في الديني: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [المائدة:

.[٣]

وقال: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتِ

الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأَخْتِ﴾ [النساء: ٢٣].

الكلمات الكونية والدينية

وأما لفظ الكلمات: فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّيَا وَكُتِبَ﴾ [التحريم:

.[١٢]

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، ومن غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»^(١). وقال ﷺ: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»^(٢)، وكان يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، ومن شر ما ذرأ في الأرض،

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

انظر: المسند ٢/ ١٨١. سنن أبي داود ج ٤ كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم الحديث (٣٨٩٣) ص ٢١٩. سنن الترمذي ج ٥، أبواب الدعوات، باب ٩٦، رقم الحديث (٣٥٩٠) ص ٢٠٠.

(٢) رواه مسلم والترمذي وغيرهما عن خولة بنت حكيم.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ، في سوء القضاء، رقم الحديث (٢٧٠٨) ص ٢٠٨٠. وسنن الترمذي ج ٥ أبواب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، رقم الحديث (٣٤٩٩) ص ١٥٩.

ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن^(١).

فكلمات^(٢) الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات، ولا^(٣) يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيبته وقدرته.

وأما كلماته الدينية، وهي كتبه المنزلة، وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار. وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وأمره الديني^(٤)، وإرادته الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزهن^(٥) بر ولا فاجر، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده، وجميع الكفار، وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشية والقدرة والقدر لهم، فقد افرقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضى والغضب.

وأولياء^(٦) الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه.

وأعداؤه أولياء الشيطان^(٧)، وإن كانوا تحت قدرته^(٨) فهو يبغضهم ويمقتهم^(٩) ويبغض عليهم ويلعنهم ويعاديهم.

وبسط هذه الجمل له موضع آخر^(١٠)، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(١) رواه أحمد عن عبد الرحمن بن خنيس، ومالك بن يحيى بن سعيد، مرسلًا.

انظر: المسند ٣/ ٤١٩، والموطأ ج ٢ كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعود، رقم الحديث (١٠) ص ٩٥٠.

(٢) في أ، والمطبوعة: وكلمات. وزاد في المطبوعة: (التامات).

(٣) في ج، والمطبوعة: فلا.

(٤) قوله: (وأمره الديني) سقط من: ب، والمطبوعة.

(٥) في أ، والمطبوعة: لا يجاوزها.

(٦) في ب، ج: فأولياء اله.

(٧) في المطبوعة: الشياطين.

(٨) في ب، د: قدره.

(٩) قوله (ويمقتهم) سقط من: المطبوعة.

موافقة الرسول ﷺ هي جماع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وجماع^(٢) الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ فإنه هو الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه^(٣)، بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة، وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد، وأعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وبين أوليائه جند الرحمن^(٤)، وأعدائه حزب الشيطان، أوليائه^(٥) الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، قال تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى:

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال في أعدائه: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ يُلقون السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٧﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٧].

(١) من ذلك رسالة المؤلف في (الاحتجاج بالقدر) مجموع الفتاوى ٦/٣٠٣، ٣٦١.

(٢) في د، والمطبوعة: وجمع.

(٣) في المطبوعة: فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء.

(٤) قوله (بين أوليائه جند الرحمن) سقط من: المطبوعة.

(٥) في ج، د، والمطبوعة: وأوليائه.

وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٧﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴿٤٨﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨-٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٢٩] إلى قوله: ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤].

[تنزيه محمد ﷺ عن تقترن به الشياطين]

فزه - سبحانه وتعالى - نبينا محمداً ﷺ عن تقترن^(١) به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين، وبين^(٢) أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه (الله تعالى)^(٣)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] إلى قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]. فسماه الروح الأمين وسماه روح القدس

وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿٥٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿٥٦﴾﴾ [التكوير: ١٥-١٦].

(١) في ج، د: تقترن بهم.

(٢) في ب: وتبين.

(٣) ما بين القوسين سقط من: أ، والمطبوعة.

يعني الكواكب التي تكون في السماء خائسة، أي: محتفية قبل طلوعها فإذا ظهرت^(١) رآها الناس جارية في السماء، فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧] التكوير: ١٧. أي: إذا أدبر وأقبل الصباح، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] {التكوير: ١٨}. أي: أقبل، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]. وهو جبريل عليه السلام، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]. أي: مطاع في السماء أمين^(٢)، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، أي: صاحبكم الذي من الله عليكم به، إذ بعثه إليكم^(٣) رسولاً من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة، كما قال تعالى: { وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا } الآية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، (أي: رأى جبريل عليه السلام)^(٤)، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى العَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، أي: بمتهم^(٥)، وفي القراءة الأخرى: بضنين، أي: بخيل^(٦) يكتم العلم ولا يبذله إلا بجعل، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض^(٧)، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥].

فتزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً كما نزه محمداً عليه السلام عن^(٨) أن يكون شاعراً أو كاهناً.

(١) في ج: طلعت.

(٢) في ج، د: ثم أمين.

(٣) في أ، د: إذ بعثه فيكم.

(٤) ما بين القوسين سقط من: أ، د.

(٥) قوله (أي بمتهم) سقط من: أ.

(٦) في ب: بخيل.

(٧) في أ، د: من يكتم إلا بعوض.

(٨) قوله (عن) سقط من: ج.

فأولياء الله المتقون هم المقتدون^(١) بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر^(٢)، وينتهون عما عنه وزجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم الله^(٣) بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين.

الغاية من معجزات الرسول ﷺ وكرامات خيار الأولياء

وخيار أولياء الله: كراماتهم لحجة^(٤) في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.

[بعض معجزات الرسول ﷺ]

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر^(٥)، وتسبيح الحصى في كفه^(٦)، وإتيان الشجر إليه^(٧)، وحنين الجذع

(١) في أ: المهتدون.

(٢) في ب: ما أمر الله.

(٣) في المطبوعة: ما أمر الله.

(٤) في ب: ليست بحجة في الدين... وما أثبت هو الصحيح.

(٥) قد أخبر الله تعالى في كتابه عن انشقاق القمر في قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. وروى

البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، رقم الحديث (٣٤٣٧)

ص ١٣٣٠. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب المنافقين، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٢٨٠٠) ص ٢١٥٨.

(٦) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن أبي ذر حديثاً طويلاً وفيه: أن النبي ﷺ تناول سبع حصيات أو تسع حصيات

فسبحن في يده حتى سمع لمن حنين كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد أبي بكر

فسبحن في يده حتى سمع لمن حنين كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر

فسبحن في يده حتى سمع لمن حنين كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن. وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين

ورجال أحدهما ثقافت وفي بعضهم ضعف. ورواه الطبراني في الأوسط.

انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢١٤. ومجمع الزوائد للهيتمي ٨/ ٢٩٩.

(٧) روى مسلم عن جابر قال: ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بأداة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير

شيئاً يستر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال:

انقادي علي ياذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ

إليه^(١)، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس^(٢)، وإخباره بما كان وما يكون^(٣)، وإتيانه بالكتاب العزيز^(٤)، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في الخندق^(٥) العسكر من قدر طعام، وهو

بغضن من أغصانها فقال: انقادي علي ياذن الله فانقادت معه، كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما فقال التما علي ياذن الله فالتأمتا. الحديث.

انظر: صحيح مسلم ج ٤ كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل، رقم الحديث (٣٠٠٢) ص ٢٣٠٦.
(١) رواه البخاري عن جابر، وابن عمر، ولفظه: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع، فأثاه فمسح يده عليه. ورواه أحمد وابن ماجه على شرط مسلم، كما قاله ابن كثير، وعزا الحديث لأبي بكر بن أبي شيبة عن سهل بن سعد ثم قال: وأصل هذا الحديث في الصحيحين وإسناده على شرطهما. وأصل الحديث الذي أشار إليه ابن كثير في الصحيحين فيه قصة اتخاذ المنبر دون ذكر حنين الجذع، فإنه لم يروه مسلم.
انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٣٩٠) ص ١٣١٣، وكذلك ج ١ كتاب الصلاة في الثياب، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، رقم الحديث (٣٧٠) ص ١٤٨. وصحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة أو الخطوتين في الصلاة، رقم الحديث (٥٤٤) ص ٣٨٦. والمسند ١/٢٤٩. وسنن ابن ماجه ج ١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر، رقم الحديث (١٤١٥) ص ٤٥٤. والبداية والنهاية ٦/١٤٨.

(٢) رواه البخاري مسلم عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء، رقم الحديث (٣٦٧٣) ص ١٤٠٩، ١٤١٠. وصحيح مسلم ج ١ كتاب الإيثار، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم الحديث (١٧٠) ص ١٥٦.

(٣) يدل على هذا ما في القرآن والسنة من الأخبار الصادقة عن الماضي والمستقبل. وروي عن ابن عمر بن الخطاب قال: قام فيا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه. رواه البخاري، وروى مسلم مثله عن حذيفة.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. رقم الحديث (٣٠٢٠) ص ١١٦٦، وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفتن وأشرار الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم الحديث (٢٨٩١)، (٢٨٩٢) ص ٢٢١٦، ٢٢١٧.

(٤) يدل على هذا التحدي بالقرآن، فقد تحدى بأن أتوا بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ثم تحداهم بأن أتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون

لم ينقص في حديث أم سليم^(٢) المشهور^(٣)، وروى العسكري في غزوة خيبر^(٤) من مزادة ماء ولم تنقص^(٥)، وملاً أوعية العسكري عام تبوك^(٦) من طعام قليل ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفاً^(٧)، ونبع

اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ هود: ١٣ ﴾. ثم تحادهم بأن يأتوا بسورة مثله قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ يونس: ٣٨ ﴾.

(١) أي: في غزوة الخندق، وتسمى غزوة الأحزاب، وقعت في سنة ٥ هـ، بين المسلمين وعددهم ثلاثة آلاف، والمشركين وعددهم عشرة آلاف، فحاصروا المدينة قريباً من الشهر، وأقام الرسول ﷺ مرابطاً، ثم أرسل الله على المشركين الريح، فزلزلهم وفرقهم وأعز الله رسوله والمؤمنين.
انظر: البداية والنهاية ٤/ ١٠٤.

(٢) اختلف في اسمها: فقيل: سهلة، وقيل: رميلة وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، وقيل: الغميصاء أو الرميضاء، وهي بنت ملحان الأنصارية - أم سليم - أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، ولما مات زوجها مالك تزوجت بعده أبا طلحة، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ ولها قصص مشهورة، روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وروى عنها ابنها أنس وابن عباس وغيرهما، توفيت سنة ٣٠ هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣. الإصابة ٨/ ٢٢٧ ت (١٢٠٧٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن جابر.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٣٨٥) ص ١٣١١. وصحيح مسلم ج ٣ كتب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، رقم الحديث (٢٠٤٠) ص ١٦١٠.

(٤) في ب: غزوة تبوك. وقد أورد ابن حجر في الفتح (٢/ ٢٦٩) عدة أقوال في ذلك ولعل أرجحها أنه في غزو خيبر، إذ هو الوارد في صحيح مسلم. وخير: اسم لمحلة من الحصون والقرى بينها وبين المدينة ثلاث مراحل يسكنها اليهود، فغزاها الرسول ﷺ سنة ٧ هـ وصالح أهلها بشرط ما يخرج منها.
انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٠٤.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين. والمزادة: قرية كبيرة يزداد فيها جلد من غيرها.

انظر: فتح الباري ٢/ ٢٦٩، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم، رقم الحديث (٣٤٤). وصحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفاتية، رقم الحديث (٦٨٢) ص ٤٧٢.

(٦) تقدم التعريف بعام تبوك في ص ١٠٤.

(٧) روى مسلم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد حديث طويل، جاء فيه: أنه في غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فجمعوا ما في أزوادهم فدعا عليه النبي ﷺ بالبركة ثم قال: «خذوا في أوعيتكم»، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكري وعاء إلا ملاًوه.

الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية^(١) نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة^(٢)، ورد له عين قتادة^(٣) حين سألت على خده، فرجعت أحسن عينيه^(٤)، ولما أرسل محمد بن مسلمة^(٥)، لقتل كعب بن الأشرف^(٦)، فوقع وانكسرت رجله فمسحها بيده

انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث (٢٧) ص ٥٦.

وانظر: البداية والنهاية ٣/٥.

(١) تقدم التعريف بغزوة الحديبية في ص ١١٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وعند البخاري عن جابر في حديث طويل جاء فيه: أنه في يوم الحديبية عطش الناس ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقال: «مالكم؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يديه في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.

انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب المغازي، غزوة الحديبية، رقم الحديث (٣٩٢١) ص ١٥٢٦. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ رقم الحديث (٢٢٧٩) ص ١٧٨٣.

(٣) في ج، والطبوعة: أبي قتادة. والصحيح ما أثبت. وقاتدة: هو ابن النعمان بن زيد الأنصاري الأوسي -أو عمرو- وقيل: أبو عبدالله، شهد العقبة وبدراً وأحد والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وأصيبت عينه يوم بدر، وقيل: يوم أحد، وقيل: يوم الخندق، والأصح يوم أحد، وكان قتادة من فضلاء الصحابة، ومن أول من قدم المدينة بالقرآن، روى عنه أخوه لأمه أبو سعيد الخدري وحذيفة، توفي سنة ٢٣هـ.

انظر: أسد الغابة ٤/١٩٥. والاستبصار ص ٢٥٤.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل، وابن هشام في السيرة، عن قتادة، وفيه أنه أصيبت عينه يوم بدر فسألت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يُدرى أي عينيه أصيبت.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف.

انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٧، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام ٣/٣٠. ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/٢٩٧.

(٥) محمد بن سلمة الأنصاري من فضلاء الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك، روى عن النبي ﷺ أحاديث، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان عند عمر معدًا لكشف الأمور المعضلة في البلاد، وكان ممن اعتزل الفتنة، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٧/٩٧. الإصابة ٦/٣٣ ت (٧٨١١).

الكريمة^(٢)، فبرأت^(٣)، وأطعم من سواد بطن شاة^(٤) مائة وثلاثين رجلاً، كل منهم حز له قطعة، وجعل منها قصعتين^(٥)، فأكلوا جميعهم، ثم فضل فضلة^(٦)، وقضى^(٧) دين عبدالله^(٨) الذي لليهودي وهو ثلاثون وسقاً، فسأل^(٩) جابر^(١٠) صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذي له فلم يقبل، فمشى

(١) كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، أمه من بني النضير فدان باليهودية، أدرك الإسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، فأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه سنة ٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٢٢٥. والبداية والنهاية ٤/ ٦.

(٢) قوله: (بيده الكريمة) سقط من المطبوعة.

(٣) روى البخاري عن البراء بن عازب قصة قتل أبي رافع اليهودي، وفيها أن عبد الله بن عتيك وقع فانكسرت ساقه فعصبتها بعمامة، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له: «ابسط رجلك» فبسطها، فمسحها رسول الله ﷺ فبرأت حتى كأنه لم يشتكها قط. وأما محمد بن مسلمة لما ذهب لقتل كعب بن الأشرف، فالذي أصيب الحارث بن أوس، أو عباد بن بشر جرح في رأسه ورجله فقتل رسول الله ﷺ على جرحه فلم يؤذه.

انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، رقم الحديث (٣٨١٢) ص ١٤٨٢. ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٦٥.

(٤) في المطبوعة: وأطعم من شواء مائة وثلاثين.

(٥) في المطبوعة: قطعيتين.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

انظر: صحيح البخاري ج ٥ كتاب الأطعمة، باب من أكل حتى شبع، رقم الحديث (٥٠٦٧) ص ٢٠٥٨. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إثارة، رقم الحديث (٢٠٥٦) ص ١٦٢٦.

(٧) في أ، ج، د: ودين.

(٨) عبد الله بن عمرو بن حزام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي - أبو جابر - كان نقيب بني سلمة هو والبراء بن معرور، معدود في أهل العقبة، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد فيها ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد.

انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٣١. والإصابة ٤/ ١٨٩ ت ٤٨٤١.

(٩) في أن والمطبوعة: قال جابر فأمر صاحب..

(١٠) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، قيل إنه شهد بدرًا وأحدًا، وقيل أنه لم يشهدهما، وهو أحد المكثرين في الحديث عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة، وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ.

انظر: أسد الغابة ١/ ٢٥٦. الإصابة ١/ ٣٤٣ ت (١٠٢٧).

فيها رسول الله ﷺ ثم قال لجابر: «جد له» فوفاه الثلاثين وسقاً وفضل سبعة عشر وسقاً^(١)، ومثل هذا كثير، قد جمعت نحو ألف معجزة^(٢).

من كرامات الصحابة

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل: ما كان أسيد بن حضير^(٣) يقرأ سورة الكهف فنزل^(٤) من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت^(٥) تستمع لقراءته^(٦)، وكانت الملائكة تسلم^(٧) على عمران بن حصين^(٨) وكان سلمان^(٩) وأبو الدرداء^(١٠) يأكلان في

(١) رواه البخاري عن جابر بن عبد الله.

انظر: صحيح البخاري ج ٢ كتاب الاستقراض، باب إذا قاص أو جازفه في دين... رقم الحديث (٢٢٦٦) ص ٨٤٤.

(٢) ألف في معجزات الرسول ﷺ مؤلفات عديدة مستقلة وغير مستقلة، مثل: دلائل النبوة لأبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي، وغيرهما.

(٣) أسيد بن حضير بن سهاك بن عتيك بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي - أبو يحيى - وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعث، وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، واختلف في شهوده بدرًا، وشهد أحدًا والمشاهد بعدها، أخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وكان من أحسن الناس صوتًا في القرآن، له أحاديث الصحيحين وغيرهما، توفي بالمدينة سنة ٢٠ هـ، ودفن بالبقيع.
انظر: أسد الغابة ١/٩٢. والإصابة ١/٨٣ ت (١٨٥).

(٤) في أ، ج: فنزلت.

(٥) في المطبوعة: نزلت لقراءته.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير، وفي بعض ألفاظه: أنه كان يقرأ سورة البقرة.

انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث (٤٧٣٠) ص ١٩١٦. وصحيح مسلم ج ١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم الحديث (٧٩٦) ص ٥٤٨.

(٧) روى ذلك ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٦٨١. وابن الأثير في أسد الغابة ٤/١٣٨.

(٨) عمران بن حصين الخزاعي الكعبي - أبو نجيد - أسلم عام خيبر، روى أحاديث عن النبي ﷺ وكان من فضلاء الصحابة، ولما توفي الرسول ﷺ تحول إلى البصرة وولي قضاءها وكان يفقه أهلها، وكان مجاب الدعوة، ولما حصلت الفتنة اعتزلها، توفي في البصرة سنة ٥٢ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٥/٧٠، وأسد الغابة ٤/١٣٧.

في صحفة، فسبحت الصحفة، أو سبح ما فيها^(٣)، وعباد بن بشر^(٤)، وأسيد بن حضير^(٥) خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما^(٦) طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما، رواه البخاري^(٧)، وغيره.

وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون، فأكلوا منها^(٨).

(١) سلمان الفارسي - أبو عبدالله - ويقال له سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ أصله من رامهرمز وقيل من أصفهان، وكان أب الملك وكان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث، فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة، أول مشاهدته الخندق، وشهد بقية المشاهد، وفتح العراق، وولي المدائن وكان عالماً زاهداً، روى عن النبي ﷺ وروى عنه من الصحابة والتابعين، أخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، عمّر طويلاً، قال العباس بن يزيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه، توفي سنة ٣٦هـ.

انظر: أسد الغابة ٢/٣٢٨، والإصابة ٣/١٤١ ت (٣٣٥٩).

(٢) اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، منها: أنه عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري - أبو الدرداء - وهو مشهور بكنته، أسلم يوم بدر، وشهد أحدًا وأبلى فيها، وكان من فضائل الصحابة، وفقهاهم وحكمائهم، أخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، توفي سنة ٣٢هـ.

انظر: أسد الغابة ٤/١٥٩، والإصابة ٤/٤٤٧ ت (٦١٢١).

(٣) روى ذلك أبو نعيم في الحلية ١/٢٢٤. والقشيري في الرسالة القشيرية ص ٦٧٢.

(٤) عباد بن بشر بن وقش الأنصاري - أبو بشر - أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل الهجرة، وشهد بدرًا وما بعدها، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف، قتل يوم اليمامة شهيداً سنة ١٢هـ، وعمره خمس وأربعون سنة.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/٢٥٧، والبداية والنهاية ٦/٣٨٠.

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٢١٩.

(٦) في المطبوعة: فأضاء لهما نور مثل طرف السوط.

(٧) رواه البخاري عن أنس.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب فضائل الصحابة، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، رقم الحديث (٣٥٩٤) ص ١٣٨٤.

(٨) رواه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

وخبيب بن عدي^(١)، كان أسيرًا عند المشركين بمكة^(٢)، وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنب^(٣).

وعامر بن فهيرة^(٤)، قُتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل^(٥) رفع فرآه عامر بن الطفيل^(٦) وقد رفع، قال عروة^(٧): فيرون أن الملائكة دفنته^(٨).

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، رقم الحديث (٥٣٧) ص ٢١٦. وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل آثاره، رقم الحديث (٢٠٥٧) ص ١٦٢٧.

(١) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأوسمي الأنصاري، شهد بدرًا، واستشهد في عهد النبي ﷺ حين أخذه المشركون أسيرًا في مكة، فقتله بنو الحارث، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر في بدر، وقصه أسرته وقتله في الصحاحين عن أبي هريرة، وفيه أنه عند مقتله صلى ركعتين: وقال أبياتاً منها:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أي جنب كان في الله مصرعي

انظر: أسد الغابة ٢/١٠٣، والإصابة ٢/٢٦٢ ت (٢٢٢٤).

(٢) في المطبوعة: بمكة شرفها الله تعالى.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل، رقم الحديث (٢٨٨٠) ص ١١٠٨.

(٤) عامر بن فهيرة التيمي، مولى أبي بكر الصديق، يكنى أبا عمرو، أحد السابقين إلى الإسلام، وكان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وكان حسن الإسلام، هاجر مع النبي ﷺ وأبي بكر، شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة سنة ٤هـ، وهو ابن أربعين سنة.

انظر: أسد الغابة ٣/٩٠، والإصابة ٣/٥٩٤ ت (٤٤١٨).

(٥) في أ، والمطبوعة: وكان لما كان قتل.

(٦) عامر بن الطفيل بن مالك العامري، كان سيد بني عامر في الجاهلية، وفارس مشهور، وفد على النبي ﷺ وهو بالمدينة يريد الغدر به، فلم يجزؤ عليه، فدعاه الرسول ﷺ فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة فرده، فعاد حنقًا فمات في طريقه سنة ١١هـ، ولم يختلف أهل النقل من المتقدمين أنه مات كافرًا، ومن ظن غير ذلك فقد وهم.

انظر: أسد الغابة ٣/٨٤، والإصابة ٥/٢٧٢ ت (٦٥٦١).

(٧) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي - أبو عبد الله - مدني تابعي، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالمًا ثبتًا مأمونًا، عده أبو الزناد في فقهاء المدينة السبعة، توفي سنة ٩٤هـ. وقيل غير ذلك.

وخرجت أم أيمن^(٢) مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر، وكانت صائمة، سمعت حسًا على رأسها فرفعته، فإذا دلو برشاء أبيض^(٣) معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها^(٤).

وسفينة^(٥) مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه مولى رسول الله ﷺ^(٦) فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده^(٧).

والبراء بن مالك^(١): كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه^(٢)، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم،

انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ ت (٣٥١).

(١) في أ، والمطبوعة: رفعته. وقد أخرج هذا الخبر البخاري عن هشام بن عمرو، عن أبيه، وفيه أنه رفع ثم وضع، وأخرج ابن سعد أنه لم يوجد جسده، ويمكن الجمع بين الروايتين على أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك. انظر: صحيح البخاري ج ٤ كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، رقم الحديث (٣٨٦٧) ص ١٥٠٢. والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٣٠.

(٢) اسمها: بركة بنت ثعلبة بن عمرو - أم أيمن الحبشية - مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج خديجة، وكانت من المهاجرات الأول، وقد تزوجها عبيد بن الحارث، فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ توفيت سنة ١١ هـ. انظر: أسد الغابة ٥/ ٥٦٧، والإصابة ٨/ ١٦٩ ت (١١٨٩٨).

(٣) قوله (برشاء أبيض) سقط من المطبوعة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٦٧، وابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٥٦٧، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٥٤.

(٥) هو سفينة مولى رسول الله ﷺ قيل كان اسمه مهران، وقيل طههان، وقيل غير ذلك، أصله من فارس، فاشترته أم سلمة ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ وقد روى عن النبي ﷺ وكان يسكن بطن نخلة. انظر: أسد الغابة ٢/ ٣٢٤، والإصابة ٣/ ١٣٢ ت (٣٣٣٧).

(٦) في أ، والمطبوعة: رسول رسول الله.

(٧) أخرجه أبو نعيم عن سفينة أنه ركب سفينة في البحر فانكسرت بهم قال: فتعلقت بشيء منها حتى خرجت إلى جزيرة فإذا فيها الأسد، فقلت: أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه يدلني على الطريق، فلما خرجت إلى الطريق همهم فظننت أنه يودعني. وأخرجه ابن الأثير والهيثمي وقال: رواه البزار، والطبراني، ورجالهما وثقوا.

انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢١٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٢٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣٦٦.

فيهزم العدو، فلما كان يوم (تُسْتَر) (٣)، قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيد، فمَنَحُوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً (٤).

وخالد بن الوليد (٥) حاصر حصناً (٦)، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه ولم يضره (٧).
وسعد بن أبي وقاص (٨)، كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له (٩)، وهو الذي هزم جند كسرى (٣) وفتح العراق (٤).

(١) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري، صحابي جليل بطل شجاع، شهد أحدًا، وبايع تحت الشجرة، قيل أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الجيش لا تستعملوا البراء على جيش فإنه مهلكة من المهالك، يقدم بهم، استشهد يوم فتح تستر سنة ٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ١٤٢، والبداية والنهاية ٧/ ٩٥.

(٢) روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء». وقال حديث حسن غريب.

انظر: سنن الترمذي ج ٥ كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك، رقم الحديث (٣٩٤٥) ص ٣٥٥.

(٣) في أ، د: الليامة. في هـ، والمطبوعة: القادسية. وفي ب: اليرموك. وفي ج، و: لم يذكر ما بين القوسين. وقد أثبت تستر لأنه الصحيح من جاء في كتب السير.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥٠. وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/ ٦٢٥. وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ١٧٢. وابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٩٥.

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي - أبو سليمان - كان من أشرف قريش في الجاهلية يلي أخته الخليل، وشهد مع المشركين حروبهم ضد المسلمين إلى عمرة الخديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧ هـ، ولقب بسيف الله المسلول، روى عن النبي ﷺ أحاديثًا، وفي عهد أبي بكر وولاه مرة حروب الردة وأخباره كثيرة، توفي بحمص، وقيل بالمدينة سنة ٢١ هـ.

انظر: أسد الغابة ٢/ ٩٣، الإصابة ٢/ ٢٥١ ت (٢٢٠٣).

(٦) في المطبوعة: حصنًا منيعًا.

(٧) عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم، فقال: اتوني به، فأخذه بيده ثم التهمه، وقال: بسم الله فلم يضره شيئًا.

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل ورجاله ثقات، إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد.

انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠، وكتاب التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات ص ٤٤.

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشًا وأمر عليهم رجلًا يسمى^(٥): سارية^(٦)، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا^(٧) فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله^(٨).

ولما عذبت الزنيرة^(٩) على الإسلام في الله، فأبت إلا الإسلام، وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى^(١٠)، قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها^(١١).

(١) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن أهيب، ويقال: وهيب بن عبد مناف الزهري - أبو إسحاق - أسلم قديمًا وهاجر قبل رسول الله ﷺ شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وكان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك، ومناقبه كثيرة، توفي في قصره بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: أسد الغابة ٢/ ٣٩٠ وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٨٣.

(٢) روى الترمذي عن قيس أن النبي ﷺ قال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك».

انظر: سنن الترمذي ج ٥ أبواب المناقب، مناقب سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث (٣٨٣٥) ص ٣١٣.

(٣) كسرى بن هرمز عظيم الفرس في العراق، وهو بكسر الكاف وفتحها، والكسر أفصح وهو فارسي معرب، وكل من ملك الفرس يقال له كسرى.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٦٦ ت ٨٦.

(٤) في البداية والنهاية ٧/ ٣٣ ذكر سعد بن أبي وقاص وفتوحاته.

(٥) في ج، د، و: يدعى.

(٦) سارية بن زعيم بن عمرو الكناني، له صحبة، كان في الجاهلية كثير الغارات، يسبق الفرس عدوًا على رجله، ولما ظهر الإسلام أسلم، وفي عهد عمر ولاة قيادة بعض الجيوش، وفتح بلادًا منها أصبهان، توفي سنة ٣٠ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٦٩، والإصابة ت (٣٠٣٦).

(٧) في أ، والمطبوعة: عدوًا.

(٨) أخرجها: أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٢١٠، وأبو عبد الرحمن السلمى في الأربعين في التصوف ص ٣، وابن حجر في الإصابة ٣/ ٤، والمحج الطبري في الرياض النضرة ٢/ ١٥، وقال: إسناده حسن، وابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف ص ٤٩.

(٩) زنيرة الرومية، مولاة أبي بكر الصديق، وكانت أحد السبعة الذين كانوا يعذبون في الله، فاشترهم أبو بكر واعتقهم، وكانت مولاة لبني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها باللات والعزى، فرد الله بصرها.

ودعا سعيد بن زيد^(٣) على أروى^(٤)، لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت^(٥).

والعلاء بن الحضرمي^(٦)، كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين، وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حلیم يا علي يا عظیم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضأوا لما عدموا الماء، ولا يبقى^(٧) الماء بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد^(٨).

انظر: الاستيعاب ١٨٤٩/٤ ت (٣٣٥٤). والإصابة ٦٦٤/٧ ت (١١٢١٦).

(١) في المطبوعة: أصاب بصرها اللات والعزى.

(٢) أخرجه: ابن هشام في السيرة، وابن حجر في الإصابة، وعزاها إلى ابن أبي شيبه، وابن عبد البر في الاستيعاب.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٠/١، والإصابة ٦٦٤/٧، والاستيعاب ١٨٤٩/٤.

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو العدوي القرشي، صحابي جليل شهد المشاهد كلها، إلا بدرًا، وكان غائبًا لحاجة أرسله النبي ﷺ إليها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن النبي ﷺ أحاديث، توفي بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها سنة ٥١ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٩٤/٣، الإصابة ١٠٣/٣ ت (٣٢٦٣).

(٤) في المطبوعة: أروى بنت الحكم. وهو خطأ.

هي: أروى بنت أنيس، وفي الحلية أروى بنت أويس، قيل أنها صحابية، وهي التي ادعت عند مروان بن الحكم أن سعيد بن زيد ظلمها أرضها، وكان جارها في العقيق، فدعا عليها فعميت وماتت في بئر لها.

انظر: أسد الغابة ٣٩٢/٥، والإصابة ٤٨٧/٧ ت (١٠٧٨١)، والحلية ٩٦/١.

(٥) رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه وأصله في البخاري.

انظر: صحيح مسلم ج ٣ كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (١٦١٠) ص ١٢٣٠. وصحيح

البخاري ج ٣ كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم الحديث (٣٠٢٦) ص ١١٦٨.

(٦) العلاء بن عبد الله الحضرمي، ولاء النبي ﷺ على البحرين، وأقره أبو بكر ثم عمر، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وكان مجاب الدعوة، وكان له أثر كبير في قتال أهل الردة في البحرين، توفي في طريقه إلى البصرة، أرسله عمر ليكون واليًا عليها وذلك سنة ٢١ هـ.

انظر: أسد الغابة ٧/٤، والإصابة ٥٤١/٤ ت (٥٦٤٦).

(٧) في المطبوعة: لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم. وما أثبت هو الموافق لما جاء في روايات القصة.

(٨) أخرج هذا: أبو نعيم في الحلية ٧/١. ودلائل النبوة ص ٢٠٨. وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٦٩٤. وابن

الزيات في التشوف إلى الرجال التصوف ص ٣٨.

من كرامات التابعين

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني^(١) -الذي ألقى في النار- فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مداها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون^(٢) من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة^(٣)، فقال: اتبعني، فأتبعه^(٤) فوجدها^(٥) قد تعلقت بشيء فأخذها^(٦)، وطلبه الأسود العنسي^(٧) لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائماً يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً^(٨)، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى^(٩) من أمة محمد ﷺ

-
- (١) عبد الله بن ثوب الخولاني -أبو مسلم- تابعي فقيه عابد زاهد ثقة، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وسكن الشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٢ هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٧٥، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٣٥ ت (١٠٦٨).
- (٢) في ج، د، والمطبوعة: فقال تفقدون.
- (٣) المخلاة: أداة يحتش بها الحشيش من بقول الربيع وغيرها، وسميت مخلاة، من الخلا الذي هو موضع الحشيش.
انظر: تهذيب اللغة ٧/ ٧٥٧.
- (٤) في المطبوعة: فتبعته.
- (٥) في أ، والمطبوعة: فوجدتها تعلقت.
- (٦) أخرج هذه القصة: ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٢٠٨، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢٩٥. وابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف ص ٥٢.
- (٧) تقدمت ترجمته في ص ١٣٤.
- (٨) أخرجها: أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٢٨، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٢٠٨، وابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف، ص ٤٢.
- (٩) في أ، ب، ج: أراني.

من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله^(١)، ووضعت له جاريته السم في طعامه وأكله فلم يضره^(٢)، وخببت^(٣) امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت، فجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها^(٤). وكان عامر بن عبد قيس^(٥) يأخذ عطاءه ألفي درهم في كفه، وما يلقاه من سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها^(٦)، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بشيابه فم الأسد، ثم وضع رجله على عنقه، وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحي^(٧) من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرت القافلة^(٨)، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار^(٩)، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه^(١٠).

وتغيب الحسن البصري^(١١) عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله ﷻ فلم يروه^(١٢)، ودعا على بعض الخوارج^(١٣)، كان يؤذهم فخر ميتاً^(١٤).

-
- (١) أخرجها أبو عيم في الحلية ٢/١٢٨، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/٤٠٨، وابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف، ص ٤٢.
- (٢) أخرجها ابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف، ص ٤٤.
- (٣) خببت: أي: أفسدت.
- انظر: المعجم الوسيط ١/٢١٤.
- (٤) ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص ٣٢٢.
- (٥) عامر بن عبد الله القضيبي، المعروف بعامر بن عبد قيس البصري، من سادات التابعين، قيل أدرك الجاهلية، وكان أعبد أهل زمانه وأشدهم اجتهاداً، له مناقب مشهورة، توفي في بين المقدس سنة ٥٥ هـ.
- انظر: أسد الغابة ٣/٨٨، وتهذيب التهذيب ٥/٧٧.
- (٦) أخرجها: ابن المبارك في الزهد، ص ٢٩٥، والقشيري في الرسالة القشيرية ٢/٦٨٨.
- (٧) في ج، د، والمطبوعة: أستحيي.
- (٨) أخرجها: أبو نعيم في الحلية ٢/٩٢.
- (٩) أخرجها: ابن المبارك في الزهد، ص ٢٩٥.
- (١٠) أخرجها: ابن المبارك في الزهد، ص ٢٩٥. والقشيري في الرسالة القشيرية ٢/٧٠٧.
- (١١) تقدمت ترجمته في ٤٨.
- (١٢) لم أقف على شيء من هذا.
- (١٣) تقدم ذكر الخوارج في ص ٥٩.

وصلة بن أشيم^(٢): مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق على منة، ودعا الله ﷻ فأحياه^(٣) له، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ^(٤) سرجه فمات الفرس^(٥)، وجاع مرة بالأهواز^(٦) فدعا الله ﷻ واستطعمه، فوَقعت خلفه دوخلة^(٧) رطب في ثوب حرير، فأكل التمر^(٨) وبقي الثوب عند زوجته زماناً^(٩)، وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير^(١٠).

وكان سعيد بن المسيب^(١١) في أيام الحرة^(١٢) يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ في أوقات الصلاة، وكان المسجد قد خلا فلم يبق فيه غيره^(١٣).

(١) قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٢٢: وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيؤذيه، فلما زاد أذاه، قال الحسن: اللهم قد علمت أذاه لنا، فاكفناه بها شئت، فخر الرجل من قامته، فما حمل إلى أهله إلا ميتاً.

(٢) صلة بن أشيم العدوي، من عدي بن الرباب، وهو عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة، تابعي مشهور، أرسل حديثاً فذكره بعضهم في الصحابة، قتل في سجستان سنة ٣٥هـ. وقيل غير ذلك.

انظر: أسد الغابة ٢٩/٣، والإصابة ٤٦٣/٣ ت (٤١٣٦).

(٣) في ب، والمطبوعة: فأحيا له فرسه.

(٤) في المطبوعة: وأخذ

(٥) أخرجه: المناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/١٢٥، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/٢١٧، وابن المبارك في الزهد، ص ٢٩٥. إلا أنها ذكرها ذهب بغلته وليس موتها.

(٦) الأهواز بلد يقع في جنوب إيران.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي ص ٣٤.

(٧) دوخلة: بتشديد اللام، ونطقها بعضهم بالتحقيق، وهي سقيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب.

انظر: لسان العرب ١١/٢٤٣.

(٨) كلمة (التمر) سقطت من: ب، ج، د.

(٩) أخرجه: أبو نعيم في الحلية ٢/٢٣٩، وابن المبارك في الزهد ص ٢٩٥، والمناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/١٢٥.

(١٠) أخرجه: أبو نعيم في الحلية ٢/٢٤٠، وابن المبارك في الزهد، ص ٢٩٥.

(١١) سعيد بن المسيب بن حزن - أبو محمد - تابعي مشهور، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، وكان ثقة كثير الحديث، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ، وقيل غيرها.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٧٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/١١٩.

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فقال أصحابه^(٣) هلم نتوزع متاعك، فقال لهم أمهلوني هنيهة، ثم توضع فأحسن الوضوء وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه^(٤).

ولما مات أويس القرني^(٥)، وجدوا في ثيابه أكفاناً^(٦) لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه، وكفنوه في تلك الأثواب^(٧).

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد^(٨) يصلي يوماً في شدة الحر فأصلته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم^(٩).

(١) أيام الحرة: هي أيام حصار المدينة من جهة الحرة، وهي مكان بظاهر المدينة، وقد حاصرها يزيد بن معاوية سنة ٦٩ هـ، بقيادة مسلم بن عقبة المري فدخلها عنوة وأسرف هو وجنوده في القتل والسلب والنهب ثلاثة أيام. انظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٣٧.

(٢) أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥/ ١٣٢، والمناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ١١٤.

(٣) في المطبوعة: فقال له أصحابه.

(٤) اسم الرجل: نباتة بن يزيد، وقد أخرج قصته هذه ابن كثير، وفيها أنه توضع وصلى ثم قال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهدًا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد علي منة، فإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري، ثم قام إلى الحمار، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وأجمه، قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع في الكناسة يعني الكوفة.

انظر: البداية والنهاية ٦/ ١٧٥.

(٥) أويس بن عامر القرني، من كبار تابعي الكوفة، وزاهد مشهور، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأصله من اليمن، ثم سكن الكوفة، وكان ثقة، توفي سنة ٣٧ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٣٢، الإصابة ١٥/ ٢١٩ ت (٥٠٠)، وأسد الغابة ١/ ١٥١.

(٦) في ب: أثوابًا.

(٧) أخرجه: أبو نعيم في الحلية ٢/ ٨٣.

(٨) عمرو بن عتبة القرشي، تابعي من أهل الكوفة، مشهور بالتعبد والزهد، وذكر القاضي أبو أحمد العسالي في تاريخه أنه لا يعرف له مسندًا.

انظر: أسد الغابة ٤/ ١٢١، والإصابة ٥/ ٦٨ ت (٦٢٧٤)، والحلية ٤/ ١٥٥.

وكان مطرف بن عبدالله بن الشخير^(٢) إذا دخل بيته سبحت معه آنيته^(٣)، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط^(٤).

ولما مات الأحنف بن قيس^(٥)، وقعت قلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر^(٦).

وكان إبراهيم التيمي^(٧) يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً^(٨)، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه فمر بسهولة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، وكان إذا زرع منها تخرج السنبله من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً^(٩).

وكان عتبة الغلام^(١٠) سأل ربه ثلاث خصال: صوتاً حسناً، ودمعاً غزيراً، وطعاماً من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه^(١١).

(١) أخرجهما: أبو نعيم في الحلية ١٥٧/٢، وابن المبارك في الزهد، ص ٣٠١.

(٢) مطرف بن عبد الله الشخير، تابعي مشهور، ولد في عهد النبي ﷺ وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم، له مناقب كثيرة، قال ابن سعد: كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب، توفي سنة ٨٧ هـ انظر: الإعلام للزركلي ٧/٢٥٠ الإصابة ٦/٢٦٠ ت (٨٣٣٠).

(٣) أخرجهما: الإمام أحمد في الزهد، ص ٢٤١، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/٢٢.

(٤) أخرجهما: الإمام أحمد في الزهد، ص ٢٤١، وأبو نعيم في الحلية ٢/٢٠٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/١٤٤.

(٥) الأحنف بن قيس بن معاوية التيمي السعدي، والأحنف لقب له لحنف كان برجله، واسمه الضحاك وقيل صخر، أدرك النبي ﷺ ولم يره، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل البصرة وقال: كان ثقة مأموناً، وكان يضرب بحلمه المثل، توفي في البصرة سنة ٦٧ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: أسد الغابة ١/٥٥، والإصابة ١/١٨٧ ت (٤٢٩).

(٦) لم أقف على شيء من هذا.

(٧) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي - أبو الأعمش - ذكره ابن الجوزي في التابعين من أهل الكوفة، أسند عن أبيه وغيره، وكان عابداً زاهداً، قال عنه الإمام أحمد: صدوق، توفي في حبس الحجاج سنة ٩٢ هـ.

انظر: صفة الصفوة ٣/٩٠، والزهد، للإمام أحمد ص ٣٦٢.

(٨) أخرجهما: الإمام أحمد في الزهد، ص ٣٦٢، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/٩٠.

(٩) لم أقف على شيء من هذا.

وكان عبد الواحد بن زيد^(٣) أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له أعضائه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده^(٤).

وهذا باب واسع، وقد بسط^(٥) الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن^(٦) عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير^(٧).

مقتضيات الكرامة ومراتب الأولياء في ذلك

ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة^(٨) الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف^(٩) الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري^(١٠) على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظم درجة.

(١) عتبة بن أبان الغلام، وسمي الغلام لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان لا لصغر سنه وهو من نساك أهل البصرة، مات شهيداً في قتال الروم.

انظر: الحلية ٦/٢٢٦.

(٢) أخرجها: أبو نعيم في الحلية ٦/٢٣٦.

(٣) عبد الواحد بن زيد، وقيل: ابن زياد العبدي، أحد الأعلام، يروي عن ليث بن أبي عامر ويونس بن عبيد وغيرهما، ويروي عنه عفان بن مسلم وغيره، وكان شيخ الصوفية في زمنه وأعظم من لحق الحسن وغيره، وكان مجاب الدعوة، قال يحيى بن معين: هو ثقة، ويرى بعضهم أنه ليس بشيء، توفي سنة ١٧٧ هـ.

انظر: شذرات الذهب ١/٢٨٧، والنجوم الزاهدة ٢/٨٧.

(٤) أخرجها: أبو نعيم في الحلية ٦/١٥٥، والقشيري في الرسالة القشيرية ٢/٧٠٦.

(٥) في ب: بسطنا.

(٦) قوله (نحن) سقط من: د.

(٧) في ب: فكثير جداً.

(٨) في ج: حال.

(٩) في ب: ضعيف.

(١٠) في أ، ج: تجري.

أصحاب الأحوال الشيطانية المخالفة للأحوال الإيمانية

وهذا^(١) بخلاف الأحوال الشيطانية.

[ابن صياد]

مثل حال عبد الله بن صياد^(٢) الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له^(٣) فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي ﷺ: «قد خبأت لك خبئاً» قال: الدخ الدخ، وقد كان خبأً له سورة الدخان، فقال له النبي ﷺ: «أخساً فلن تعدو قدرك»^(٤)، يعني إنما أنت من إخوان الكهان.

والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره، أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»^(٥).

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار فقال النبي ﷺ: «ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟» قالوا: كنا

(١) في ب: فهذا. وفي د: سقط اسم الإشارة (هذا).

(٢) عبد الله بن صائد، وهو الذي يقال له ابن صياد، كان أبوه من اليهود ولا يدري من أي قبيلة هو، وهو الذي يقال أنه الدجال، ولد على عهد رسول الله ﷺ أعوراً مختوناً، وقد استأذن عمر بن الخطاب الرسول ﷺ في قتله فقال: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن يكن غيره فلا خير لك في قتله». قال بعض العلماء: لأنه كان في أهل العهد، ويقال أنه أسلم بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي بالمدينة، وقيل فقد يوم الحرة سنة ٦٣ هـ. انظر: أسد الغابة ٣/ ١٨٧، والإصابة ٥/ ١٩٢ ت (٦٦١٤).

(٣) في أ، د: تبين فيما بعد.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم الحديث (٢٨٩٠) ص ١١١٢. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم الحديث (٢٩٢٤) ص ٢٢٤٠.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

انظر: صحيح البخاري ج ٣ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث (٣٠٣٨) ص ١١٧٥. وصحيح مسلم ج ٤ كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (٢٢٢٨) ص ١٧٥٠.

نقول يموت عظيم أو يولد عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرًا سيح حملة العرش ثم سيح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون»^(١).

وفي رواية^(٢): قال معمر^(٣): قلت للزهري^(٤): أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ.

[الأسود العنسي]

والأسود العنسي^(٥) الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة^(٦)، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه^(٧).

(١) انظر: صحيح مسلم ج٤ كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (٢٢٢٩) ص ١٧٥٠. ومسند أحمد ١/٢١٨. وسنن الترمذي ج٥ أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة سبأ، رقم الحديث (٣٢٧٧) ص ٤٠.

(٢) هذه الرواية من مسند أحمد ١/٢١٨.

(٣) معمر بن راشد الأزدي - أبو عروة - كان فقيهاً حافظاً متقناً ورعاً سكن اليمن، وكان من أطلب أهل زمانه للعلم، روى له الجماعة، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة ١٥٢هـ، وقيل غيرها. انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ ت (٤٣٩). والبداية والنهاية ١٠/١٢٨.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري - أبو بكر - أحد الأعلام، من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم، ولد سنة ٥٨هـ، فقرأ القرآن، وكتب الحديث، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه، وقد احتاج أهل عصره إليه، وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهاً جامعاً، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ ت (٧٣٢). والبداية والنهاية ٩/٣٨٣.

(٥) تقدمت ترجمته في ص ١٣٤.

(٦) في ب، ج: الغائبة.

(٧) انظر قصة مقتله في: البداية والنهاية ٦/٣٤٧، والكامل في التاريخ ٢/٣٣٦.

[مسيلمة الكذاب]

وكذلك مسيلمة الكذاب^(١)، كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، ويعينه^(٢) على بعض الأمور.

[الحارث الدمشقي]

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي^(٣) الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان^(٤)، وادعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجله^(٥)، من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا نقرها^(٦) بيده، وكان يرى الناس بجبل قاسيون^(٧) رجالاً وركبائاً على خيل في الهواء، ويقول: هي^(٨) الملائكة، وإنما كانوا جنّاً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله وطعنه فقتله^(٩).

(١) تقدمت ترجمته في ص ١٣٤.

(٢) في أ، ب: وتعينه.

(٣) تقدمت ترجمته في ص ١٣٤.

(٤) عبد الملك بن مروان بن الحكم - أبو الوليد - الأموي أمير المؤمنين ولد ونشأ في المدينة، وكان فقيهاً واسع العلم متعبداً، واستعمله معاوية على المدينة، وهو ابن ١٦ سنة، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ، فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة والهيبة، فكان من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نقلت في عهده الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات، وغير ذلك من الأعمال، توفي سنة ٨٦هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٥، والبداية والنهاية ٩/ ٦٧.

(٥) في د، ج: رجله.

(٦) في أ، والمطبوعة: إذا مسحها.

(٧) في أن والمطبوعة: «يرى الناس رجالاً وركبائاً على خيل»، وجبل قاسيون شمالي دمشق، ويأتي ذكره في ص ٢٤٥.

(٨) في ب: هؤلاء الملائكة.

(٩) ذكر قصته ومقتله ابن الجوزي في تلبس إبليس، ص ٣٧٩.

بعض ما يبطل الأحوال الشيطانية

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ؓ لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة^(١) الفطر، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه، فيقول له النبي ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» فيقول: زعم أنه لا يعود فيقول: «كذبك وإنه سيعود»، فلما كان في المرة الثالثة قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك، إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى آخرها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب» وأخبره أنه شيطان^(٢).

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها^(٣) مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المكاء والتصديفة فتزل^(٤) عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلامًا لا يعلم^(٥)، وربما لا يفقه^(٦) وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بالسنة مختلفة كما يتكلم الجن على لسان المصروع، والإنسان^(٧) الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق^(٨) لم يشعر بشيء مما قال، ولهذا قد يضرب المصروع ضربًا كثيرًا حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المصروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء لأن الضرب كان على الجنى الذي لبسه. ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع.

(١) في ج: صدقة الفطر.

(٢) انظر: صحيح البخاري ج٢ كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل، رقم الحديث (٢١٨٧) ص ٨١٢.

(٣) في ب: أبطلها.

(٤) في أ، ب: فينزل.

(٥) في أ، ب: ولا يعلم به.

(٦) في ج: لا يفقهه.

(٧) في أ، ب: والإنس.

(٨) في د: فارق.

ومنهم من يطير^(١) به الجنى إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما.
ومنهم من تحمله^(٢) عشية عرفة ثم تعيده من ليلته، فلا يحج حجاً شرعياً، بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى^(٣) الميقات ولا يلبي، ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار، بل يقف بعرفة بثيابه، ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج مشروع باتفاق المسلمين، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة.
ومن هؤلاء المحمولين من حمل مرة إلى عرفات ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج، فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج، يعني لم تحج حجاً شرعياً.

بعض الفروق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية

وبين^(٤) كرامات الأولياء وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة، منها: أن كرامات الأولياء^(٥) سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية يكون^(٦) سببها ما نهى الله عنه ورسوله، ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله^(٧).

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقول على الله بغير علم^(٨)، والشرك، والظلم، والفواحش، قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى، ولا يستعان بالكرامات عليها.

(١) في ب: يطيره.

(٢) في المطبوعة: يحمله.

(٣) في أ، ب: إذا جاء.

(٤) في ب: والفرق بين كرامات.

(٥) في أ، ج: أولياء الله.

(٦) قوله (يكون) سقط من: المطبوعة.

(٧) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.

(٨) في أ، ج: بلا علم.

فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها شرك، كالاتغاثة بالمخلوقات أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية.

صور من الأحوال الشيطانية

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصديّة ينزل^(١) عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط، كما جرى هذا لغير واحد. ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر^(٢)، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانته على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى. وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب^(٣) يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل إلى زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار، كما يصنع^(٤) كفار الهند، فيظنون أنه عاش بعد موته.

(ومن هؤلاء شيخ كان بمصر، أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني، فأن أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله - أي غسل الميت - غاب، وكان ذلك شيطاناً، وكان قد أضل الميت، وقال: إنك

(١) في د، والمطبوعة: يتنزل.

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٢.

(٣) في أ، ج: والغرب وغيرها.

(٤) في المطبوعة: تصنع.

بعد الموت تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء، كما أغوى الميت قبل ذلك^(١).

ومنهم من يرى عرساً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ذلك^(٢).

ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة، يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، وقد من الشياطين^(٣)، وقد جرى هذا لغير واحد.

ومنهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقدها الميت، وإنما هو جني تصور بتلك الصورة.

ومنهم من يرى فرساً قد خرج من قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطاناً. وكل من قال: إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً^(٤).

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر -إما الصديق ﷺ- أو غيره قد قص شعره أو حلقة أو ألبسه طاقيته أو ثوبه، فيصبح وعلى رأسه طاقية، وشعره مخلوق أو مقصوص^(٥)، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصوه^(٦).

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة.

درجات أصحاب الأحوال الشيطانية

وهم درجات والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم^(٧).

(١) ما بين القوسين سقط من: هـ، والمطبوعة.

(٢) اسم الإشارة (ذلك) سقط من: ب، والمطبوعة.

(٣) قوله: (ويكون من الشياطين) سقط من: المطبوعة.

(٤) في أ، ج: إلاجنياً.

(٥) في هـ، والمطبوعة: أو مقصر.

(٦) في هـ، والمطبوعة: أو قصره.

(٧) في المطبوعة: من جنسهم وعلى مذهبهم.

والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً، دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال.

معاونة الشياطين لمن يطيعهم ويوافقهم في أنواع الكفر والمعاصي

وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي، أو غيرهن، ويكتبهن^(١) بنجاسة، فيغورون له الماء، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي، إما في الهواء، وإما مدفوعاً ملجأً إليه. إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها، والإيمان بها إيمان بالجبوت والطاغوت. والجبوت: السحر، والطاغوت: الشياطين والأصنام، وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول^(٢) معه في ذلك أو مسالته. ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة^(٣) في المساجد التي هي بيوت الله، كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية.

تعظيم القبور سبيل أهل الشرك والبدع

وكان أهل الشرك والبدع -الذين^(٤) يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت، أو يدعون به، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب- أقرب إلى الأحوال الشيطانية، فإنه ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٥).

(١) في ج، د: ويكتبها.

(٢) في أ، والمطبوعة: لم يمكنهم الدخول معه.

(٣) في ب: مشروعة. ولا يفهم من كلام المؤلف أن العبادة المشروعة مقصورة في المساجد، ومن يفهم هذا فقد أخطأ، وإنما معناه أن المساجد لما كانت محلاً للعبادة المشروعة كان عمارها أبعد عن الأحوال الشيطانية، بخلاف المقابر مثلاً فإن العبادة عندها مبتدعة لا مشروعة ولهذا كان أهلها أقرب إلى الأحوال الشيطانية.

(٤) الاسم الموصول (الذين) سقط من: أ، والمطبوعة.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

النهى عن اتخاذ القبور مساجد

وثبت في صحيح مسلم عنه أنه قال - قبل أن يموت بخمس ليال-: «إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر، أن من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»^(١).

وفي الصحيحين عنه أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»^(٢).

وفي المسند، وصحيح^(٣) أبي حاتم^(١) عنه ﷺ قال: «إن من شرار الناس^(٢) من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين اتخذوا القبور مساجد»^(٣).

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم الحديث (١٢٦٥)، ص ٤٤٦. وصحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٢٩) ص ٣٧٧.

(١) رواه مسلم عن جندب بن عبد الله.

انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٣٢) ص ٣٧٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

انظر: صحيح البخاري ج ١ كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، رقم الحديث (١٢٧٦)، ص ٤٥٠. وصحيح مسلم ج ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٢٨) ص ٣٧٥.

(٣) وهو المعروف بصحيح ابن حبان. واسمه كاملاً (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها). وهو يقع في تسع مجلدات مخطوطة. وقد حقق أوله أحمد شاكر، وقال في مقدمته: «صحيح ابن حبان كتاب نفيس جليل الدر، عظيم الفائدة، حرره مؤلفه أدق تحرير، وجوده أحسن تجويد، وحقق أسانيده ورجاله، وعلل ما يحتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، وتوثق من صحة كل حديث اختاره على شرطه ما أظنه أخلاً بشيء مما التزم إلا ما يخطئ فيه البشر، وما لا يخلو منه عالم محقق». وتوفي أحمد شاكر رحمته ولم يكمل تحقيقه، وبدأه الأرنبوط وحقق منه مجلداً، وفي مقدمته أورد أقوال العلماء فيه وفي منزلته، وأن منهم من قال أنه أصح من ابن ماجه.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»^(٤).

وفي الموطأ عنه ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٥).

وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٦).

وقال ﷺ: «ما من رجل يسلم علي إلا ردَّ الله علي روحي حتى أرد ﷺ»^(٧).

وقال ﷺ: «إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام»^(٨).

انظر: صحيح ابن حبان (تحقيق أحمد شاكر ١/ ١١)، و(تحقيق الأرئوط ١/ ٣٨).

(١) تقدمت ترجمته في ص ١٥٦.

(٢) في أ، المطبوعة: الخلق.

(٣) رواه أحمد عن ابن عباس، المسند ١/ ٤٣٥. وابن حبان في موارد الظمان ص ١٠٤.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي مرثد الغنوي.

انظر: صحيح مسلم ج ٢ كتاب الجائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، رقم الحديث (٩٧٢) ص ٦٦٨. وسنن أبي داود ج ٣ كتاب الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر، رقم الحديث (٣٢٢٩) ص ٥٥٤. وسنن الترمذي ج ٢ أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية الوطء على القبور والجلوس عليها، رقم الحديث (١٠٥٥) ص ٢٥٧. وسنن النسائي ج ٢ كتاب القبلة، النهي عن الصلاة إلى القبر ص ٦٧.

(٥) رواه مالك عن عطاء بن يسار، مرسلاً، ورواه أحمد عن أبي هريرة، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

انظر: موطأ مالك ج ١ كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، رقم الحديث (٨٥) ص ١٧٢. والمسند بتحقيق أحمد شاكر ج ١٣، رقم الحديث (٧٣٥٢) ص ٨٦.

(٦) رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، بإسناد حسن، ورواته ثقات.

انظر: المسند ٢/ ٣٦٧، وسنن أبي داود ج ٢ كتاب المناسك باب زيارة القبور، رقم الحديث (٢٠٤٢) ص ٥٣٤. وانظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٣٠٤.

(٧) رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، وقد بين المؤلف في اقتضاء الصراط المستقيم بأنه على شرط مسلم.

انظر: المسند ٢/ ٥٢٧، وسنن أبي داود ج ٢ كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم الحديث (٢٠٤١) ص ٥٣٤. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم بتحقيق د. ناصر العقل ٢/ ٦٥٨.

(٨) رواه أحمد والنسائي والدارمي عن ابن مسعود.

انظر: المسند ١/ ٣٨٧. وسنن النسائي ج ٣ كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ ص ٤٣. وسنن الدارمي ج ٢ كتاب الرقائق، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ ص ٣١٧.

وقال ﷺ: «أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلواتكم معروضة علي». قالوا: يا رسول كيف تعرض صلواتنا عليك وقد أرممت؟ - يقولون: بليت- فقال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء»^(١).

وقد قال - تعالى- في كتابه عن المشركين من قوم نوح ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وقال ابن عباس وغيره من السلف: «هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان»^(٢).

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها^(٣)، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ، والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة للمشركين، فسد هذا الباب.

صور من مكر الشيطان بأهل الشرك والبدع

والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها، كما يفعل^(٤) أهل الكواكب، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو الشيطان.

(١) رواه أبو داود وابن ماجه عن أوس بن أوس، وإسناده صحيح.

انظر: سنن أبي داود ج١ كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، رقم الحديث (١٠٤٧) ص ٦٣٥. وسنن ابن ماجه ج١ كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ رقم الحديث (١٦٣٦) ص ٥٢٤. وانظر: رياض الصالحين ص ٤٦١.

(٢) ذكره القرطبي وابن كثير عن ابن عباس وغيره.

انظر: تفسير القرطبي ٣٠٧/١٨. وتفسير ابن كثير ٣٧٢/٤.

(٣) روى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها فتصلوا عند ذلك».

انظر: صحيح مسلم ج١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب لا تتحروا بصلواتكم طلوع الشمس ولا غروبها، رقم الحديث (٢٩٦) ص ٥٧١.

(٤) في أ، ج: يفعله.

والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده فإنه يضره اضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر^(١)، إلا أن يتوب الله عليه.

(وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميت أو غائب)^(٢)، وكذلك من دعا الميت أو دعا به، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد، ويروون حديثاً وهو^(٣) كذب باتفاق أهل المعرفة: «إذا أعيتمكم الأمور^(٤) فعليكم بأصحاب القبور»، وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك.

ويوجد لأهل الشرك وأهل البدع المشبهين^(٥) بهم، من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين، أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات، وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل^(٦) عند القبر فيجدونه قد انعقد^(٧)، أو يضعوا عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلهم.

وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال: لا إله إلا الله فسقط، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان^(٨)، وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضوع.

الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع

ولما كان^(٩) الانقطاع إلى المغارات والبوادي^(١٠) من البدع التي لم يشرعها الله ورسوله^(١١)، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات والجبال، مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون^(١٢)، وجبل لبنان

(١) في د: إلى الشرك.

(٢) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٣) في المطبوعة: هو.

(٤) في المطبوعة: إذا أعيتمكم المعرفة.

(٥) في هـ، والمطبوعة: ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المشبهين بهم.

(٦) في أ، د: سرايلاً.

(٧) في ب، ج: قد عقد.

(٨) في ج، د: وإنما هو شيطان.

(٩) في المطبوعة: ولما كان هذا الانقطاع.

(١٠) في د: النوادي.

الذي بساحل الشام^(٣)، وجبل الفتح بأسوان^(٤) بمصر، وجبال الروم^(٥) وخراسان^(٦)، وجبال بالجزيرة^(٧)، وغير ذلك، وجبل اللكام^(٨)، وجبل الأحيش^(٩)، وجبل سيلان^(١٠) قرب أردبيل، وجبل سهل^(١١) عند تبريز، وجبل ماشكو عند^(١٢) أتشوان، وجبل نهاوند^(١٣)، وغير ذلك^(١) من الجبال التي

(١) في المطبوعة: ولا رسوله.

(٢) جبل قاسيون: شمالي دمشق، ومغارة الدم، مشهورة بأنها المكان الذي قتل قابيل أخاه هاويل عندها.

انظر: قصص الأنبياء للنجار، ص ٢٢.

(٣) هو جبل مطل على حمص، يجيء من الحجاز حتى يتصل بالشام، فما كان في فلسطين فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن فهو جبل الخليل، وما كان بدمشق فهو جبل سنير، وما كان حلب وحماة وحمص فهو جبل لبنان، ويتصل بأنطاكية والمصيصة فيسمى هناك جبل اللكام، ويمتد إلى بحر الخرز فيسمى هناك القبق.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١١ / ٥.

(٤) قوله (بأسوان) هي من: هـ، والمطبوعة.

(٥) في هـ، والمطبوعة: بالروم. ودولة الروم في ذلك الوقت هي الإمبراطورية الرومية الواقعة شرق البحر المتوسط.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٧.

(٦) خراسان هي إيران حالياً.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ١١.

(٧) هناك عدة مناطق يطلق عليها اسم الجزيرة، منها جزيرة العرب المعروفة، وبلاد ما بين النهرين في العراق، والجزيرة في سوريا، ولعل المؤلف أراد هذه الأخيرة.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ١١، ٣٧.

(٨) جبل اللكام: انظر: جبل لبنان.

(٩) لم أقف على شيء عنه.

(١٠) في النسخ: جبل سولان، والصحيح سيلان، بفتح أوله وثانيه، وهو جبل شمال غرب إيران، وأردبيل بلدة عنده.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٣٥.

(١١) في ب: جبل سهل. وفي باقي النسخ: جبل شهنك. وهذا الأخير لم أقف عليه، وأما جبل سهل فهو جبل معروف في بلاد الشام، وتبريز بلدة شمال غرب إيران.

انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٣٥، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ٢٩٠.

(١٢) لم أقف على شيء من هذا.

(١٣) نهاوند: مدينة عظيمة تقع في إيران وقد فتحها المسلمون سنة ٢٠ هـ.

انظر: معجم البلدات لياقوت الحموي ٥ / ٣١٣.

يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الإنس صالحين^(٢)، ويسمونهم رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن.

فالجن^(٣) رجال كما أن الإنس^(٤) رجال، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ومن هؤلاء من يظهر بصورة شعرائي جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه^(٥) أنه إنسي، وإنما هو جنني.

ويقال بكل جبل من هذه الجبال الأربعون، وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن هذه الجبال، كما يعرف ذلك بطرق متعددة^(٦).

وهذا باب^(٧) لا يتسع هذا الموضوع لبسطه وذكر ما نعرفه من ذلك فإننا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب^(٨) لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل^(٩) ذلك.

أقسام الناس في خوارق العادات

والناس في خوارق العادات^(١٠) على ثلاثة أقسام:

قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدق به^(١١) مجملاً، وكذب ما يذكر^(١٢) له عن كثير من الناس، لكونه عنده ليس من الأولياء.

(١) في ب، د: سقط من قوله (وجبل اللكام) إلى قوله (وغير ذلك).

(٢) في أ، والمطبوعة: رجالاً من الصالحين من الإنس.

(٣) في ب: فللجن.

(٤) في ب: كما للإنس.

(٥) في أ، ج: من لا يعرف.

(٦) تقدم حديث الأبدال في ص ٥٧، وكلام الشيخ عليه وأنه لا يثبت.

(٧) في ب: باب واسع لا يتسع.

(٨) في ج: كتبت.

(٩) في ج: جل ذلك.

(١٠) في ب: العادة.

ومنهم من يظن أن كل من^(٣) كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله، وكلا الأمرين خطأ، ولهذا نجد^(٤) هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء^(٥) يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة.

والصواب القول الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنهم لا من أولياء الله ﷻ كما^(٦) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وهؤلاء^(٧) العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقتزن^(٨) بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً (وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم)^(٩)، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ومن الاثم ما يناسب حال الشياطين المقتربة به^(١٠)، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين، قال الله تعالى:

﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

والآفاك: الكذاب^(١١)، والأثيم: الفاجر.

(١) في أ، ج: بها.

(٢) في أ، هـ، والمطبوعة: ما يذكر.

(٣) في هـ، والمطبوعة: كل ما كان.

(٤) في أ، والمطبوعة: تجد.

(٥) في ب: قرناء، وفي ج، و: خفراء.

(٦) في هـ، ب، ج: بل كما قال تعالى.

(٧) في د: ومن هؤلاء.

(٨) في د: من تقتزن.

(٩) ما بين القوسين سقط من: ب.

(١٠) في هـ، والمطبوعة: بهم.

(١١) قوله (والآفاك الكذاب) سقط من: ب.

مما يقوي الأحوال الشيطانية

ومن أعظم^(١) ما يقوي الأحوال الشيطانية سماع الغناء، والملاهي، وهو سماع المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما من السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير»^(٢)، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة.

وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة^(٣) والقراءة والذكر والدعاء^(٤)، ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط، لا بكف ولا بدف، ولا تواجد ولا سقطت برده، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه^(٥).

وكان^(٦) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا^(٧) واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري^(٨): «ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون، ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له: «مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أسمع لقراءتك»، فقال: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحميراً^(٩)، أي: لحسنه لك تحسیناً، كما قال النبي

(١) في أ، ج: ومما يقوي.

(٢) أورده الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ١٣/٥٢٣.

(٣) في أ، ج: الصلوات.

(٤) قوله (والدعاء) سقط من: ج، والمطبوعة.

(٥) تقدمت القصة المكذوبة في هذا الخصوص في ص ٥٩.

(٦) في أ، د: فكان.

(٧) في ب: أمر.

(٨) عبد الله بن قيس بن سليم - أبو موسى الأشعري - قدم المدينة بعد فتح خيبر، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض اليمن، واستعمله عمر على البصرة، واستعمله عثمان على الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه بعض الصحابة والتابعين، وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان من أهل العلم، وهو الذي فقه أهل البصرة، وأقرأهم، توفي سنة ٤٢ أو ٤٤ هـ بالكوفة وقيل مكة.

انظر: أسد الغابة ٣/٢٤٥، والإصابة ٤/٢١١ ت (٤٩٠١).

(٩) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم، وقال حديث صحيح الإسناد، ورواه مسلم عن أبي موسى الأشعري باختلاف في بعض ألفاظه، وأصله في البخاري.

ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١)، وقال ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ أذْنًا - أَي اسْتِمَاعًا - إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ»^(٢)، وقال ﷺ لابن مسعود: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، فقال: «أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟» فقال: «إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْ غَيْرِي». قال: فقُرأت عليه سورة النساء حتى انتهت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٣)، قال: «حَسْبُكَ» فإذا عيناه تذرْفان من البكاء^(٤).

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين^(٥) وأتباعهم، كما ذكر الله ذلك في القرآن، فقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٦) [مريم: ٥٨].

وقال في أهل المعرفة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

انظر: المستدرک ٣/٤٦٦، وصحيح مسلم ج١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت في القرآن، رقم الحديث (٧٩٣) ص ٥٤٦. وصحيح البخاري ج٣ كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم الحديث (٤٧٦١) ص ١٩٢٥.
(١) رواه أبو داود والدارمي والحاكم عن البراء بن عازب.

انظر: سنن أبي داود ج٢ كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم الحديث (١٤٦٨) ص ١٥٥. وسنن الدارمي ج٢ كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ص ٤٧٤. والمستدرک ١/٥٧١.
(٢) رواه ابن ماجه والحاكم عن فضالة بن عبيد، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ولم يوافقه الذهبي.

انظر: سنن ابن ماجه ج١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، رقم الحديث (١٣٤٠) ص ٤٢٥، والمستدرک ١/٥٧١.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

انظر: صحيح البخاري ج٤ كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، رقم الحديث (٤٧٦٢) ص ١٩٢٥. وصحيح مسلم ج١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، رقم الحديث (٨٠٠) ص ٥٥١.

(٤) في أ، د: سماع المتقين.

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان واقشعرار الجلد ودمع العين، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

[السماع المحدث]

وأما السماع المحدث: سماع الكف والدف والقضيب^(١)، فلم يكن^(٢) الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقاً إلى الله -تبارك وتعالى-، ولا يعدونه^(٣) من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة، حتى قال الشافعي^(٤): «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة^(٥) يسمونه التبغير^(٦)، يصدون به الناس عن القرآن»^(٧). وأولياء الله العارفون^(٨) يعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم.

(١) في أ، هـ، والمطبوعة: والقضب.

(٢) في هـ، والمطبوعة: تكن.

(٣) في د: ولا يعدوه.

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٧٩.

(٥) تقدم تعريف الزنادقة في ص ٩٩.

(٦) في ب، د، هـ: التبغير. والمغبرة قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع، وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله ﷻ تبغيراً، كأنهم إذا تناشده بالألحان طربوا فرقصوا، فسموا مغبرة لهذا المعنى. وقال الزجاج: سموا مغبرين لتزهدهم الناس في الفانية وهي الدنيا، وترغيبهم في الآخرة الباقية. انظر: لسان العرب ٥/٥.

(٧) ذكر هذا الأثر عن الشافعي ابن الجوزي في تلبس إبليس، ص ٢٣٠. وابن قدامة المقدسي في ذم ما عليه مدعو التصوف، ص ٧.

(٨) في هـ، والمطبوعة: وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون.

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر. وهو بمنزلة الخمر [بل هو] يؤثر في النفوس اعظم من تأثير الخمر، ولهذا إذا قويت سكرة^(١) أهله نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت على السنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل بينهم عداوة، كما تحصل بين شراب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه. ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هذا مبعث لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله، فكيف يكون قتل معصوم الدم مما يكرم الله به أولياءه؟! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يجب ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته.

أجناس الخوارق

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك، كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى.

وجميع ما يؤتیه الله لعبده من هذه الأمور وغيرها^(٢) إن استعان به على ما يجب الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله وعلت درجته. وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله، كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله^(٣) تعالى بتوبة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين.

ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها، كما يعزل الملك عن ملكه، ويسلب العالم علمه، وتارة بسلب التطوعات فينقل^(٤) من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهذا يكثر^(٥) فيمن له خوارق شيطانية، فإن كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام.

(١) في أ، ج: قوي سكر.

(٢) قوله (وغيرها) سقط من: المطبوعة.

(٣) في ب: فإن لم يتداركه بتوبة.

(٤) في ب، ج: فينتقل.

(٥) في ب، هـ، والمطبوعة: وهذا يكون.

وكثير منهم لا يعرف أن هذه من الشياطين^(١)، بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله ﷻ إذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن ظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً لم يحاسبه عليه.

ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة، لا مأمور بها ولا منهي عنها، فهذا يكون من عموم الأولياء، وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك.

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل^(٢) ذلك، ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقه، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المرید السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همته، ولا يتبجح^(٣) بها مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها؟!

[بعض الخوارق التي هي من مكر الشيطان]

فإني أعرف من تخاطبه النباتات^(٤) بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، ومنهم من^(٥) يخاطبه الحجر والشجر وتقول هنيئاً لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، ومنهم من^(٦) يقصد صيد الطيور^(٧) فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس^(٨) ويخاطبه بمثل ذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد

(١) في هـ، والمطبوعة: إن هذه شيطانية.

(٢) في د: يتوب من ذلك.

(٣) في ب، د: ولا يحتج.

(٤) في ج: البنات.

(٥) في هـ، والمطبوعة: وأعرف من يخاطبهم.

(٦) في هـ، والمطبوعة: وأعرف من يقصد.

(٧) في هـ، والمطبوعة: الطير.

(٨) في هـ، والمطبوعة: الإنس ويخاطبه بذلك.

أدخلته وأخرجته بسرعة، وترية^(١) أنوارًا، وتحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي^(٢) الذي بشر به النبي ﷺ ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، وفي المواشي^(٣) فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا وشمالًا ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد، من غير حركة منه في الظاهر، ويحمل^(٤) إلى مكة، ويأتي^(٥) به ويأتيه^(٦) بأشخاص في صورة جميلة^(٧) ويقول^(٨) له هذه^(٩) الملائكة الكروبيون^(١٠) أرادوا زيارتك فيقول في نفسه كيف تصوروا بصورة المردان فيرفع رأسه فيجدهم بلحي، ويقول له علامة أنك المهدي أن تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراهما، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان.

(١) في هـ، والمطبوعة: أو تربه.

(٢) المشهور بين كافة المسلمين على مر العصور أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة على أثره، وأن عيسى ﷺ ينزل من بعده فيقتل الدجال أو يساعده على قتله، ويأتي بالمهدي في صلاته. وقد أخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة، منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبخاري والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي. وقال الشوكاني في الفتح الرباني: «الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثًا وثمانية وعشرون أثرًا»، ثم سردها وتكلم عليها ثم قال: «وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر لا يخفى على من له فضل اطلاع».

انظر: بين يدي الساعة، لعبد الباقي أحمد ص ١٠٦.

(٣) قوله: (وفي المواشي) سقط من: المطبوعة.

(٤) في د، والمطبوعة: بالتاء بدلًا من الياء.

(٥) في د، والمطبوعة: بالتاء بدلًا من الياء.

(٦) في د، والمطبوعة: بالتاء بدلًا من الياء.

(٧) في ب: في صورة خيل.

(٨) في د، والمطبوعة: بالتاء بدلًا من الياء.

(٩) في ج، د: هؤلاء.

(١٠) الكروبيون: هم سادة الملائكة، وهم المقربون، وأصل الاسم مشتق من الكرب وهو الشدة.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ٤/ ٣٨٨.

وهذا باب^(١) لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير.

وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

قال الله -تبارك وتعالى-: (كلا) ولفظ كلا، فيها زجر وتنبية عن مثل هذا القول وتنبية على ما يجبر به ويأمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من^(٢) حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله ﷻ مكرماً لها ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك، بل هو سبحانه يتبلي عبده بالسراء والضراء، فقد^(٣) يعطي النعم الدنيوية لمن لا يجبه، ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يجمي منها من يجبه ويواليه، لثلا ينقص بذلك مرتبته عنده،^(٤) أو يقع بسببها فيما يكرهه منه^(٥).
وأيضاً فكرامات^(٦) أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى.

[بعض الدلائل التي تعرف بها الأحوال الشيطانية]

فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه^(٧) لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وإنما تحصل عند الشرك، مثل دعاء الميت أو^(٨) الغائب، أو بالفسق والعصيان، وأكل المحرمات، كالحبائث^(٩) مثل الحيات والزنابير والخنفافس والدم، وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحاله و^(١٠) خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى^(١١) عند سماع مزامير

(١) في هـ، والمطبوعة: وهذا باب واسع.

(٢) في المطبوعة: ما.

(٣) في د: فهو يعطي.

(٤) قوله (عنده) سقط من: د.

(٥) قوله (منه) سقط من: ب.

(٦) في هـ، والمطبوعة: كرامات.

(٧) في أ، د: كراماته.

(٨) في أ، هـ، والمطبوعة: والغائب.

(٩) في هـ، والمطبوعة: كالحيات والزنابير.

(١٠) في هـ، والمطبوعة: وحالة خوارقه.

الشیطان، فیرقص لیلاً طویلاً، وإذا^(٢) جاءت الصلاة صلی قاعداً، أو ینقر الصلاة نقر الیدیك^(٣) وهو ینغض سماع القرآن وینفر عنه، أو یتكلفه^(٤) لیس له فیه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده^(٥)، ویحب سماع الماء والتصدية، ویجد عنده مواجید فهذه أحوال شیطانية، وهو ممن یتناوله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

فالقرآن^(٦) هو ذكر الرحمن، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٢٦] ﴿﴾
[طه: ١٢٤-١٢٦].

يعني^(٧) تركت العمل بها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشفى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية»^(٨).

(١) في ب، ج: ويقوى.

(٢) في أ، والمطبوعة: فإذا.

(٣) ورد تشبيهه من لا يطمئن في ركوعه وسجوده بنقر الیدیك. فقد روى أنس بن مالك عن الرسول ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بصلاة المنافق؟ يدع العصر حتى إذا كانت بين قرني الشيطان أو على قرني الشيطان قام فنقرها نقرات الیدیك، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً».

انظر: المسند ٣/ ٢٤٧.

(٤) في هـ، والمطبوعة: ویتكلفه.

(٥) في ب: وجوده.

(٦) في ب: والقرآن.

(٧) في د: أي.

(٨) أي: الآية السابقة. وقد ذكر هذا الأثر ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤٧.

الفصل الرابع عشر

عموم رسالة محمد ﷺ لجميع الثقيلين

ومما يجب أن^(١) يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ رسولا^(٢) إلى جميع الانس والجن، فلم يبقى إنسي ولا جني إلا ويجب^(٣) عليه الإيـان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر سواء كان إنسياً أو جنياً.

فمحمد^(٤) ﷺ مبعوث إلى الثقيلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن القرآن^(٥) وولوا إلى قومهم منذرين، لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة^(٦) لما رجع من^(٧) الطائف، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]^(٨).

(١) في ب: ومما يجب على كل أحد.

(٢) قوله (رسولاً) سقط من هـ، والمطبوعة.

(٣) في ب، والمطبوعة: وجب.

(٤) في هـ، والمطبوعة: ومحمد.

(٥) في المطبوعة: للقرآن.

(٦) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.

انظر: فتح الباري ١٨ / ٣٢٠.

(٧) وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين. كما ذكره ابن كثير في تفسيره ٤ / ١٤٥.

(٨) وقد ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآيات ما ورد عن استماع الجن للقرآن، وفصل القول فيه ٤ / ١٤٤.

وأُنزل^(١) الله بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ سَطَطًا ۚ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ﴾ [الجن: ١-٦].

أي: السفية منا في أظهر أقوال العلماء^(٢).

وقال غير واحد من السلف: «كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعود بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فلما استعادت^(٣) الإنس بالجن^(٤) ازدادت الجن طغيانًا وكفرًا^(٥)» كما قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۖ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۗ﴾ [الجن: ٦-٨].

[تغليظ الشهب بعد مبعث الرسول ﷺ]

وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن، لكن كانوا أحيانًا يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا، كما قالوا:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ﴾ [الجن: ٩].

(١) في ب: ثم أنزل.

(٢) والقول الثاني في: (سفيهنا): إنه إبليس. وقد ذكر هذه الأقوال: القرطبي في تفسيره ٩/١٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٣٧٨، وابن كثير في تفسيره ٤/٣٧٤.

(٣) في أ، هـ، والمطبوعة: استغاثت.

(٤) في المطبوعة: والجن.

(٥) ذكر ذلك: الطبري في تفسيره ٢٩/١٠٨، وابن كثير ٤/٣٧٤.

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

قالوا: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٠-١١].

أي: على مذاهب شتى، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرک واليهودي والنصراني والسني والبدعي.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن: ١٢].

أخبروا أنهم لا يعجزونه لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه:

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٤﴾ وَأَنَا مِنَّا

الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٣-١٤].

أي: الظالمون، يقال: أقسط: إذا عدل، وقسط: إذا جار^(١).

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٦﴾ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٧﴾ لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾ وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن: ١٤-٢٤].

سماع الجن للقرآن

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جن نصيين^(٢) كما ثبت ذلك^(١) في الصحيح من حديث^(٢) ابن مسعود.

(١) في المطبوعة: جار وظلم.

(٢) نصيين: بالفتح ثم الكسر: مدينة تقع في دمشق والموصل، فتحها المسلمون سنة ١٧ هـ.

وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن، وكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد^(٣).

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوا بهم فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم»، قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن»^(٤)، وهذا النهي ثابت عن وجوه متعددة^(٥)، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا فإذا منع من الاستنجاء بما أعد للجن^(٦) ولدوا بهم فما أعد للإنس ولدوا بهم من الطعام والعلف أولى وأحرى.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٢٨٨.

(١) قوله (ذلك) سقط من: ب د.

(٢) روى مسلم عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل شهد أحد منكم رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكن كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: أستطير أو أغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها القوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها القوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم». ومن طريق آخر عن ابن مسعود أنهم جن نصيين.

انظر: صحيح مسلم ج ١ كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم الحديث (٤٥٠) ص ٣٣٢. وكذلك تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٦.

(٣) رواه سنن الترمذي عن جابر، وقال: حديث غريب. ورواه ابن جرير عن ابن عمر.

انظر: سنن الترمذي ج ٥ أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الرحمن، رقم الحديث (٣٣٤٥) ص ٧٣. وتفسير ابن جرير الطبري ٢٧/ ٧٢. وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير ٤/ ١٥١.

(٤) هذا طرف من حديث ابن مسعود السابق.

(٥) جاء النهي عن الاستنجاء بما أعد للجن ودوابهم عن ابن عباس وابن مسعود من وجوه متعددة. ذكرها الزيلعي في نصب الراية ١/ ١٣٧-١٤٨.

(٦) في هـ، والمطبوعة: بما للجن.

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدرًا عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان ﷺ، فإنهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله^(١) به، لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد^(٢) الرسول فوق منزلة النبي الملك. وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم^(٣) فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة.

وجمهور العلماء على أن الرسل من الإنس، ولم يبعث من الجن رسول، لكن منهم النذر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر^(٤).

أحوال الجن مع الإنس

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

[الحالة الأولى]

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله، من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه.

[الحالة الثانية]

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة^(٥) له، فهو^(٦) كمن استعمل الإنس في أمور مباحة^(٧) له، وهذا إذا^(٨) كان يأمرهم بما يجب عليهم، وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون^(٩) بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك.

(١) في أ، والمطبوعة: بما أمر الله به ورسوله.

(٢) في ب: الولي.

(٣) في د: وأما المؤمنون منهم.

(٤) من ذلك ما في كتاب النبوات للمؤلف، ص ٢٦.

(٥) في ب: مباحات له.

(٦) قوله (فهو) سقط من: د.

(٧) في ب: مباحات له.

(٨) في هـ، والمطبوعة: وهذا كأن.

وهذا^(٢) إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى، (فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تعالى)^(٣) مثل النبي الملك مع العبد الرسول، كسليمان ويوسف مع إبراهيم وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

[الحالة الثالثة]

ومن كان يستعمل الجن فيما نهى^(٤) الله عنه ورسوله، إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليه^(٥) بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وذكر الله^(٦)، وغير ذلك من ظلمه^(٧)، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص، إما فاسق وإما مذنب غير فاسق.

تنوع مكر الشيطان بأوليائه بحسب حالهم من الجهل والكفر والشرك

وإن^(٨) لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على^(٩) أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، أو^(١٠) أن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به. وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء^(١١) الله لهم كرامات خوارق للعادات، وليس عنده من^(١٢) حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية، وبين التليسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده.

(١) قوله (فيكون) سقط من: أ، ج، د.

(٢) في المطبوعة: هذا.

(٣) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٤) في هـ، والمطبوعة: ينهى.

(٥) في هـ، والمطبوعة: عليهم.

(٦) قوله (وذكر الله) سقط من: ب، والمطبوعة.

(٧) قوله (من ظلمه) سقط من: هـ، والمطبوعة.

(٨) في ب: ومن لا يكون تام.

(٩) في هـ، والمطبوعة: على الحج أو أن يطيروا.

(١٠) في هـ، والمطبوعة: وأن يحملوه.

فإن كان مشركاً يعبد الكواكب أو ^(٣) الأوثان، أو هوموه أنه ينتفع ^(٤) بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن ^(٥) صور ذلك الصنم على صورته، من ملك أو نبي أو شيخ صالح، (فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح) ^(٦)، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

ولهذا لما كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم، ليكون سجودهم ^(٧) له.

ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانياً وقد ^(٨) استغاث بجرجس ^(٩) أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به، وإن كان منتسباً إلى الإسلام، وقد ^(١٠) استغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في من يعظمه ذلك المشرك.

(١) في ب، ج: أن لأولياء الله كرامات.

(٢) في ج، والمطبوعة: عندهم من حقائق.

(٣) في هـ، والمطبوعة: والأوثان.

(٤) في د: أن يشفع.

(٥) في المطبوعة: ممن.

(٦) ما بين القوسين سقط من: ب.

(٧) قوله (ليكون سجودهم) سقط من: ب.

(٨) قوله (قد) سقط من: المطبوعة.

(٩) جرجس: الصيغة العربية لاسم شائع بين النصارى، ومن صورة الأخرى: جورجيس، وجورج، وجيورج، وجريجوري. ومن اشتهر بهذا الاسم: مارجرجس، أو القديس جورج، أو جاور جيوس، ولد سنة ٢٠٨م، وتوفي سنة ٣٠٣م، عاصر حكم الامبراطور دقلديانوس واضطهاده للمسيحيين، وكان مصيره القتل بسبب دفاعه عنها، دفن في اللد بفلسطين، وقيل أن جثمانه نقل إلى مصر حيث الكنيسة التي تحمل اسمه، ويصور ممتطياً فرساً وهو يطعن بحربته تنيماً يمثل الشر.

انظر: دائرة المعارف الحديثة ص ٦١٢.

(١٠) قوله (قد) سقط من: المطبوعة.

ثم إن الشيخ المستغاث به إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له أخبره بأقوالهم، ونقل أقوالهم له، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط^(١) الشيطان. ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة، فقال: يريني الجن شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منهم^(٢) الإخبار به، قال فأخبر الناس به، ويوصلون إلي كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه فيوصلون جوابي إليه.

[بعض الخوارق حيل الطبيعة]

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق إذا كذب بها من لم يعرفها، وقال إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة كمن^(٣) يدخل النار بحجر الطلق^(٤)، وقشور النارج^(٥)، ودهن الضفادع^(٦)، وغير ذلك من الحيل الطبيعة، يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبر: إنكم صادقون^(٧) في ذلك، ولكن هذه أحوال شيطانية^(٨)

(١) في هـ، والمطبوعة: يتوسط.

(٢) في هـ، والمطبوعة: منه.

(٣) في ب، هـ، والمطبوعة: كما.

(٤) حجر الطلق: حجر براق شفاف ذو أطباق، يتشظى إذا دق صفائح ويطحن فيكون مسحوقاً أبيض، يذر على الجسد فيكسبه برداً ونعومة. وقيل: أن نباتاً يسمى الطلق تستخرج عصارته فيطلى به الذين يدخلون في النار. انظر: لسان العرب ١٠/٢٣١، المعجم الوسيط ٢/٥٦٣.

(٥) النارج: شجرة مثمرة، دائمة الخضرة، تسمو بضعة أمتار، أوراقها جلدية خضرة لامعة، لها رائحة عطرية، لها ثمرة تعرف بالنارج، وقشرة الثمرة تستعمل دواء، أو في عمل المربيات. انظر: المعجم الوسيط ٢/٩١٢، ٩١٣.

(٦) جمع ضفدع: وهو الحيوان المعروف الذي يعيش في الماء، ذكر عن بعضها أن شحمه إذا طلي به الجسم منعه من التأثر بالحرارة.

انظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/٦٤٨.

(٧) في هـ، والمطبوعة: لصادقون.

(٨) في المطبوعة: هذه الأحوال الشيطانية.

أفروا بذلك، وتاب منهم من تاب الله عليه^(١) لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه كثيرة^(٢) أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع، وعند المعاصي لله ولرسوله، ولا^(٣) تحصل عند ما يحبه الله ورسوله، من العبادات الشرعية، فعلموا حينئذ أنها^(٤) من مخارق^(٥) الشيطان لأوليائه، لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله - سبحانه وتعالى - أعلم (بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه صلاة وسلاماً نستوجب بها شفاعته... آمين)^(٦).

(١) في ب: من تاب لما تبين.

(٢) قوله (كثيرة) سقط من: ه، والمطبوعة.

(٣) في ه، والمطبوعة: فلا تحصل.

(٤) في ه، والمطبوعة: أنها حينئذ.

(٥) في ب، ج: مخاريق.

(٦) ما بين القوسين سقط من: ب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على توفيقه وامتنانه على ما أتم لنا من تحقيق هذا الكتاب الذي هو صغير في حجمه كبير في مادته العلمية مما أوجب التمعن والتفهم والرجوع إلى الكتب الأخرى، وخصوصاً كتب المؤلف التي كثيراً ما أجد فيها ما يعين على معرفة ما اشتبه عليّ مما في هذا الكتاب، واستفدت من ذلك كثيراً وزادت معرفتي بقيمة هذا الكتاب، وعلمت أنه مجهول القدر عند كثير من الناس، بينما لا يستغني عنه طالب العلم.

وازددت من خلاله معرفة بواقع الناس واختلافهم: ما بين مؤمن بالله متبع للكتاب والسنة، وما بين جاهل قد مكر به الشيطان، وما بين صاحب هوى ومقاصد دنيوية.

وأنه لا سبيل لمعرفة الأمور إلا بوزنها بمعايير الكتاب والسنة، ليطمئن بعضها عن بعض، ويستحيل معرفة ذلك بغيرهما، لأن ما فيها من بيان وتفصيل هو بمن خلق الخلق وأمورهم، ومن طلب معرفة ذلك من غيرهما ضل، فهما الصراط المستقيم والسراج المنير.

والقارئ لهذا الكتاب يعرف ذلك، ويدرك سعة اطلاع ابن تيمية ومعرفته بالكتاب والسنة، وقدرته على بيان الحق واستنتاج الدليل.

فجزاه الله خير ما يجزي به عباده الصالحين... إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس تراجم الأعلام

الاسم	الصفحة
إبراهيم بن أدهم التميمي	١٦٠
إبراهيم بن يزيد التيمي	٢٣٢
أحمد بن حنبل (الإمام أحمد)	٧٨
أحمد بن عبد الله الأصبهاني (أبو نعيم)	٥٦
أحمد بن عيسى الخراز (أبو سعيد الخراز)	١٧١
أحمد بن محمد الأدمي (أبو العباس بن عطاء)	١٠٢
الأحنف بن قيس التميمي	٢٣١
أرسطو	٦٣
أروى بنت أويس	٢٢٦
إسحاق بن إبراهيم الحنظلي (ابن راهويه)	٢٠١
الاسكندر بن فيلبس المقدوني	٦٣
إسماعيل بن نجيد السلمى (أبو عمرو بن نجيد)	١٢٣
أسيد بن الحضير الأنصاري	٢١٩
أفلاطون	١٥٢
أنس بن مالك الأنصاري	٥٣
أويس بن عامر القرني	٢٣١
باباه الرومي	١٣٤
البراء بن مالك الأنصاري	٢٢٣
بركة بنت ثعلبة (أم أيمن)	٢٢٣
بلقمة بنت ذي مسرح (بلقيس)	١٣٨
جابر بن عبد الله الأنصاري	٢١٨
جرجس	٢٦٤
جندب بن جنادة (أبو ذر)	٦٨

- الجنيد بن محمد الزجاج (أبو القاسم الجنيد) ١٠١
- الحارث بن سعيد الدمشقي ١٣٤
- الحجاج بن يوسف الثقفي ١٦٧
- الحسن بن أبي الحسن البصري (أبو سعيد البصري) ٤٨
- الحسين بن عبد الله بن سينا (ابن سينا) ٦٤
- الحسين بن منصور الخلاج ١٧٠
- خالد بن الوليد ٢٢٤
- خبيب بن عدي الأوسي ٢٢١
- الخضر - صاحب موسى - ٥٢
- داود بن علي الأصبهاني (الظاهري) ٢٠٢
- دحية بن خليفة الكلبي ١٦١
- ذو القرنين ٦٤
- الزبير بن العوام ٥٥
- زنيرة الرومية ٢٢٦
- سارية بن زنيم الكناني ٢٢٥
- سعد بن أبي وقاص ٢٢٥
- سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) ٥٨
- سعيد بن إسماعيل (أبو عثمان النيسابوري) ١٢٣
- سعيد بن زيد العدوي ٢٢٦
- سعيد بن المسيب ٢٣٠
- سفيان بن سعيد الثوري ١٨٣
- سفينة (مولى رسول الله ﷺ) ٢٢٣
- سلمان الفارسي ٢٢٠
- سليمان بن الأشعث (أبو داود) ٤٥
- سليمان بن علي التلمساني (العفيف) ١٧٢

- ١٦٠ سهل بن عبد الله التستري
- ٢١٦ سهلة بنت ملحان (أم سليم)
- ١٩٧ شداد بن أوس الأنصاري
- ٢٢٩ صلة بن أشيم العدوي
- ١٨٣ الضحاك بن مزاحم الهلالي
- ٥٥ طلحة بن عبيد الله بن عثمان
- ١٣٤ طليحة بن خويلد الأسدي
- ١١٥ عامر بن شراحيل (الشعبي)
- ٢٢٢ عامر بن الطفيل بن مالك
- ٢٢٨ عامر بن عبد قيس التميمي
- ٥٥ عامر بن عبد الله (أبو عبيدة بن الجراح)
- ٢٢٢ عامر بن فهيرة التيمي
- ٩٤ عائشة - أم المؤمنين -
- ٢٢٠ عباد بن بشر الأنصاري
- ١٢٢ عبد الرحمن بن أحمد (أبو سليمان الداراني)
- ٤٣ عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)
- ١٥٦ عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي)
- ٢٠١ عبد الرحمن بن عمرو (الأوزاعي)
- ٥٥ عبد الرحمن بن عوف بن الحارث
- ٢٢٧ عبد الله بن ثوب (أبو مسلم الخولاني)
- ٢٣٣ عبد الله بن صائد (ابن صياد)
- ٧٣ عبد الله بن عباس
- ٥٠ عبد الله بن عثمان (أبو بكر الصديق)
- ١١٥ عبد الله بن عمر بن الخطاب
- ٢١٨ عبد الله بن عمرو الأنصاري (أبو جابر)

- ٦٧ عبد الله بن عمرو بن العاص
- ٢٤٩ عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري)
- ١٠٥ عبد الله بن مسعود
- ٢٣٦ عبد الملك بن مروان
- ٢٣٢ عبد الواحد بن زيد العبدي
- ٢٣٢ عتبة بن أبان الغلام
- ٥٠ عثمان بن عفان (أمير المؤمنين)
- ١٢٥ عدي بن حاتم الطائي
- ٢٢٢ عروة بن الزبير بن العوام
- ٢٢٧ العلاء بن الحضرمي
- ٥٠ علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين)
- ١٥٦ علي بن عمر (الدارقطني)
- ٥٠ عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين)
- ١٨٠ عمر بن علي (ابن الفارض)
- ٢٢٠ عمران بن حصين
- ٤٩ عمرو بن العاص
- ٢٣١ عمرو بن عتبة بن فرقد
- ١٨٤ عمرو بن هشام (أبو جهل)
- ٢٢٠ عويمر بن مالك (أبو الدرداء)
- ١٣٤ عبهلة بن كعب العنسي (الأسود العنسي)
- ١٠٠ الغوث بن مر (صوفة)
- ١٦٠ الفضيل بن عياض التميمي
- ١٥٢ فيثاغورس
- ٢١٧ قتادة بن النعمان الأنصاري
- ١٠٨ قشير العامري (أبو إسرائيل)

- قيس بن طارق ١١٦
- كسرى ٢٢٥
- كعب بن الأشرف الطائي ٢١٧
- الليث بن سعد الفهمي ٢٠١
- مالك بن أنس ٧٨
- محمد بن إدريس (الشافعي) ٧٩
- محمد بن إسحاق (الصدر القونوي) ١٧٤
- محمد بن إسماعيل (البخاري) ٤٣
- محمد بن حبان (أبو حاتم البستي) ١٥٦
- محمد بن الحسين (أبو عبد الرحمن السلمي) ٥٤
- محمد بن علي بن الحسن (الحكيم الترمذي) ١٤٤
- محمد بن علي بن عربي الطائي (ابن عربي) ١٤٥
- محمد بن عيسى بن سورة (الترمذي) ٤٥
- محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد) ١٥٨
- محمد بن مسلم (الزهري) ٢٣٥
- محمد بن مسلمة الأوسي ٢١٧
- المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٦٦
- مسلم بن الحجاج القشيري (الإمام مسلم) ٦٨
- مسيلمة بن ثمامة الحنفي (مسيلمة الكذاب) ١٣٤
- مطرف بن عبد الله الشخير ٢٣٢
- معاذ بن جبل ١٠٦
- معاوية بن أبي سفيان ٥٨
- معروف الكرخي ١٦٠
- معمربن راشد الأزدي ٢٣٦
- المغيرة بن شعبة ٥٦

٦٩	ابن أبي مليكة
٢٥٤	المهدي
٢٣٠	نباتة بن يزيد
٢٠٠	نجدة الحروري
١٠٤	النعمان بن بشير
٧٩	النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة)

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

الصفحة	الكلمة
١١٣	الإلهام
٧٨	الأموال الشرعية
٢٥١	التغيير
٢٦٥	حجر الطلق
١٢٨	الحشوش
٢٢٨	خببت
٦٥	الخوارق
٢٦٥	دهن الضفادع
٢٢٩	دوخلة
٩٩	الزنديق
٩٩	الصديق
١٠٠	صوفة القفا
١٠٢	عبية الجاهلية
٢٦٥	قشور النارج
٦٥	الكشف
٩٥	اللغو
١٦٧	المبير
١١٣	المحادثة
١١٤	المحدث
٦٥	المخاطبة
٢٢٧	مخلاة
١٧٢	المريد
٢١٦	مزادة

١٥١	الناموس
١٢٢	النكتة
١٥٣	هيولي
٥٩	الوجد
٩٦	الوله
٥٧	الولي

فهرس الفرق والأديان

٥٧	الأبدال
٦٢	الأخبار
٥٧	الأقطاب
٥٧	الأوتاد
٥٧	الأولياء
١٥١	الجهمية
٥٩	الخوارج الحرورية
٦٢	الرهبان
٦٢	الروم
٩٩	الزنديق
٦٣	المجوس
٨٣	المرجئة
٨٣	المعتزلة
٥٧	النجباء
٥٧	النقباء

فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب

٥٤	تاريخ من نزل الصفة
١٤٤	ختم الولاية
٥٦	الحلية
١٥٠	درء تعارض العقل من النقل
٢٤٢	صحيح أبي حاتم
١٤٥	فصوص الحكم
١٤٥	الفتوحات المكية
١٧٤	مفتاح غيب الجمع والوجود
١٤٣	منهاج أهل السنة النبوية

فهرس الأماكن

٢٤٦	أردبيل
٢٢٩	الأهواز
٢٣٠	أيام الحرة
٢٥٩	بطن نخلة
٢٤٦	تبريز
٢٤٦	جبل الأحيش
٢٤٦	جبل سيلان
٢٤٦	جبل سهل
٢٤٦	جبل الفتح
٢٤٥	جبل قاسيون
٢٤٦	جبل لبنان
٢٤٦	جبل اللكام
٢٤٦	جبل ماكشو
٢٤٦	الجزيرة
٢٤٦	خرسان
٢١٦	خيبر
٦٤	السد
٢٤٥	مغارة الدم
٢٦٠	نصيبين
٢٤٦	نهاوند

فهرس المراجع

- ١- أحاديث القصاص، ابن تيمية الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ، المكتب الإسلامي.
- ٢- الاحتجاج بالفدر، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨.
- ٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- ٤- اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن قيم الجوزية، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٣ هـ.
- ٥- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، علاء الدين البعلي، المؤسسة السعيدية، الرياض.
- ٦- الاستيعاب في نسب الصحابة من الأنصار، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، دار الفكر ١٣٩٢ هـ.
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مكتبة نهضة مصر.
- ٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، جمعية المعارف ١٣٨٠ هـ.
- ٩- أسماء مؤلفات ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٦ م.
- ١٠- كتاب الأسماء والصفات، البيهقي، مطبعة السعادة بمصر.
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار نهضة مصر.
- ١٢- اصطلاحات الصوفية، السمرقندي.
- ١٣- أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة إبراهيم زكي، مكتبة النهضة المصرية.
- ١٤- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.
- ١٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ١٦- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي البزاز، المكتب الإسلامي ١٣٩٦ هـ.
- ١٧- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة بيروت.
- ١٨- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق د/ ناصر العقل، شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ.
- ١٩- كتاب الأولياء، ابن أبي الدنيا، جمعية النشر والتأليف بالأزهر، الطبعة الأولى.
- ٢٠- البداية والنهاية في التاريخ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة الفلاح، الرياض.

- ٢١- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، عيسى البابي، الطبعة الثانية.
- ٢٢- بهجة المحافل وبغية الأمثال، عماد الدين أبي بكر العامري، طبعة سنة ١٣٣٠هـ.
- ٢٣- بيان تلبس الجهمية، ابن تيمية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩١هـ.
- ٢٤- بين يدي الساعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، د. عبد الباقي سلامة، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠١هـ.
- ٢٥- تاريخ بغداد، أبو بكر البغدادي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ.
- ٢٦- التبصرة، ابن الجوزي، عيسى البابي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
- ٢٧- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن.
- ٢٨- تذكرة الحفاظ، الذهبي، مجلس دائرة المعارف، الهند، الطبعة الثالثة.
- ٢٩- تذكرة الموضوعات، محمد بن طاهر الفتني، المكتبة القيمة، الهند.
- ٣٠- التشوف إلى رجال التصوف، ابن الزيات، مطبوعات إفريقية، الرباط ١٩٥٨م.
- ٣١- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
- ٣٢- تفسير سورة الإخلاص، ابن تيمية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر.
- ٣٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار القلم، بيروت.
- ٣٤- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ.
- ٣٥- التكملة لوفيات، عبد العظيم المنذري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ٣٦- تلبس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٦٨هـ.
- ٣٧- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية.
- ٣٨- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
- ٣٩- تهذيب اللغة، أبي منصور الأزهرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٤٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، دار المعارف بمصر، تحقيق محمود شاكر.
- ٤١- جامع الرسائل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.
- ٤٢- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، من توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

- ٤٣- جامع كرامات الأولياء النبھانی، دار الکتب بمصر ١٣٢٩ھ.
- ٤٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- ٤٥- الحسن البصريين لاب الجوزي، الطبعة، مكتبة الخانجي بمصر.
- ٤٦- حسن المحاضرة، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧ھ.
- ٤٧- حقيقة مذهب الاتحاديين، ابن تيمية، إدارة الترجمة والتأليف، باكستان.
- ٤٨- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الکتب العربي، بيروت ١٤٠٠ھ.
- ٤٩- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، الطبعة الرابعة ١٣٨٩ھ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ٥٠- خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٣٩٧ھ.
- ٥١- دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت.
- ٥٢- دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٣م.
- ٥٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، نشر محمد أمين، بيروت.
- ٥٤- الدر المنثور في الأحاديث المشتهرة، جلال الدين السيوطي، جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠٣ھ.
- ٥٥- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣ھ.
- ٥٦- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، عالم الكتب، بيروت.
- ٥٧- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٨٩ھ.
- ٥٨- ديوان ابن الفارض، مصطفى البابي ١٣٧٢ھ.
- ٥٩- ذم ما عليه مدعو التصوف، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي ١٤٠٣ھ.
- ٦٠- الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ابن تيمية، المطبعة السلفية ١٩٤٩م.
- ٦١- الرد على الجهمية والزندقة، الإمام أحمد، دار اللواء، الرياض ١٣٩٧ھ.
- ٦٢- كتاب الرد على المنطقيين، ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ١٣٩٦ھ.
- ٦٣- الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٦٤- روح المعاني، الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت.

- ٦٥- الروحية الحديثة دعوة هدامة، محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- ٦٦- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب الحديثة، مصر.
- ٦٧- رياض الصالحين، أبو زكريا النووي، دار المأمون للتراث، دمشق.
- ٦٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر الطبري، مكتبة محمد نجيب، ١٣٧٢ هـ.
- ٦٩- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ٧٠- كتاب الزهد، الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ.
- ٧١- كتاب الزهد الكبير، أحمد بن حسين البيهقي، دار القلم، الكويت ١٤٠٣ هـ.
- ٧٢- الزهد والرقائق، ابن المبارك، مجلس إحياء المعارف، الهند ١٣٨٥ هـ.
- ٧٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- ٧٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٣٩٨ هـ.
- ٧٥- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٠ هـ.
- ٧٦- سنن الدارقطني، الدارقطني، دار المعاش للطباعة، القاهرة ١٣٨٦ هـ.
- ٧٧- سنن الدارمي، الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.
- ٧٨- سنن أبي داود، أبو داود، نشر محمد علي سيد، حمص ١٣٨٨ هـ.
- ٧٩- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ.
- ٨٠- سنن النسائي بشرح السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٨١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين إبراهيم، دار المعارف بمصر.
- ٨٢- السيرة النبوية، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩١ هـ.
- ٨٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحى بن العماد، مكتبة القدس بمصر ١٣٥٩ هـ.
- ٨٤- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ.
- ٨٥- شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨ هـ.
- ٨٦- صحيح البخاري، الإمام البخاري، دار القلم ودار البخاري ١٤٠١ هـ.
- ٨٧- صحيح ابن حبان ج١، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: الأرناؤوطي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤ هـ، وأيضاً تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- ٨٨- صحيح مسلم، الإمام مسلم، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ.

- ٨٩- صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الوعي بحلب ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ.
- ٩٠- طبقات الأولياء، ابن الملقن، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٣هـ.
- ٩١- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- ٩٢- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت ودار صادر.
- ٩٣- طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، مكتبة الخانجي ١٣٨٩هـ.
- ٩٤- الطبقات الكبرى، للشعراني، مصطفى البابي ١٣٧٣هـ.
- ٩٥- طريق المهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٩٦- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي، دار الكتاب العربي.
- ٩٧- عوارف المعارف، عمر بن محمد السهروردي، المكتبة العالمية بمصر ١٣٥٨هـ.
- ٩٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.
- ٩٩- الفتوحات المكية، ابن عربي، دار الكتب العربية بمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢هـ.
- ١٠٠- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠١- فصوص الحكم، ابن عربي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥هـ.
- ١٠٢- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- ١٠٣- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ.
- ١٠٤- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.
- ١٠٥- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- ١٠٦- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ.
- ١٠٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٠٨- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، حاجي خليفة، وكالة المعارف ١٣٦٢هـ.
- ١٠٩- كشف المحجوب، علي بن عثمان الهجويري، دار النهضة العربية، بيروت.
- ١١٠- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى.

- ١١١- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، السيوطي، الطبعة الأولى على نفقة المكتبة الحسينية المصرية.
- ١١٢- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.
- ١١٣- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف، الهند ١٣٢٩ هـ.
- ١١٤- لطائف الأسرار، ابن عربي، دار الفكر العربي ١٣٨٠ هـ.
- ١١٥- المبسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ.
- ١١٦- المجروحين من المحدثين، محمد بن حبان، الطبعة العزيزية ١٣٩٠ هـ.
- ١١٧- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الخبر، محمد طاهر الفتني، مجلس دائرة المعارف، الهند ١٣٩٣ هـ.
- ١١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب، بيروت.
- ١١٩- مجموع فتاوى ابن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى.
- ١٢٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، مكتبة النهضة، الرياض.
- ١٢١- المسند، الإمام أحمد، دار صادر، بيروت، وطبعة أخرى تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٣ هـ.
- ١٢٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة.
- ١٢٣- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٦ هـ.
- ١٢٤- المعجم الصغير، الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ١٢٥- المعجم الكبير، الطبراني، دار العربية، بغداد.
- ١٢٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري الأندلسي، توزيع عباس الباز، مكة.
- ١٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، عدد من المستشرقين، مكتبة بريل، ليون ١٩٣٦ م.
- ١٢٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر، بيروت.
- ١٢٩- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- ١٣٠- المعجم الوسيط، إخراج د. إبراهيم أنيس، مطابع دار المعارف بمصر ١٣٩٣ هـ.

- ١٣١- المغني، أحمد بن محمد بن محمد بن قدامة، مكتبة الرياض الحديثة.
- ١٣٢- مفتاح السعادة، أحمد بن مصطفى، دائرة المعارف، الطبعة الأولى.
- ١٣٣- مفتاح كنوز السنة، محمد عبد الباقي، مطبعة معارف لاهور ١٣٩٧هـ.
- ١٣٤- الملل والنحل بهامش الفصل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ.
- ١٣٥- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٢هـ.
- ١٣٦- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة.
- ١٣٧- المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق الفيروز أبادي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
- ١٣٨- الموضوعات، ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.
- ١٣٩- الموطأ، الإمام مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٤٠- ميزان الاعتدال، الذهبي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٢هـ.
- ١٤١- كتاب النبوات، ابن تيمية، طبعة سنة ١٣٤٦هـ.
- ١٤٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين الأتابكي، دار الكتب.
- ١٤٣- نصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين الزيلعي، المكتبة الإسلامية، نيل الأوطار.
- ١٤٤- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان، دار الثقافة، بيروت.

فهرس الموضوعات

- ١..... المقدمة
- ٣..... قيمة الكتاب العلمية
- ٥..... عرض إجمالي لموضوع الكتاب وقضاياه
- ١٥..... ترجمة المؤلف
- ١٥..... أولاً: نسبه ونشأته:
- ١٥..... ثانياً: علمه:
- ١٦..... ثالثاً: جهاده ووفاته:
- ١٧..... رابعاً: آثاره:
- ١٩..... وصف النسخ المخطوطة للكتاب
- ٣٣..... منهج التحقيق
- ٣٦..... افتتاح المؤلف للكتاب بخطبة الحاجة [خطبة الكتاب]
- ٣٧..... انقسام الناس إلى أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:
- ٤٠..... الفصل الأول
- ٤٠..... وجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
- ٤٠..... أصح حديث يروى في الأولياء
- ٤٢..... أصل معنى الولاية والعداوة.
- ٤٣..... الأنبياء أفضل أولياء الله

- ٤٤ فضل محمد ﷺ على جميع النبيين وفضل أمته على سائر الأمم.
- ٤٥ توقف ولاية الله على الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ظاهرًا وباطنًا.
- ٤٨ ادعاء الولاية من بعض الكفار والمنافقين.
- ٤٩ إبطال ما يزعم أدعياء الولاية في أهل الصفة.
- ٥٢ حكم ما يروى من الأحاديث في عدة الأولياء والأبدال (وأمثلة على ذلك).
- ٥٦ لا بد في الإيمان من الإيمان بجميع الكتب والرسل.
- ٥٧ لا بد في الإيمان من الإيمان بأن محمد ﷺ خاتم النبيين.
- ٥٨ لا طريق إلى الله إلا ما جاء به محمد ﷺ.
- ٥٨ كفر من لم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ وإن بلغ ما بلغ في الزهد والعبادة.
- ٥٩ دين الاسكندر المقدوني ووزيره أرسطو هو الشرك وليس بالاسكندر ذي القرنين.
- ٦١ اقتران الشياطين في أصناف المشركين ممن له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة.
- ٦٥ **الفصل الثاني**
- ٦٥ اجتماع الإيمان والنفاق في الشخص الواحد.
- ٦٧ تفاضل أولياء الله ومردود هذا التفاضل.
- ٦٧ قد يكون فيه قسط من ولاية الله وقسط من عداوة الله.
- ٦٩ **الفصل الثالث**
- ٦٩ طبقات أولياء الله.
- ٧٢ الجزاء من جنس العمل.
- ٧٣ عمل المقربين وأصحاب اليمين.
- ٧٤ انقسام الأنبياء نحو انقسام الأولياء.
- ٧٧ العبد الرسول أفضل من النبي الملك.

الفصل الرابع ٧٩

تفسير آية فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا... الآية﴾ بأصناف المصطفين من هذه الآية

وأنهم يدخلون الجنة ٧٩

التائب من الذنب لا يخرج عن السابقين والمقتصدین ٨٠

تواتر السنن بدخول كثير من أهل الكبائر النار وخروجهم منها ٨١

تأويل المعتزلة والمرجئة لآية فاطر والرد عليهما ٨١

الفصل الخامس ٨٥

تفاضل الناس في الولاية والعداوة ٨٥

شرط العذاب قيام الحجة ٨٥

الفصل السادس ٨٧

الإيمان يكون مجملاً ويكون مفصلاً ٨٧

تفاضل المؤمنين في منازلهم من الجنة بحسب إيمانهم ٨٧

بعض الأدلة على تفاضل النبيين والمؤمنين ٨٨

الفصل السابع ٩١

الإيمان والتقوى شرط في ولاية الله ٩١

أنواع الجنون وحكم الجنون من حيث الإيمان والكفر والولاية والعداوة ٩٢

ولاية من يجن أحياناً ويفيق أحياناً ٩٤

ولاية من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه ٩٤

الفصل الثامن ٩٧

- ٩٧..... ليس لأولياء الله ميزة في الظاهر عن غيرهم في الأمور المباحات
- ٩٨..... ما يسمى به أهل الدين والعلم عند السلف والخلف
- ٩٨..... أصل مسمى الصوفية
- ٩٩..... الفضل في التقوى وليس في الصوفية أو الفقراء
- ١٠١..... معنى الفقر في الشرع
- ١٠١..... صفة المهاجرين
- ١٠٢..... جهاد الكفار من أعظم الأعمال
- ١٠٥..... الصمت المشروع
- ١٠٩..... **الفصل التاسع**
- ١٠٩..... العصمة ليست شرطاً في الولاية
- ١٠٩..... تجاوز الله لأمة محمد ﷺ عن الخطأ والنسيان
- ١١١..... أصناف الناس فيمن يظنون ولايته
- ١١٢..... كل أحد يجب عرض أعماله وأقواله على الكتاب والسنة
- ١١٢..... عمر بن الخطاب محدث وكان يعرض ما يراه على الكتاب والسنة
- ١١٧..... مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث
- ١٢٠..... الاستشهاد ببعض كلام قدماء الصوفية على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة
- ١٢١..... غلط بعض الناس في اعتقاد الولاية في معين وفيما يجب للولي
- ١٢٤..... التصرفات الخارقة ليست دليلاً على الولاية
- ١٢٥..... من الخوارق ما يكون لأعداء الله
- ١٢٥..... بعض علامات أولياء الشيطان
- ١٢٩..... من نور الله قلبه استطاع أن يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

- ١٣٣ الفصل العاشر
- ١٣٣ الحقيقة الحققة هي حقيقة دين رب العالمين وهو دين الرسل
- ١٣٣ الأنبياء لكل منهم شرعة ومنهاجاً
- ١٣٤ الإسلام دين جميع الرسل
- ١٣٧ الفصل الحادي عشر
- ١٣٧ تفضيل الأنبياء ومراتب السعداء
- ١٣٧ أبو بكر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين
- ١٣٧ أمة محمد ﷺ أفضل الأمم
- ١٣٨ فضل القرن الأول
- ١٣٨ فضل الصحابة على غيرهم
- ١٣٨ فضل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار على سائر الصحابة
- ١٣٩ فضل الخلفاء الأربعة على السابقين الأولين
- ١٣٩ فضل أبي بكر وعمر
- ١٤٠ قياس ملاحدة الصوفية خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء
- ١٤٠ دعوى ابن عربي وأمثاله أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء
- ١٤٢ فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء ثابتاً بالنص
- ١٤٢ كمال نبوة محمد ﷺ وشريعته
- ١٤٣ توقف ولاية الله على اتباع الرسل، وكفر من ادعى الاستغناء عنهم
- ١٤٤ ملاحدة الصوفية وتفضيلهم الولاية على النبوة
- ١٤٥ بعض مقالات ابن عربي في فصوصه
- ١٤٥ علاقة ملاحدة الصوفية الاتحادية بالمتفلسفة

- ١٤٩ النبوة عند المتفلسفة
- ١٥٠ نظرية العقول العشرة عند الفلاسفة
- ١٥٠ بطلان حديث العقل الذي استدل به الفلاسفة
- ١٥٢ لفظ العقل في لغة المسلمين واليونان
- ١٥٣ الملائكة في نظر المتفلسفة
- ١٥٥ وصف الملائكة وكتاب الله
- ١٥٧ اعتقاد ملاحدة الصوفية في الوجود وحقيقة أمرهم جحد الخالق
- ١٥٧ مشابهة ملاحدة الصوفية لفرعون في تعطيله الخالق
- ١٥٨ إنكارهم حقيقة اليوم الآخر
- ١٥٩ عامة كلام الملاحدة الصوفية من التخيلات الشيطانية
- ١٦١ أول من ظهر في الإسلام تخاطبه الشياطين
- ١٦٢ مصدر الفصوص روح شيطاني
- ١٦٤ اعتراض صاحب الفصوص على الجنيد في تفسير التوحيد ورد الشيخ عليه
- ١٦٦ عقيدة التلمساني والموازنة بينه وبين ابن عربي والقونوي
- ١٦٧ الشيء عند ابن عربي والمعتزلة
- ١٧٠ استمرار النبوة عند أهل الوحدة
- ١٧٤ قصيدة ابن الفارض في بيان مذهبه
- ١٧٥ بعض الأدلة على بطلان دعوة الوحدة
- ١٧٦ المعية لا تقتضي حلولاً ولا اتحاداً
- ١٧٦ المعية العامة
- ١٧٧ المعية الخاصة

١٨١.....	الفصل الثاني عشر
١٨١	اشتباه الحقائق الدينية والكونية على كثير من الناس
١٨٣	حاجة كل أحد إلى التوبة والاستغفار
١٨٧	الاحتجاج بالقدر على الذنوب سبيل المشركين
١٨٨	حديث احتجاج آدم وموسى ومذاهب الناس فيه
١٨٩	حكم الصبر والرضا عند المصائب
١٩٢	الفرقان بين ما يطلق عليه لفظ الشرع، ووجوب التزام الشرع المنزل
١٩٣	إبطال الاحتجاج بقصة موسى مع الخضر
١٩٥	أحوال حكم الحاكم
١٩٩.....	الفصل الثالث عشر
١٩٩	تبيين الله في كتابه للفرق بين الكوني الذي خلقه والديني الذي شرعه
١٩٩	الإرادة الكونية والدينية
٢٠١	الأمر الكوني والديني
٢٠١	الإذن الكوني والديني
٢٠٢	القضاء الكوني والديني
٢٠٣	البعث الكوني والديني
٢٠٣	الإرسال الكوني والديني
٢٠٣	الجعل الكوني والديني
٢٠٤	التحريم الكوني والديني
٢٠٤	الكلمات الكونية والدينية
٢٠٦.....	موافقة الرسول ﷺ هي جماع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

- ٢٠٧..... تنزيه محمد ﷺ عن تقترن به الشياطين
- ٢٠٩..... الغاية من معجزات الرسول ﷺ وكرامات خيار الأولياء
- ٢٠٩..... بعض معجزات الرسول ﷺ
- ٢١٤..... من كرامات الصحابة
- ٢٢١..... من كرامات التابعين
- ٢٢٦..... مقتضيات الكرامة ومراتب الأولياء في ذلك
- ٢٢٧..... أصحاب الأحوال الشيطانية المخالفة للأحوال الإيمانية
- ٢٢٧..... ابن صياد
- ٢٢٨..... الأسود العنسي
- ٢٢٩..... مسيلمة الكذاب
- ٢٢٩..... الحارث الدمشقي
- ٢٣٠..... بعض ما يبطل الأحوال الشيطانية
- ٢٣١..... بعض الفروق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية
- ٢٣٢..... صور من الأحوال الشيطانية
- ٢٣٣..... درجات أصحاب الأحوال الشيطانية
- ٢٣٤..... معاونة الشياطين لمن يطيعهم ويوافقهم في أنواع الكفر والمعاصي
- ٢٣٤..... تعظيم القبور سبيل أهل الشرك والبدع
- ٢٣٥..... النهي عن اتخاذ القبور مساجد
- ٢٣٧..... صور من مكر الشيطان بأهل الشرك والبدع
- ٢٣٨..... الانتقال إلى المغارات والبوادي من البدع
- ٢٤٠..... أقسام الناس في خوارق العادات
- ٢٤٢..... مما يقوي الأحوال الشيطانية

٢٤٤ السماع المحدث
٢٤٥ أجناس الخوارق
٢٤٦ بعض الخوارق التي هي من مكر الشيطان
٢٤٨ بعض الدلائل التي تعرف بها الأحوال الشيطانية
٢٥١ الفصل الرابع عشر
٢٥١ عموم رسالة محمد ﷺ لجميع الثقلين
٢٥٢ تغليظ الشهب بعد مبعث الرسول ﷺ
٢٥٣ سماع الجن للقرآن
٢٥٥ أحوال الجن مع الإنس
٢٥٥ الحالة الأولى
٢٥٥ الحالة الثانية
٢٥٦ الحالة الثالثة
٢٥٦ تنوع مكر الشيطان بأوليائه بحسب حالهم من الجهل والكفر والشرك
٢٥٨ بعض الخوارق حيل الطبيعة
٢٦٠ الخاتمة
٢٦١ فهرس تراجم الأعلام
٢٦٧ فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
٢٦٩ فهرس الفرق والأديان
٢٧٠ فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب
٢٧١ فهرس الأماكن
٢٧٢ فهرس المراجع

